

al-Muraqabat "A'mal al-Sunnah"

[illegible]

Princeton University Library



32101 072239922

المُرَافِئَاتُ

« اَعْمَالُ لَيْلِي »

تَأْلِيفُ

الْعَالِمُ الْعَارِضُ وَلَفْقِيهِ الْكَامِلُ ابْنُ... الزَّاهِرَةِ
وَمُجَنَّدُ الْبَاهِرَةِ

الْحَاجُّ الْمِيرُزَا جَوَادُ آغا الْمَلِكِ التَّبْرِيذِيِّ

رَضْوَانُكَ... بِرِغَالِي عِلْبَةٍ

الْمُنَوَّى فِي سَنَةِ ١٢٤٣ هـ

المُرَاقِبَاتُ

al-Murāqabāt

« اَعْمَالُ النَّبِيِّ »
تَأَلَّفَ

الْعَالِمُ الْعَامِلُ وَالْفَقِيرُ الْكَامِلُ ابْنُ... الزَّاهِرَةِ
وَمُجْتَمَعُ الْبَاهِرَةِ

الْحَاجُّ الْمُرْتَجُو أَدَاغَا الْمَلِكِ التَّوْبِي

رَضُوْنَا... بِرِغَالِي عَلَيْهِ

الْمُنَوَّى فِي سَنَةِ ١٢٤٣ هـ

جَابِخَانَةُ حَيْدَرِي

(RECAP)

2276
23539
T3
366

صورة التقريظ الذي كتبه على هذا الكتاب سيدنا و استاذنا ، مفخر
الاسلام ، حسنة الدهر ، نادرة الزمان ، حضرت آية الله العظمى الحاج
السيد محمد حسين الطباطبائي أيده الله تعالى بصره وأعز به الاسلام واهله.

بسمه تعالى

اللهم ربنا لك الأسماء الحسنى ، والأمثال العليا ، والكبرياء والآلاء ، ربنا
إننا نحمدك بما حمدت به نفسك ، ونثني عليك بما أثنت به على نفسك ، ونصلي
على عبدك ورسولك محمد وآله -عليه السلام- ربنا و نسألك أن لاتزيغ قلوبنا بعد إزهديتنا ،
و أن تهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

أما بعد فهذه أسطر أعلقها على كتاب أعمال السنة للعلم الحجة الآية ،
المرحوم ، الحاج الميرزا جواد آقا المللكي التبريزي قدس الله روحه ، ولست
أريد بها أن أمدح هذه الصحيفة الجليلة ، أو أثني على مؤلفه العظيم ، فليست
هي إلا بحرأ زاخراً لا يوزن بمن ولا صاع ، ولا هو إلا علماً شامخاً لا يقدر بشير
أو ذراع ، وكفى بالقصور عذراً باليأس عن البلوغ راحة ، وإنما أريد أن أواجه
إخواني من أهل الولاء ، وسادتي من أرباب الصدق والصفاء ، بما فيه بعض التذكرة
و إن الذكرى تنفع المؤمنين .

يا إخواني ! ما الحياة الدنيا إلا لعب و لهو ، وإن الدار الآخرة لهي
الحيوان ، ولا وظيفة للانسان في أدون حياته -إن كان إنساناً- إلا التجهيز للآخرى ،
وسلوك سبيل القربى ، فليس عليه إلا سمة العبودية ، ورسم الرقيّة والمذلة
ولا حجاب بينه وبين ربه ، ولا مناص من المشول بين يديه .

فعلية أن يقف موقف المسكنة ، و ينصب من نفسه شاخص العبودية ، و يقيم وجهه لرب العزة ، و يستقبل ساحة الكبرياء و العظمة ، و يتقرب إليه بأسمائه الحسنى ، و صفاته ، و وسائل الدعاء .

و يتوسل إليه بالمراقبة في مختلف الليالي و الأيام ، و الشهور و الأعوام ، و يتعرض لنفحات أنسه ، و نسائم قدسه ، كما قال ﷺ : **إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامٍ دَهْرَكُمْ نَفْحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا ، وَ لَا تَعْرِضُوا عَنْهَا .**

فهذه لعمرى هي سيرة السابقين المقربين ، من رفقة هذا الطريق : طريق العبودية ، أعني حمداً و آله الطاهرين ، و سائر النبيين و الصديقين ، و الشهداء و الصالحين ، و حسن أولئك رفيقاً .

وما بين أيديكم من الكتاب من أحسن ما عمل في هذا الشأن فقيه لطائف ما يراقبه أهل ولاية الله ، و رقائق ما يهجس في قلوب الوالهيين في محبة الله ، و جهل ما يلوح للرائضين في عبادة الله ، نوراً لله مرقد مؤلفه العظيم ، و أفاض عليه من سحائب رحمته و مغفرته ، و ألحقه بنبيه و آله الطاهرين .

محمد حسين الطباطبائي

7-17-69

1945

﴿حياة المؤلف قدس سره﴾

هو الشيخ الحاج الميرزا جواد آغا ابن الميرزا شفيع الملكي التبريزي نزيل قم المحميّة ، عالمٌ عاملٌ فقيهٌ كاملٌ أخلاقيٌّ مهذبٌ بارعٌ ورعٌ ، انتقل إلى النجف الأشرف فاشتغل فيها على أعلام الفنّ ، فقد أخذ مراتب السلوك والأخلاق عن مظهر أنوار الهداية ، والإنسان الملكوتيّ ، الأستاذ الأكبر ، الشهير بالمولى حسينقلبي الهمدانيّ فاستكمل فضائل النفس وتربّى عنده ، و تتلمذ في الفقه والأصول على العلامة الشّيخ آغا رضا الهمدانيّ وغيره من العلماء ، ثمّ عاد إلى إيران فاستوطن دار الإيمان «قم المشرفّة» وقام فيها بوظائف التربية والتكميل علماً وعملاً وحالاً . وكان رضي الله تعالى عنه فيما يذكر من علامات الإيمان ، وآثار الايقان ، المصداق البارز؛ وفي اضطرام نار محبّة الله - جلّ جلاله - وخلفائه عليهم الصلاة والسلام في مشكوة قلبه الشريف كأنّه الجمر .

توفيّ قدس سره يوم عيد الأضحى سنة ١٣٤٣ و رثاه بعض تلاميذه بقصيدة سماها بالقصيدة الجواديّة وكان مادّة تاريخ وفاته (ازجهان جان رفت وازملت پناه) تغمّده الله برحمته .

وله قدس سره من التآليف ١- كتاب أسرار الصلاة طبع مرّة على الحجر سنة ١٣٣٩ هجريّة وأخرى بالحروف سنة ١٣٨٠ هجريّة و ٢- كتاب السير إلى الله المعروف بالرسالة اللقائيّة طبع قريباً من سنة ١٣٧٦ هـ و ٣- كتاب المراقبات وأعمال السنة وهو هذا الممثل بين يديك طبع سنة ١٣٨١ هجريّة بورق جيّد وطبع رائع و تصحيح بالغ دقيق ، و ٤- رسالة في الأصول ، و ٥- أخرى في الفقه لم تطبع بعد .

وأما استاذہ قدس سرہ فهو كما في أعلام الشيعة « الجزء الثاني من
الجزء الاول ص ٦٧٤ ط النجف الاشرف » :

هو الشيخ المولى حسين قلى بن رمضان الشوندي ^(١) الدرجزيني الهمداني
النجفي من أعظم العلماء وأكابر فقهاء الشيعة ، وخاتمة علماء الأخلاق في عصره .
كان والده راعياً للغنم في بادي أمره ثم صار إسكافاً « كفاش » ، وكان له
ولدان : أكبرهما المترجم له ، والأصغر كريم قلى ، رغب أبوهما في أن يكونا من
طلبة العلم ، فاهتم لهما ، وكانت ولادة المترجم له في القرية المذكورة عام « ١٢٣٩ »
نشأ بها ، ثم بعث به والده إلى طهران ، فدخل في سلك الطلاب ، وتعلم المبادي وقرأ
مقدمات العلوم فأتَمَّها ، وقد اجتاز هذه المرحلة الدراسية الأولى بنشاط غريب
يستكثر عليه حيث لم يكن حاضرياً ، ثم درس سطوح الفقه و الأصول على بعض
الفضلاء ، وحضر دروس الطبقة العليا ، وقد اختص بحوزة العالم الأكبر ، الشيخ
عبدالحسين الطهراني الشهير بشيخ العراقيين ، ثم سافر إلى سبزوار فقطن بها مدة ،
لازم خلالها دروس الفيلسوف المعروف المولى هادي السبزواري ، ثم عاد إلى قرية
شوند ، فمكث بها بين أهله وذويه برهة ، وهاجر إلى النجف الأشرف ، وكانت رياسة
الندريس ، ومرجعية التقليد و الافتاء يومذاك ، للشيخ المرتضى الأنصاري ، و كان
المقدم على سائر أعلام النجف ، فحضر عليه و لازم درسه سنين طوالاً ، و كتب من

(١) « شوند » بفتح أوله و ثانيه اسم قرية من نواحي همدان بينها و بين همدان أربعة عشر
فرسخاً ، و المترجم له من ذراري الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله عليه
واسرته هناك كبيرة و في القرية من أولاد جابر جمع كثير ، و هذا مما ثبت بالتواتر روته طبقة
عن طبقة ، و مثله في صحة الانتساب : قميص بال يعتقدون انه مما وهبه الامام أمير المؤمنين
عليه الصلاة والسلام ، و وقد وصل اليهم بالارث عن آبائهم ، وقد اطلع عليه السلطان الشاه
عباس الصفوي ، فاخذته انزاراً به ، بعد ان ترك لهم قطعة ، و هم محتفظون بهذه البقية ،
يتقون بها الشر و البلاء ، فاذا انتشر طاعون عند القرى المجاورة بقريتهم ، أسرعوا فغسلوها في
النهر الذي يستقون منه ، و شربوا منه جميعاً نجوا ، ولم يصيبهم اى مكروه .

تقريراته في الفقه و الأصول كثيراً ، وتعلم في الأخلاق على السيد علي التستري
ففاق فيه أعلام الفن ، و لما توفي أستاذه الأنصاري في سنة « ١٢٨١ » ، لم يتعلم
على غيره ، إذ لم يكن محتاجاً ، كما لم يخرج من العراق كغيره ممن سافروا إلى
إيران وغيرها ، بل لزم بيته ، وانزوى ، ولم يتصد للفتوى ، ولم يتطلب الرياسة ،
إلا أن الخواص من أهل العلم و الفضل ، والتقى والدين ، لم يتركوه وشأنه ، دون
أن يستفيدوا منه ، ويعترفوا من معين فضله ، فقد حَفَّ به من أولئك عدد كثير ، و
ألزموه بالتدريس فأجابهم لكنه لم يرغب بالتظاهر والجهر به ، بل كان مدرسه داره
ومع ذلك فقد كان درسه مجتمعاً حافلاً ، وكان للطلاب تهافت وزحام حوله ، وكان
يدرس في الفقه و الأصول كتبه التي ألّفها من تقارير أستاذه الأنصاري ، و كان
له دروس في الأخلاق بداره صباح كل يوم ، و بعده يدرس الفقه و الأصول ، وهو
في خصوص هذا العلم أمر عظيم لا يحده وصف ؛ فقد مضت حقبة طويلة لم يجد خلالها
الزمن بمن ماثله في علم الأخلاق ، و تهذيب النفوس ، وقد ختم به هذا الفن فلم
ينبغ بعده من يكون له ما كان للمترجم له ، بحيث يعدّ نظيراً له ، على أنه هذّب
زمرة من تلامذته ، كانوا بعده نجومًا تزان بها سماء العلم والفضيلة ، وأنا وإن لم أدرك
فيض خدمته ، ولم يكتب لي التشرف برؤيته ، حيث دخلت العراق بعد وفاته بعامين
في « ١٣١٣ » ، لكن أدركت فريقاً كبيراً من تلاميذه الذين لازموه ليلاً و نهاراً ،
حتى حصلوا ما أرادوا ، وحظوا بالسعادة الأبدية ، وقدرهم من أوزار هذه الحياة
حتى قرّنوا العلم بالعمل ، فقد رأيت أثر تربيته الحسنة بيئاً عليهم ، بادياً في سيماهم
و بالجملة فإن له فضلاً كبيراً على أكثر علماء الطبقة التي تليه ، ممن أدركنا
فيض خدمته ، ووقفنا للمثول بين يديه .

وكان أستاذه السيد علي التستري ، وهو مشعوف بتربيته ، وصقل نفسه ، بحس
منه الاستعداد و اللياقة لا ليهدّب نفسه فقط ، بل ليقود أمامه جمهوراً كبيراً ويبذر
في أصحابه وأتباعه هذه الروح المرکوزة و قضية واحدة تعطينا صورة عن اهتمامه .
يحكى أن طبيباً من مهرة الفن دخل النجف لأشرف زائراً ، وكان من أصحاب

السيد المستري^١ وأستاذ المترجم له ، ومريديه ، فقصّد السيد زائراً و كان المترجم له عند ذلك مريضاً ، فلمّا وقعت عين السيد عليه ابتدره قائلاً : اقصد المدرسة السليمية أولاً فافحص بها ولداً لي أضناه السقم ، فما كان من الطبيب إلّا الامتثال ولمّا جاءها ورأى المترجم له ، عاد إلى السيد فقال : إنّ هذا الشيخ فقير ، و مرضه صعب يحتاج إلى مال كثير ، فأجابه السيد بقوله : ارجع إليه وعالجه على كلّ حال ، فلوصفت عليه مائة تومان^(١) و عاش ساعة واحدة كان خيراً ، و الساعة من عمره أغلى من ذلك انتهى .

و هذه الواقعة كافية ، لأنّ تعلّمنا بما كان يعقده عليه أستاذه من الآمال و في الحقيقة كان ينظر بنور الله ، فقد كان كما أمّل رحمه الله ، و صدّق المترجم له ظنّ من تنبأ فيه ، و قد عاد ذكريات رجالنا الأبدال من السلف الصالح رضوان الله عليهم ، فهو بقيّة السلف لمعاصريه ، و مفخرة الخلف لنا .

ذكره تلميذه الصدر في التكملة فقال :

جمال السالكين ، و نخبة الفقهاء الربّانيين ، و عمدة الحكماء و المتكلّمين ، و زبدة المحقّقين والأصوليين ، كان من العلماء بالله ، وبأحكام الله جالساً [مجلس] الاستقامة ، تشرف عليه أنوار الملكوت ، إلى أن قال : و كان على منهاج السيد جمال الدين بن طاووس في القول و العمل ، حتّى في عدم الافتاء ، و عدم التصديّ لشيء من أمور الرياسة الشرعيّة ، حتّى صلاة الجماعة .

نعم كان يدرس فقهاً و أصولاً عن كتابه الذي كتبه في تقارير بحث أستاذه العلامة الأنصاري ، و يصلي جماعة في داره ببعض خاصّته من المؤمنين الذين ربّاهم ، وأخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة ، و طهّرهم بالرياضات الشرعيّة ، والمجاهدات العمليّة من كلّ دنية ، حتّى صاروا من عباد الله الصالحين السالكين في سبيله الخ .

(١) كان لهذا المبلغ شأن عظيم يومذاك ، فقل من كان يملك قدرها من اهل النجف ، و في النجف شارع معروف اسمه « عقد صد تومانى » . أقول وهذا المقدار في زماننا قرع « مليون » يضرب به المثل في الكثرة

و تلاميذه كثيرون جداً ، نذكر هنا بعضهم ، منهم : السيّد أحمد الكربلائيّ
 و صهر المترجم له عليّ ابنته السيّد أبو القاسم الاصفهانيّ ، و السيّد آغا الدولة
 آباديّ ، و الشيخ باقر القاموسيّ ، و الشيخ محمد باقر البهاريّ ، و الشيخ باقر
 النجم آباديّ ، و السيّد محمد تقّي الشاه عبدالعظيميّ ، و السيّد محمد تقّي الاصفهانيّ ،
 و الميرزا جواد آغا التبريزيّ ، و السيّد حسن الصدر ، و السيّد محمد سعيد الحبوبيّ ،
 و الشيخ آغا رضا التبريزيّ ، و الشيخ عليّ القمّيّ ، و السيّد عليّ الهمدانيّ ،
 و ولد المترجم له الشيخ عليّ ، و الشيخ محمد البهاريّ و هو أجلّهم و أعظمهم ،
 و السيّد محمود الطالقانيّ النجفيّ ، و الشيخ موسى شراره ، إلى غيرهم ممّن أشرنا ،
 و نشير إلى كلّ منهم ضمن ترجمته .

و كتب بعض تلامذته تقريراته في الأخلاق أيضاً ، كما عني آخرون بجمع بعض
 رسائله و مكاتباته و شذرات إملائه المشتملة على آداب السلوك فقد جمع الأديب الصالح
 الميرزا إسماعيل التبريزيّ نبذة من مكاتيب المترجم له ، و مكاتيب تلامذته ، و طبعتها
 في « ١٣١٩ » باسم « تذكرة المتّقين » كما أشرنا إليه في الذريعة ، ج ٤ ص ٤٦ .
 و توفّي في كربلاء زائراً في ٢٨ شعبان « ١٣١١ » ، و دفن في الصحن الشريف في
 الحجرة الرابعة الواقعة على يسار الداخل إلى الصحن من الباب الزينبيّ ، و أدّخ
 وفاته تلميذه السيّد محمود الطالقانيّ بقوله :

قضى الحسين فأنبرى	☆	القلب يحزّه الأسف
مضى لربّه وقد	☆	أحزن رزؤه الخلف
مقامه في خلد	☆	مذللّ أرخوا « الغرف »

اللهم لك الحمد على ما وفقنا لنشر هذا السفر القيم و الصحيفة الغراء
 و إبرازه أمام العتول الطاهرة و الافكار الزاهرة ليكون برنامجاً لسيرها الى
 حضرة العظمة و القدس ، ربنا و كما بدأت فتمم ، و كما أنعمت فزد لنكون
 ممن بدل السيئة بالحسنة ، و الادبار بالاقبال ، و النقص بالكمال ، و صلى
 الله على محمد و آله الطيبين المعصومين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين
و سلم [تسليماً].

أقول مخاطباً لنفسي : اعلم أيها العبد اللئيم الذميمة البطال أن هذه الأيام
والأوقات التي ولدت فيها إلى أن تموت ؛ بمنزلة منازل سفرك إلى وطنك الأصلي
الذي خلقت لمجاورته والخلود فيه ، وإنما أخرجك ربك ومالكك وولي أمرك إلى
هذا السفر لتحصيل فوائد كثيرة ، وكمالات جمّة غفيرة ، لا يحيط بها عقول العقلاء
وعلوم العلماء ، وأوهام الحكماء ، من بهاء و نور ، وسرور و حبور ، بل وسلطنة و
جلال ، و بهجة و جمال ، و ولاية و كمال ، فإن عملت برضاه ، و اتبعت هداه ، و
راقت وصاياه ، حصل لك من منافع هذا السفر أرباح عظيمة ، و فضائل جسيمة ،
التي لا يقدر على إحصاء أنواعها - فضلاً عن تعداد أفرادها - جميع الحاسبين ، ولا
يقدر قدر عظمتها أحد من العالمين ، بل ولا خطر على قلب بشر ، و لم ير منها عين
و لم يحك منها أثر .

فإن شئت تقرب هذا المعنى إلى فهمك ، و تصديق هذا المغزى بلبسك ،
من طريق المنقول ، ففي كتاب الله - جلّ جلاله - أنعم قبول « ولا تعلم نفس ما
أخفي لهم من قرّة أعين . وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها » وما في الأخبار المتواترة ،
في تضاعف نعم الآخرة ، كل جمعة إلى ما لا نهاية له ، بل وفي حديث المعراج : « أنظر
إليهم في كل يوم سبعين نظرة ، وأكلمهم كلّمًا نظرت إليهم ، وأزيد في ملكهم سبعين
ضعفاً » .

وأما من طريق المعقول فيكفيك التأمل في النعم الدنيوية الجسمانية ، وقياسها بالنعم الأخروية ، والله تعالى ما نظر إلى الأجسام مدخلها ، وعالم الآخرة عالم القرب واللقاء .

قال بعض المتألهة من الحكماء : الأشياء التي في بعض عوالم الآخرة كلها مملوءة غنى وحياء كأنها حياة تغلي وتفقور ، وجري حياتها إنما تنبع من عين واحدة لا كأنها حرارة واحدة أو ريح واحدة فقط ، بل كلها كيفية واحدة فيها كل طعام وإنك تجد في تلك الكيفية طعام الحلاوة والشراب و سائر الأشياء ذوات الطعوم و قواها ، و سائر الأشياء الطيبة الروائح ، وجميع الألوان الواقعة تحت البصر ، وجميع الأشياء الواقعة تحت السمع : أي اللحون وأصناف الإيقاع ، وجميع الأشياء الواقعة تحت اللمس ، وجميع الأشياء الواقعة تحت الحس ، وهذه كلها موجودة في كيفية واحدة مبسطة على ما وصفناه ، لأن تلك الكيفية حيوانية عقلية تسع جميع الكيفيات التي وصفناها ، ولا يضيق عن شيء منها ، من غير أن يختلط بعضها ببعض وينفسد بعضها ببعض بل كلها فيها محفوظة كأن كل منها قائم على حدة .

فتفكر يا إنسان أنك تكون فيما له دخل في مراتب منافع هذه الدنيا الدنية تعمل في حرركاتك و سكناتك كلها بما هو أنفع لك ، وأجلب لنفعك ، فلا تختار إلا الأرجح في ذلك ، بل تتعب نفسك ، وتضيع وقتك ، في تجويد مطعمك و مشربك ، وتلطيف منامك ، وأنت تعلم أنه لا يحصل من ذلك التعب إلا تفاوت يسير لا يدوم بل يزول بسرعة ، فكيف لاتعمل ذلك بالنسبة إلى منافع آخرتك التي فيها تفاوت عظيم مع دوام وخلود .

مثلاً إذا اشتريت بمالك متاعاً للتجارة ، ثم انتبهت أنك لو اشتريت مكانه متاعاً آخر لكان نفعه أزيد منه ضعف الأول مرة ، اغتممت من ذلك ، وتأسفت أسفاً شديداً ، ولمت نفسك لغفلتك عنه ، وعزمت إلى الاستظهار فيما بعد ، ولكن لا تغتم مما يفوتك في تجارة الآخرة من النفع بسبعين ضعفاً وأزيد ، وإن شئت تصديق ذلك

فانظر إلى ما ورد في تضعيف ثواب الأعمال ببعض الكيفيات الخاصة ، والأفراد الخاصة .
مثلاً صلاتك منفرداً في بيتك ، وصلاتك جماعة في الجامع مع إمام عالم تقى
لا سيما إذا كانت الجماعة كثيرة ، إنما يزيد تضاعف ثوابها على الألف ، ومع ذلك
أنت تسامح في اختيار الأتبع والأفضل ، ولا تغتم من فوت هذه الجماعة عشرين ما تغتم
من فوت نفع قليل من منافع التجارة الدنيوية .

فتأمل في هذا التواني لأمر الآخرة ، هل هو إلا من ضعف الإيمان بها ؟
فاحذر أن ينصرم هذا الإيمان الضعيف عند شدائد الأهوال ، لا سيما عند سكرات
الموت ، ويختم لك بسوء العاقبة ، واستعد لعقوبة كبر هم الدنيا من هم الآخرة ،
وتذكر فيما ورد في ذلك من قوله ﷺ : « من أصبح وأكبر همه الدنيا فليس من الله
في شيء ، وألزم الله قلبه أربع خصال : همماً لا ينقطع عنه أبداً ، وشغلاً لا يفرغ عنه أبداً
وفقراً لا ينال غناه أبداً ، وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً » ولا تغفل عما في قوله : « فليس
من الله في شيء » فإنه عقوبة عظيمة ما أعظمها .

وزن يا عاقل ! هذا الخسران العظيم والشقاوة العظمى في قسطاس عقلك ، مع
كل ما يتصور في هذه الدنيا من الخسران ، فانظر هل بينهما نسبة محدودة ؟ وتفكر في
مصيبتك في زمان المهلة ، ولا تقوِّت عن نفسك الفرصة ، وتجهز ليوم الحسرة والندامة
وطول مقام يوم القيامة ، وأهوال يوم الطامة ، وابك على نفسك التي عودتها في هذه
الدنيا بالنعمة والراحة ، من العذاب والنقمة ، ونكال يوم القيامة .

وقل : « يا إلهي وسيدي ومولاي لأيِّ الأمور إليك أشكو ، ولما منها أضحى و
أبكي ، لأليم العذاب والشدَّة ، أو لطول البلاء والمدَّة ، أو من العقرب والحية ، أو
المقام والسلسلة » .

لعلك تأخذ موعظتك من هذه الفكرة ، وتتأهب لسفرك بالتوبة الصادقة ،
وتمحو بالحسنة السيئة ، فإنَّ الربَّ ودودٌ غفورٌ ، والملك رؤوفٌ شكورٌ يقبل
التوبة عن عباده ، ويشكر القليل من حسناته ، بالكثير من مثوباته ، ويمحو
الخطيئات ، ويبدل السيئات بأضعافها من الحسنات .

وقل : يا أيُّها السّفيفُ العاطل ، والمجنون المماطل ، ياشقيّ الفعّال ، ويا قبيح الأعمال ، إلى م ؟ وحتىّ م ؟ أو كيف ؟ أو لماذا هذا التّواني والكسل ، والتسوّيف والمطل ؟ بل العصيان والطّغيان ، والجحود والكفران ؟ أمّا ترحم [ضعف] بدنك ، ورقّة جلدك ، ودقّة عظمك ، كيف تطيق مشاهدة هذه الأحوال العظيمة ، والشّدائد الفظيعة ، كيف يكون حال بدنك الذي هيّته من لبس المغزّل ، وعودّته القطن و الكتّان ، إذا لبس القطران ، ومن مقطّعات النيران ، و صفّد مع الشّيطان ، و أُلقي في نارٍ قعرها بعيد ، وحليتها حديد ، وشرابها الحميم والصّديد « يصبُّ من فوق رؤوسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، و لهم مقامع من حديد » فياله من شدّة ووبال ما أفظعه ، ومن صبّة (١) عذاب ما آلمه ، وخزي و نكال ما أفضحه .

أما كنت في الدُّنيا تنافس الأقران ، وتحاسد الأشراف والأعيان ، وتفاخر الأغنياء والأعزّة ، وتجرع من الفقر والذلّ غصّة بعد غصّة ، فكيف بك إذا جىء بك إلى المحشر مصفّداً ، مكبّلاً مغلولاً ، أسود الوجه ، أذرق العين ، ونظرت مرّة عن يمينك ، وأخرى عن شمالك ، إذ الخلائق في شأن غير شأنك « وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربّها ناظرة * و وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة » قد ألبسوا خلع الأمان ، وتوجّوا بتاج الملك والسّلطان ، وأُحيطوا بملائكة الرحمن ، وحفّوا بالروح والريحان ، والحدود والغلمان .

أما تقول : وهبني يا إلهي وسيدي ومولاي ، صبرت على حرّ ناركَ ، فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك ، أم كيف أسكن في النّار ورجائي عفوك ؟ .
وبالجملة إن كنت مؤمناً بالله ورسوله ، والكتاب الذي أنزله على رسوله ، فلا بدّ ولا حيلة إلّا بالانقلاص عن التّهوّن والتّهوين ، والتشمّر بكمال الجدّ وغاية السّعي ، وبذل الجهد والطّاقة في علاج هذه المصيبات الجليلة التي أوردتها على نفسك ، ولا تغرّن نفسك ولا يغرك بالله الغرور ، ولا يغرنّك حلمه وأناته ، فإنّ حلمه وإن كان كثيراً ولكن أخذه أيضاً شديد ، أما سمعت ما بلغ به عاقبة المغرورين

(١) منصبة - مصيبة خل .

بحلمه ، أما بلغك ما «فعل [ربك] بعباد» إرم ذات العماد وثمرود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد «أما تذكر ما فعل بأصحاب السيّات ، حيث ناموا أناسي» ، وأصبحوا قردة وخنازير ، وما فعل بأصحاب القرية حيث أمسوا في عافية ، وأصبحوا في هاوية ، أما تخاف أن يكون حالك مثل حالهم ؟ . من أين جاء لك الأمان ، من البيات والهوان ؟ وكيف ينام من يخاف النسمات وقد كان المراقبون من أهل العمل والاجتهاد يتصفّحون في كل يوم وجوههم مرّات عديدة ، هل بقي على حالها أم أسودّت من ظلم المعاصي ؟ وكيف بأهل الإهمال والتناسي ، والمنهمكين في الذنوب والمعاصي ؟ .

فعليك بالبدار والمسارعة إلى مغفرة من ربك ، وعلاج ما عملته في أمسك ، وتجهّز لتعمير رمسك ، فأنك إن صدقت في التوبة ، واجتهدت في التدارك والأوبة لوجدت الباب مفتوحاً ، والخطأ مصفوحاً ، والرب مقبلاً يمحو الخطيئات ، ويبدّل السيئات بأضعافها من الحسنات ، ويوصلك إلى رفيع الدرجات ، ويقبلك قبول الأب العطوف ، والأمّ الرؤوف ، والشفيق المشفق ، والمحبّ العاشق ، يكرمك بلطف الخطاب ، ويلبّيك في الجواب ، ويكشف عن بصيرتك الحجاب ، ويلحقك بالأحباب من ذوي الألباب ، وينظر إليك بعين الرّحمة ، ويتكلّم معك بالرّأفة ، ويكشف عن جماله النقاب ، ويرفع ما بينك وبينه من الحجاب ، يحبيبك من الخطاب^(١) ويخاطبك بالإكرام في الجواب ، وهو ملك الملوك ، وربّ الأرباب .

العجل العجل ، الربّ رحيمٌ رؤوفٌ ، والسيد ودودٌ عطوفٌ ، والملك جوادٌ عوادٌ ، وإليه حنانٌ منانٌ ، والحبيب قريبٌ ، والقريب مجيب .

وأبشّر يا ذا العقل والتّعريف ، والرّأي والتّصريف ، أن الرّاحل إليه قريب المسافة ، وأنّه لا يحتجب عن خلقه ، إلّا أن يحجبهم الآمال دونه ، فدع الأمانيّ والآمال ، فأنّه ذو الجلال والجمال ، والتّفضّل والنّوال ، والكرم والإفضال ، واقتصد نحوه وتعال ، فإنّ الحبيب قريبٌ ، والقريب مجيب .

نبّه العقل والفؤاد ، واترك الجحد والعناد ، واقتصد السيّد الجواد ، إله العباد

(١) يحتسبك من الخطاب : خ .

والبلاد ، فهو حاضر باد فإنَّ الحبيب قريبٌ ، و القريب مجيبٌ .
واعلمي يا نفس ! أنَّك تقدر على تحصيل قربه و رضاه ، في مدَّة يوم وليلة ،
بل في ساعة ولحظة ، إن علم منك صدق النيَّة ، وخلوص الطَّويَّة ، في ترك ماسواه
وقصد لقاه ، فإنَّه حاضر ليس بغائب ، و باد ليس بمحتجب ، و ظاهر ليس بمستور
وطالب ليس بمعرض ، ومقبل ليس بمدبر ، ومشتاق ليس بفارغ .

أما سمعت قوله لعيسى بن مريم على نبينا وآله وعليه السلام : «يا عيسى كم أُطيل
النَّظر ، وأُحسن الطَّلَب ، والقوم لا يرجعون» . أما تذكر الحديث القدسي : «لوعلم
المدبرون عني كيف انتظاري بهم ، وشوقي إلى توبتهم ، طاتوا شوقاً إليَّ ، ولنفرقت
أرصالهم» .

و روي أنَّه تعالى يقول : «عبدني بحقِّك عليَّ إنَّني أُحبُّك ، فبحقِّي عليك
أُحبُّني» . آه آه ، واحسرتاه ، وواخسراه ، ووا أسفاه ، ووا ثبوراه ، و واويلاه «على
ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين» لنفسي .

وإن لم تكن أهلاً لهذه الهمة ، فلامحالة من السَّعي الجميل ، وترك التَّضييع
والتَّعطيل ، بالرفق والمدارة ، والتَّأني والمماشة ، و عود نفسك بالخيرات فإنَّ
الخير عادة ، و حذرهما عن الشرور فالحذر عنها عبادة ، و إيَّاك وإيَّاك أن تتمحَّض
للغفلة في كلِّ حالاتك ، فتكون أضلَّ من الأنعام ، و من أراذل العوام . و من
بعض هذا الرِّفق أن تراقب أيَّام سنَّتكَ ، و تعمل ببعض ما ورد في كلِّ سنة مرَّة .
و أنا أكتب في هذا مجملًا ، أختار من الأعمال الواردة أهمَّها ، و أشير من
المراقبات إلى ألزَمها .

واعلمي علماً يقيناً أنَّك لا تقدر على إصلاح الظَّاهر إلَّا بإصلاح الباطن ، لأنَّ
مجاري الأعمال من عين القلب ، والقلب الصَّالح لا يأتي منه إلَّا العمل الصَّالح ، والقلب
الفاسد لا يجيئ منه إلَّا الفساد ، فالعمدة والأهمُّ إصلاح القلب وهو يتأثر من الخواطر
والمملكات السَّابقة ، والخواطر تنشأ ممَّا يحسُّ بالحواسِّ ، و من المملكات و المزاج
فمن لم يقدر على ذلك كلُّه فلا حيلة ولا علاج ، من الاحتراف بباب اللُّطف والكرم

من اللطيف الكريم ، والربّ الرحيم ، للتوفيق والتأييد والتسديد .
 فمن عرف عجزه عن إصلاح نفسه وقلبه بحقيقة المعرفة ، ورأى نفسه مضطربة
 إلى رحمة ربه بحقيقة الاضطرار ، مثل رؤية الغريق ، هلاكه في البحر العميق ، أو
 المبتلا بالحريق ، والتجأ عن وجه الاضطرار ، وسلم نفسه وقلبه وعمله ، و كل أمره ^(١) إلى
 ربه ، مع حسن ظنّ بعنايته ، فقد نجا وتخلص ، وفاز ونال ، فانه قادر لا يعجز ، و
 جواد لا يبخل ، وأمين لا يخون ، وقد قيل - ونعم ما قيل - : لا منتهى للمجاهدة من
 مكائد النفس والشيطان إلا بمعرفة العجز معرفة حقيقية ، والالتجاء إلى الله - جلّ
 جلاله - التجاءً صادقاً .

فكل أمرك ، وسلم سرّك وروحك ، و قلبك وقلبك ، و إيمانك وعملك إلى
 ربّك ، فانه لا يخونك ولا يجفوك ، وليس بربّ جاف .
 ثم يفرض نفسه حاضراً بين يدي الله - جلّ جلاله - ويقول مخاطباً عن الحضور :
 أتقول : لا ، ويكون التلفّظ بلفظة « لا » أثقل عليه من الجبال ، ثم يقول : فان قلت : لا ،
 فيا ويلي يا ويلي ، ويا غوثي يا غوثي .

ثم يتفكّر في خزي ردّه تعالى له في جميع عوالمه وآثاره ، في عقله وروحه ،
 وقلبه وبدنه ، ثم ينوح على ذلك كله واحداً بعد واحد ، ويقول : يا ويل عقلي إن
 حجبه ربّي وسيدي ، كيف يكون حاله إذا احتبس عن مقام النور ، وشرف الحضور
 و عن درجة التمكين مطاع ثم أمين ، و صار عابداً للهوى ، و مطيعاً لخنزير الشهوة
 وخادماً لكلب الغضب ، وحجب عن مجاورة الأُطيبين ، وقرب ربّ العالمين ، فمسوخ
 عن حقيقته ، فصار شيطانياً مفتناً ، وإبليساً مدلساً .

ثم يذكّر ما يصل إلى روحه من النكال ، من ردّ الملك المتعال ، ويقول : فيا ويل
 روحي إن منّ عن جوار الله ، و التعلّق بعزّ القدس ، و طُرد عن مجلس الأنس ،
 وحجب عن العلّيين ، وصار في مهوى دركات السجّين ، و قرن مع الشّياطين .
 ثم يذكّر قلبه ويقول :

« أيا ويح قلب من به مثل ما بيا » -

(١) وسلم نفسه وقلبه وعمله وكله إلى ربه : خ .

— إذا منع عن ذكر الرحمن ، ومحبة الحنان المنان ، و مال إلى الشيطان ، وعشق هذه الدنيا الدنيّة ، واستهتر في حبّها ، ووقع في حبّها ، وأخلد إلى الأرض « فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث [وإن تتركه يلهث] » واسودّ من ظلم المعاصي واعتاض من ذكر الله تعالى بالتناسي ، ومن العلوم بالوسواس ، فطبع عليه ولم يبق له طريق إلى الخلاص .

ثمّ ينوح أجزاء بدنه واحداً بعد واحد ، ويخاطب رأسه فيقول : يا رأس ! كيف بك من غضب الرحمن إن عدّ بك في الدنيا ، ومسحك برأس القردة و الخنازير ، أو سودّ وجهك وفضحك بين العالمين ، أو أعمى بصرك ، أو أصمّ سمعك ، أو أخرس لسانك ، أو شوّه خلقك ، أما رأيت و سمعت رؤوساً كثيرة من العصاة ، غضب عليهم الرحمن ، وعدّ بهم بذلك أو بغيرها من المخازي ، أو أرسل إليهم ناراً فأحرقها في الدنيا وساقها بعده إلى نار الآخرة . أو آخر أخذك بما بعد الموت ، وما بعد الموت أخزى وأدهى .

فيأذا العقل والتّعريف ، والرأي والتّصريف ، أما تذكر أحوال القبر والبلى والدُّود والبلوى ، إذا غيّبت في الشّرى ، يأكل التّراب لحملك ، ويدخل الدُّود في أنفك ، ويجري حدقتك ^(١) على خدك ، وتبدّل من المنظر النّظيف ، و الجمال اللّطيف ، إلى الحطب الكثيف ، فيرمل وجهك في الشّرى ، ويقبر في الغبراء ، فيرهقه قتر وذلّة ، وبؤس ومذلّة ، و كسر ومثلة ^(٢) .

فانظر في مرآت عقلك جمال صورتك ، وتأمّل في قبح منظرك وشوهتك ، وخذ من هذه السّوانح موعظتك ، ثمّ اعطف عنان فكرك في عذاب الآخرة والجحيم ، و تدبّر في الحميم ، الذي يصبّ على رأسك « يصهر به مافي بطونهم و الجلود ، و لهم مقامع من حديد » وألقي في نار حرّها شديد ، و قعرها بعيد ، و حليتها حديد ، و شرابها الحميم والصّديد .

و بالجملة ينوح على أعضائه واحداً بعد واحد ، ويذكر ما يفعل بها إن كان من أهل العذاب ، وإن شاء أن يجعل نوحه كلّ ليلة بواحد منها ، وإن شاء يقرء في بعض الليالي ما رواه الزّهري من نوح السجّاد عليه السلام على نفسه بالنّثر والشّعـر .

(١) في الاصل [حديقتك] ولعله على التصغير .

(٢) وكبير ومثلة : خ .

ويجعل ليلة من لياليه أيضاً ينوح فيها على [قله] حياته، فيذكر أولاً من جميل صنع الله عليه، وطول أناته، وحسن طلبه ولطفه، فيدعوه إلى خلوته وقربه، ومجلس أنسه، ثم يذكر معاملته مع هذا الربّ الجليل، ويتأمل فيما يجب عليه في قبال هذه الكرامات العظيمة، ويندب وينوح على مروءته، وحيائه ووفائه، ويقول: فواسوأته وواخجلته من افتضاحي وقلّة حيائي، هذا ربّي وسيدي ومنعمي، ملك الملوك، جبار الجبابرة، أكرم الأكرمين، هو يدعوني إلى ذكره، ومجالسته والأنس معه، وهو ملك الملوك، أغني الأغنياء، وإله الأرض والسماء، وأنا أستثقل من قبول هذه الكرامات العظيمة، وأنا أذلّ الأذلاء، فقير من كل الجهات، بل فقر محض، ولا شيء مفلس، مرهون نعمه، موجود بعنايته، حيّ بحياته، مرزوق بنعمته، مقصّر جان في خدمته. كيف؟ لولا حلمه عني وقد أمهلني وشملني بستره، وأكرمني بمعرفته، وهداني السبيل إلى طاعته، وسهل لي المسلك إلى كرامته، وأحضرني سبيل قربته، وتحبّب إليّ بنعمته، وأرسل لدعوتي إلى مجلس كرامته، والاستئناس بمناجاته، أكرم خلقه عنده، وأحبّ عباده إليه، ولم يقنع في إكرامي بنعمة دون أخرى، بل كرامة فوق كرامة، حتّى أعزّني بارسال ملك في كلّ ليلة إلى دعوتي، فكان جزاؤه منّي أن كافأته عن الإحسان بالإساءة، وقبح المعاملة، حريصاً على ما أسخطه، سريعاً إلى ما أبعد عن رضاه، مستبظاً لمزيدة، مستسخطاً لميسور رزقه، مستبضاً لجوائزه^(١) بعمل الفجّار، كالمرصد رحمته بعمل الأبرار، أتمنّى عليه العظائم كل مدلّ إلا من من قصاص الجرائم.

فانّ الله وإنّا إليه راجعون، مصيبة عظم رزؤها، وجلّ عقابها، فما أقبطني وألأمني، وما أفضحني وأشنعني، وأقلّ حيائي، وأعدم وفائي، حين جاهرته بالكبائر، مستخفياً عن أصغر خلقه، فلا راقبته وهو معي، ولا راعيت حرمة ستره عليّ. آه واسوء صباحاه، بأيّ وجه ألقاه، بأيّ لسان أناجيّه، وقد نقضت اليهود والأيمان بعد توكيدها، ودعوته حين دعوته وأنا متقحم في الخطايا، فأجابني وهو غنيّ

(١) واستظهر بعض الفضلاء أن الصحيح [مستقضياً لجوائزه].

عَنِّي، وسكت عنه فابتدأني، ودعاني فلم أجبه، وأقبل عليّ فأعرضت عنه، فواسواتاه
وقبيح صنيعاه، أية جرأة تجرأت، وأيّ تغرير غررت بنفسي، فيالله من هذه العظائم
الفظيعة، والأحوال الشنيعة الفجيعة.

فوعزّتك وجلالك ياسيدي ومولاي، ويا ملجائي ومنجائي، لو كان لي جلد على
عذابك، وقوّة على انتقامك، ما سألتك العفو عَنِّي، بل دعوتك إلى عذابي وعقابي،
سخطاً على نفسي [ولؤمها] كيف عصيتك بعد هذه الكرامات الجليلة؟ وأقبلت عليها
وأعرضت مدبرة عنك بعد هذه الألفاظ الجميلة، ويا سبحان هذا الربّ الودود،
و يا سبحان هذا الحلم العظيم، ويا سبحان هذا اللطف الألف، فقد فتح لأمثالي
من العصاة اللئام، والطغاة الملام^(١) باب التوبة، ولم يمنعه عن الأوبة، و وعد التائب
القبول، وعفان السيئات، وبدّلها بأضعافها من الحسنات.

وبالجملة يكون جدّه في إظهار حقيقة جنایاته، وما يعرفه من كرامات ربّه،
ليكثر حسراته، ووجده وبكاؤه، فيؤثّر في نزول الرّحمة، وشمول الكرامة.
ثمّ إنّّه من أهمّ المهمّات أن يتوسّل في آخر كلّ ليلة بخفراء اللّيلة، و
حمّة الأُمّة من المعصومين عليهم السلام ويسألهم ويسألهم أن يشفعوا له عند ربّه بالقبول
وبتبدیل السيّئات بالحسنات، و[أن] يجعلوه من همّهم، وحز بهم ودعاتهم، ويرغبوا
إلى الله في أن يرضى عنه ويقبله ويلحقه بهم، ويجعله من شيعتهم المقرّبين، وأوليائهم
السّابقين السّالّفين هذا.

(١) جمع ملیم قال الفيروز آبادی : لام لوماً وملاماً وملامة فهو ملیم و ملوم .

[الفصل الأول]

﴿ في مراقبات شهر محرم الحرام ﴾ (١)

ومن مهمات (٢)

ينبغي لأولياء آل محمد صلوات الله عليهم بحكم الولاية و الوفاء ، والايمان بالله العلي العظيم ، و الرسول الكريم ، أن يتغير حاله في العشر الأول من المحرم فيظهر في قلبه ووجهه وهيئته آثار الحزن والتفجع ، من هذه المصائب الجليلة ، و الرزايا الفجيعة ، ويترك بعض لذاته لا محالة ، في مطعمه ومشربه ، بل منامه وكلامه ويكون بمثابة من أصيب في والده أو ولده ، ولا يكون حرمة ناموس الله جل جلاله وحرمة رسوله العزيز وحرمة إمامه ، أهون عنده من حرمة نفسه وأهله ، ويكون حبه لنفسه وولده وأهله أقل وأدون من حبه لربه ونبيه وإمامه - صلوات الله عليهم - والله تعالى يقول : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم - إلى أن قال - أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترسوا » .

وقد رأيت بعض أولادي الصغار ترك في العشر الأول في مأكله إلا دام ، وكان يأكل الخبز الخالي ! ولم يكن - فيما أعلم - أن يقول له ذلك أحد ، وظننت أن حبه الباطني بعثه على ذلك .

فإن لم يسمح بذلك نفسه في العشرة كلها ، فلا محالة يتركه في اليوم التاسع والعاشور ، واللييلة الحادية عشر ، ويزور لا محالة في العشر الأول كل يوم بالزيارة المعروفة بالعاشورا ، ويترك في العاشورا الأكل والشرب إلى العصر ، بل والتكلم إلا عن ضرورة ، ولقاء الإخوان ، ويكون يوم حزنه وبكائه .

فإن قدر أن يقيم عزاء عليه السلام في بيته خالصاً لله فليفعل ، وإلا ففي المساجد وأبيوت أصدقائه ، ويخفي ذلك عن الناس ليبعد عن الرياء ويقرب من الإخلاص ، وأن يحضر

(١) بياض في الأصل . وإنما أثبتنا عنوان الفصل طبقاً للفصول الآتية . (٢) كذا .

بعض يومه في مجامع العزاء و يخلو في الباقي ، و يكون نظره في الحزن و البكاء
 مواساة أهل البيت - صلوات الله عليهم - و ما أصاب الحسين عليه السلام من جهة الأعداء من
 الصدمات الظاهرة ، و لكن لا يغفل أنه عليه الصلاة و السلام وإن كان يصيبه في
 الظاهر من الصدمات ما لم يسمع أن يصيب مثله أحداً من الأنبياء والأوصياء ، بل
 أحداً من العالمين - لاسيما عطشه الذي ورد فيه ما لا يحتمله العقول من ألفاظ الأحدث
 القدسية وغيرها ، ومصيبته من جهة المستشهادين من أهله ، و المأسورات من حرمة ،
 فكأنه عاهد مع الحبيب أن يتحمل في رضاء القتل بكل ما يقتل به سائر المقتولين ،
 من الذبح و النحر و الصبر و الجوع و العطش و الأحزان وغيرها - ولكن كان يصل
 مع ذلك إلى روحه الشريف من بهجات تجليات أنوار الجمال ، و كشف سبحات
 الجلال ، و شوق اللقاء و الوصال ، ما يهون به تلك الشدائد ، بل يحول شدتها إلى
 اللذة كما أخبر عنه بعض أصحابه ^(١) حيث قال : وكان كلما اشتد عليه الأمر
 لونه و ابتهج حاله . ولكن المصيبات و الشدائد الواردة على جسده المبارك ، و على
 قلوب أهل بيته المحترمين ، و ما هنالك في الظاهر من حرمة ، إنما يذهب الأرواح
 و يهيج الأحزان .

فليظهر من كان من أوليائه أيضاً من المواسات بسيد السادات بالحزن و الفجيعة
 ما يناسب هذه المصيبة الجليلة ، فكأنها وردت على نفسه ، و على أعزته ، و أولاده و

(١) لما اشتد الأمر بالحسين بن علي عليهما الصلاة والسلام نظر إليه من كان معه فاذا هو بخلافهم
 لانهم كلما اشتد الأمر تغيرت ألوانهم ، و ارتعدت فرائضهم ، و وجلت قلوبهم ، و كان الحسين عليه السلام
 و بعض من معه من خواصه تشرق ألوانهم ، و تهدأ جوارحهم ، و تسكن نفوسهم .
 وقال بعضهم : انظروا لا يبالي بالموت فقال لهم الحسين عليه السلام صبراً بنى الكرام ، فما
 الموت الاقنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء الى الجنان الواسعة و النعيم الدائمة ، فايكم يكره
 أن ينتقل من سجن إلى قصر ، و ما هو لاعدائكم الا كمن ينتقل من قصر إلى سجن و عذاب ، إن
 أبى عليه السلام حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر
 و الموت جسر هؤلاء إلى جناتهم و جسر هؤلاء إلى جحيمهم ما كذبت و لا كذبت اه .

أهله ، فإنه عليه السلام أولى بهم من نفسه بنص جدّه صلوات الله عليه وآله وإنّه صلوات الله عليه قبيل هذه المصائب ، وفدى بنفسه الشريفة لشيعة ، لينجيهم من العذاب الأليم وأيتّم أولاده وأعزّته ، ورضي بأسارة حرمه ونسوته ، وزينبه وسكنته سلام الله عليهما وذبح أصغره وأكبره ، وإخوته وعترته ، لينقذهم من الضلالة والافتداء بالمضلين الهالكين المهلكين ، لئلا يعذبوا بالنار ، وينجوا من عظيم الأوزار .

وقد تحمّل هذا العطش العظيم ليسقي شيعة من عطش يوم القيامة بالرّحيق المختوم ، فيجب بحكم كرائم الصفات ، في الوفاء والمواسات ، أن يبذل شيعة أيضاً له ما بذله صلوات الله عليه لهم ، و فدوا بأنفسهم له كما فدى لهم بنفسه ، وإن فعلوا ذلك لما أدّوا حقّ المواسة لأنّ نفسه الشريفة لا يقاس بالنفوس لأنّه بمنزلة نفس النبيّ الكريم وهي علّة إيجاد العالمين ، وسيّد الخلائق أجمعين ، من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، وهو حبيب الله وحبيب حبيب الله .

ويقول في صادق المقال ولسان الحال : ياسيّدي ياليتني كنت فداءً لك من جميع هذه البلايا ، وجلّ هذه الرّزايا ، فياليت أهلي وأولادي كانوا مكان أهلك وأولادك مقتولين مأسورين ، وياليت سهم حرملة - لعنة الله عليه - ذبح رضيعي ، وياليت ولدي - علياً - قطع عوض ولدك إرباً إرباً ،^(١) وياليت كبدي تفتّت من شدة العطش ، وياليت العطش حال بيني وبين السّماء كالذّخان ، وياليتني فديتك بنفسي من ألم هذه الجراحات ، وياليت ذاك السهم كان بمنحري ، وياليت ذاك السهم كان بمهجتي ، وياليت حرمتي وأخواتي وبناتي وقعن في هوان الأُسْر ، ويُسقن في البلاد سوق الإماء ووضع بذلك عن أهلك الذلّ والهوان ، فياليتنا دخلنا النار ، وابتلينا بالعذاب ، و دفع عنكم هذه المصائب .

فان كان الله جلّ جلاله علم من قلبك صدق هذه المقالات ، قبلك لصدق المواسة لأكرم السّادات ، وأقعدك مقعد الصّدق في جوارهم ، وجعلك من أهل ديارهم ، ولكنّ الحذر الحذر من الغرور في الدّعوى ، وإظهار هذا الرّضا بالبلايا ، ولا يصدّقك حالك وقلبك بعشر عشرها ، ولا تقبل عند الامتحان إلا قليلاً من كثيرها ، فبدّل مقعد

(١) كان للمؤلف قدس سره ولد يسمى علياً .

الصّدق ودرجة الصّدّيقين ، بهوان الكذب وأسفل درك المنافقين .

فإن لم تجد نفسك تسمح بمثل هذه المواساة ، فلا تظهر الدّعوة الكاذبة ، ولا تهن نفسك ، فقل: ياليتني كنت معك ، وأُقتل دونك ، وفزت فوزاً عظيماً ، وإن لم يصدّقك حالك بحقيقة هذا التمنيّ أيضاً ، فعالج مرض قلبك من حبّ هذه الدنيا الدنيّة ، والرّكون إلى حياتها ، والاعتذار بزخارفها ، وتأمّل فيما خاطب الله به اليهود وقرأ قوله تعالى : « يا أيّها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون النّاس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين » .

ويقرء في آخر اليوم زيادة التسلية ، ويختتم يوم عاشورا بتوسّل كامل ، بحامي يومه وخفيّره من المعصومين عليه السلام في إصلاح حاله وعزائه مع الله - جلّ جلاله - ومع الحسين وجده وأبيه وأمه وأخيه عليه السلام ويعتذر عن تقصيره .

وأما سائر أعمال العشر الأوّل : فمن المهمّات دعاء أوّل الشّهر فإنّه من جهة كونه أوّل السنة مؤكّد عند التأمّل الصّادق ، للعبد المراقب ، لاسيّما للعافية والاحترار من آفات السنة ، الدنيّة والدنيويّة ، واستصلاح الحال فيها ، واستجلاب الخيرات فإنّ في الدّعاء قبل الوقت تأثيراً خاصّاً للمهمّات ، وقضاء الحاجات ، والدّعاء المروئيّ في الاقبال دعاء كامل لهذه الجهات جدا .

والأوّل أن يصليّ في اللّيلة الأولى من الصّلوات الواردة أيضاً بعضها على حسب نشاطها فلا أقلّ من الرّكعتين اللّتين يقرء فيهما الحمد وإحدى عشر مرّة قل هو الله أحد ، ويدعو بالدّعاء المروئيّ في الاقبال ، الذي دعا به النبي صلى الله عليه وآله بعد صلاة ركعتين . ويصوم صبيحتها ، وقد ورد لمن فعل ذلك أنّه كمن يدوم على الخير سنة ، ولا يزال محفوظاً من السنة إلى القابل ، فإن مات قبل ذلك صار إلى الجنّة ويصوم اليوم الثالث وقد ورد أنّه يوم خروج يوسف - على نبيّنا وآله وعليه السلام - من الجبّ ، فمن صامه فرج الله عنه الكرب ، ويسرّ له الصعب .

و ورد أيضاً استحباب صوم الشهر كلّّه ، و ورد خصوص صوم التّاسع والعاشر ولكنّ الأحوط ترك صوم العاشورا ولكن يمتنع من الطعام والشراب إلى العصر ،

ويفطر عند العصر من جهة انخلاص الحسين - صلوات الله وسلامه عليه - وأصحابه من هموم هذه الدنيا الدنيّة ، وفوزهم و وصولهم إلى مطلوبهم من لقاء الله جلّ جلاله في ذلك الوقت ولعلّه لذلك يترأى لمواليه المتعزّين بعزائه في عصر هذا اليوم من خفّة الهموم وانفراجها .

وأما سائر أعمال ليلة العاشوراء ويومها من الصلوات والدعوات - غير الزيارات و صلواتها - ففي النفس منها شيء ، ويحتمل وضعها من المخالفين كوضع استحباب الاشتغال وغيرها ولو كانت واردة أيضاً يمكن أن يحكم بترجيح الاشتغال بمراسم التعزية و الصلوة له و المستشهدين بين يديه و لعن قاتليهم ، عليها^(١) ، فإنّ تأسّ كيدها أيضاً ثابت من الروايات .

ثم إنّ من اللوازم العقلية زيارة أهل بيته المستشهدين بين يديه و زيارة أصحابه الشهداء لاسيّما بالزيارة المأثورة وإقامة عزائه عليه السلام .

والمهم في هذا الباب وفي كلّ باب أن يراقب فيما يعمله أن يكون بنية ولا يكون على الرّسم والعادة ، و أن يكون النية خالصة ، و يكون صادقاً في إخلاصه فإنّ العمل القليل عن نية خالصة صادقة خير من الأعمال الكثيرة الخالية عنها ، و إن بلغ كثرتها بآلاف أضعافها ، اعتباراً بعبادة آدم عليه السلام وإبليس ، فإنّ عبادة آلاف سنين منه لم يؤثّر في منع الخلود في النار ، و توبة واحدة من آدم صار سبباً للعفو عن خطائه ، ولا جتباؤه و اصطفاؤه ، وإن كان الإخلاص الصادق لا يمكن أن يتأتّى من أغلب النّاس بل ومن كلّهم إلا بلطف خاص من الله اللطيف بعباده إلا أنّه تعالى بكرم عفوّه قد يرضى عن العبد ببذل طاقته ودونها إن عرف واقعاً أنّه عاجز ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله وهذه المعرفة إنّما يضطرّه إلى اللجوء بالله و الالتجاء إلى عنايته وهذا الاضطرار إنّما يدخله في مفاد قوله « أم من يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء » ويفتح له أبواب عنايات ربّه الكريم ، لأنّه كريم يحبّ الكرامة لعباده المضطّرين إليه ، المحترفين على بابه .

ثم إنّ ألزم ما يجب مراعاته في مقام العمل أن يراعي قلبه حتّى لا يدخل في

(١) يتعلق بترجيح الاشتغال .

نية عمله مراعاة الناس ولدّة ثنائهم ، ويستكشف ذلك بأن يقيم العزاء مثلاً في بيت صديقه بحيث يظنّ الناس أنّ المقيم صديقه ، ثمّ ينظر في قلبه هل يتغيّر من ذلك ويتفاوت حاله في ثقل مؤونة العزاء ومخارجه ، وخفّته ، ومسرّته من شوكه مجلسه ، أو خفّته بما إذا علم الناس أنّه مقيم العزاء أو لم يعلموا ، وإن لم يرتقوا فليُنظر هل رغبته في دعوة القرّاء المعروفين الذين يقرؤون في مجالس الأعيان ، أم لا ، لاسيّما إذا كان قراءتهم أدون شرعاً - من جهة الصحّة أو غيرها - من غير المعروف ، أو كيف ميله بكون أهل مجلسه من أعيان الناس أو أعيان العلماء أو فقرائهم .

فان تأمل في هذه الكواشف ، يرى أنّ للرياء في عزائه مدخلاً عظيماً ، فليستظهر في عمله بالإخفاء والستر ، بأن يقيم العزاء في بيت صديقه ، ويوصي إليه بالكتمان ، ويهتمّ لتصحيح عمله ، بأن يدعو للقراءة قارئاً صادقاً متّقياً ، ويسوّي في إكرام الحاضرين من الأغنياء والفقراء ، بل يرجّح بالترجيحات الشرعيّة الدينيّة لا الدنيويّة فإنّ في تصحيح كميّات خصوصيات الأعمال أسرار كثيرة لها دخل في القبول وتضاعف الأجر .

ثمّ إنّ يتأكّد البيوتة ليلة العاشورا عند [قبر] الحسين عليه السلام وروى الشيخان أنّ « من زاره وبات عند قبره ليلة العاشورا حتّى يصبح حشره الله ملطّخاً بدم الحسين عليه الصلاة والسلام أولقي الله يوم القيامة ملطّخاً بدمه .

ثمّ إنّ روي عن المفيد عليه الرّحمة أنّ في ليلة إحدى وعشرين من المحرمّ كان زفاف سيّدة نساء العالمين كلّها إلى دار سيّد الأوصياء وخاتم الأولياء أمير المؤمنين صلواة الله وسلامه عليهما وعلى آلهما الطّاهرين ، فيستحبّ صومه شكراً لله .

أقول : و قد اختلف في ذلك فمن أراد الاستظهار و التفتّش لما في هذه اللّيلة الشريفة من عظيم منن الله على خواصّ أوليائه و عموم المسلمين ، وأنّ بناء جميع الخيرات المنتشرة في العالم من بركات وجودات الأئمّة الأحد عشر ، و بركات هداياتهم وتصرّفاتهم و أنوار تربّتهم ، لاسيّما بركات أنوار الإمام القائم الذي به يتمّ عنايات الله جلّ جلاله لأهل الدين من هذه الأئمّة ، و سائر الأئم في الدين و

الدنيا ، ويظهر عدل الله الأعظم ويكون الدين كله لله ، كلها في هذه الليلة ، لابد أن يتحرك نفسه بشكروا هب النعم إما بصوم أو غيره من العبادات والقربات .
والمرجوه لمن راقب أمثال هذه الأيام بتعظيم وإجلال أن يدخل في زمرة من وصفهم الله جلّ جلاله في كتابه الكريم بتقوى القلوب حيث قال : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » فان تأثير المراقبات إنما يكثر ويعظم بالأمر الدقيقة اللطيفة وكلما زاد اللطف والدقة ازداد العمل شرفاً ونوراً ، فالشكر عند احتمال النعمة [و] لطفه في المراقبة على الشكر عند يقينها لا يخفى على ذوي الألباب فكيف بربّ الأرباب ، هذا .

وقد أشرنا سابقاً أن لخروج شهر محرم الحرام تغييراً وتأثيراً لأهل المراقبة فان الخروج من حمى ملك الملوك تعالى حقاً للعبيد ، ومن حقه أن يناجيه تعالى بواسطة خفير يومه من المعصومين ، ويعترف أولاً بأنني لم أكن مستحقاً لهذا الأمان ، بل كنت أستحق بأعمالي وحالاتي وملكاتي كلها منك الخزي والهوان ، بل العذاب الأليم ، فبفضلك التي ابتدأت به ذلك الأمان ، وتفضلت على عبيدك بالشهر الحرام لاتخرجنا بخروجه من أمانك وحماك ، حتى توصلنا إلى دار السلام ، ولا تؤاخذنا بتقصيرنا في حق أداء شكرك ، ورعاية أدب حرمة ، بل عاملنا بكرم عفوك الذي يبدل السيئات بأضعافها من الحسنات ، ويوصلنا إلى رفيع الدرجات ؛ ويختمها بالصلوات والمشيئة (١) .

ثم إن هذا الذي ذكرنا من مراقبة آخر المحرم فهو غير ما يلزم المراقب في أواخر سائر الشهور ، من جهة رفع الأعمال فيها فان له من المحاسبة والاستغفار واستصلاح الشأن بالدعاء مع الله جلّ جلاله تكليفاً خاصاً يذكر في كتاب المحاسبة من كتب الأخلاق .

﴿ الفصل الثاني ﴾

﴿ فيما يتعلق بشهر صفر الخير ﴾

أقول : المعروف أنَّ شهر صفر فيه نحوسة لا سيما يوم أربعائه الآخرة ، ولم يرد فيه شيء مخصوص من الروايات ، إلا أن يكون ذلك لأجل أنَّ فيه وفات رسول الله ﷺ وورد عنه ﷺ : « من بشرني بخروج صفر بشرته بالجنة » وهذا أمر يحكم به العقول ، وإذا صحَّ ذلك فللمراقب أن يستقبل هذا الشهر بما يليق به ، و يجعله من مواسم المصائب الجليلة ، ويناجي مع الله جلَّ جلاله في ذلك ببث الشكوى من غيبته ﷺ وفقد بركات أنوار حضوره ، وماترتب على وفاته من فتن الأمة ، و طغيان المنافقين ، وغشم الظالمين ، وكيد المعاندين . واتفق في هذا الشهر من الأمور المهمة المهمة للأحزان أنَّ يوم العشرين منه أربعين الإمام الشهيد ، عليه سلام الله الملك المجيد ، ومحتمل أن يكون دفن رأسه الشريف أيضاً فيه .

في الاقبال أنَّ إعادة رأس مقدَّس مولانا الحسين صلواة الله عليه إلى جسده يشهد به القرآن العظيم المنيف ، حيث قال الله جلَّ جلاله : « ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » فهل بقي شكٌ حيث أخبر الله أنَّه من حيث استشهد حيٌّ عند ربِّه مرزوقٌ مصونٌ فلا ينبغي أن يشكَّ في هذا العارفون وأما كيفية إحيائه بعد شهادته ، وكيفية جمع رأسه الشريف إلى جسده بعد مفارقتها فهذا السؤال يكون فيه سوء أدب من العبد على الله جلَّ جلاله أن يعرفه كيفية تدبير مقدوراته ، وهو جهل من العبد ، وإقدام لما لم يكلف العلم به ، ولا السؤال عن صفاته - إلى أن قال - فليقتصر الإنسان على ما يجب عليه من تصديق القرآن من أنَّ الجسد المقدَّس تكمِّل عقيب الشهادة ، وأنَّه حيٌّ يرزق في دار السعادة ، ففي بيان الكتاب العزيز ما يغني عن زيادة دليل وبرهان انتهى .

أقول ظاهر هذه البيانات أنَّ سيِّدنا وقدوتنا - قدَّس الله سرَّه العزيز - كأنَّه

فهم من ظاهر الآية الكريمة أنَّ الحياة التي للمقتولين في سبيل الله - وأشير إليها في هذه الآية الشريفة - إنَّما يستلزم استكمال هذا البدن ، فتكلَّم في ذلك بما ذكر وهو كما ترى . ولعلَّه عرف ذلك الاستلزام من غير الآية الشريفة من الأدلَّة التي لم يصل إلينا ، أو لعلَّ مقصوده من كلماته خفي علينا .

وأيضاً ما ذكره أنَّ السؤال من كَيْفِيَّةِ الأحياء ، وجمع رأسه الشريف مع الجسد سوء أدب على الله جلَّ جلاله أن يسأله أن يعرِّفه كَيْفِيَّةَ تدبير مقدوراته وهو جهل من العبد انتهى ، لم يتَّضح مقصوده - رضوان الله عليه - من هذا الكلام ، لأنَّ السؤال من جهة المعرفة والفهم ، من كَيْفِيَّةِ مقدوراته جلَّ جلاله أمر معمول بين العلماء بل الأولياء وسؤال تعريف هذه المراتب منه - جلَّ جلاله - سؤال لزيادة المعرفة ، وهو أمر مرغوب فيه عند أهلها ، ولكنَّه يمكن أن يكون مراده غير ظاهر كلامه ، وهو أعلم بما قال .

وكيف كان يلزم على الرجل المراقب أن يجعل يوم الأربعين يوم حزنه ، و يسعى أن يزوره صلوات الله عليه عند قبره ^(١) ولو مرَّة في عمره ، لمكان الخبر الشريف الوارد في [أنَّ] علائم الشيعة - أو المئو من - الخمس : صلاة إحدى وخمسين ، وزيارة الأربعين والتختُّم باليمين ، وتعفير الجبين ، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم . وإن لم يمكن إتيان قبره الشريف ، يزوره في أي مكان كان ، كما أنَّه يلزمه بعد العلم بهذه الرواية أن يكون قيده ومراقبته بجميع ما في هذه الرواية من العلائم أكثر من كونها مستحبات حتَّى أنَّه يلزمه أن لا يتختَّم باليسار أبداً ، ولا يصغي لما قيل من جوازه إذا كان متختِّماً باليمين أيضاً وإن كان القائل به من أعيان الفقهاء ، لما يظهر من بعض الأخبار لاسيَّما الأخبار المروية في مستدركات الوسائل للفاضل النوري قدس سره أنَّ الأخبار المبحوذة فيه وردت مورد التقيَّة ، وإن كانت من بعض الوجوه ، ومن أراد العلم بذلك [عن تحقيق] فليراجع الكتاب المذكور .

ويختتم يوم الأربعين بما يختتم به الأوقات المهمة بمراجعة هامة اليوم من أئمَّة الدين صلوات الله عليهم أجمعين في استصلاح العمل والحال ، مع الله جلَّ جلاله .

(١) في الأصل : [في قبره] .

ثم إنه يجب أن يكون حاله يوم وفات رسول الله ﷺ في التأثر وإظهار العزاء لاثقاً لما وقع فيه من هذا الأمر العظيم ، وترتب عليه من الأمور العظام فيما بعد ويزوره ﷺ ببعض زياراته الواردة أو ينشئ هو في ذلك زيارة مناسبة بما يفتح الله عليه ويدكر فيها ما قاله صلوات الله عليه وآله من حديث كون حياته ومماته خيراً لأُمَّته ، وأن يظهر الحياء ممّا يصله ﷺ من مساءة العلم بسيئاته .

ثم يشير فيها إلى أمّهات المصائب الواردة على بضعته وحبيبته ، ونفسه وخليفته وعترته وذريّته ، ويقول : يا رسول الله وكيف بك لورأيت سيّدة نساء العالمين تندبك وتقول : يا أبتاه ، واصفيّاه ، وامحمّدها ، واربيع الأرامل و اليتامى ، من للقبلة و المصلّى ، ومن لابنتك الوالهة الثكلى ، وكيف لورأيتها بين الباب و الجدار ، وكيف لو رأيت قد اسودّ جنبها وانكسر ضلعها ، وكيف لو سمعتها تقول (١) :

نفسي على زفرتها محبوسة ☆ ياليتها خرجت مع الزفرات
لاخير بعدك في الحياة وإنّما ☆ أبكي مخافة أن تطول حياتي
وا أسفاه عليك يا أبتاه والثلث حبيبك أبي الحسن المؤتمن ، وأبي سبطيك
الحسين والحسن ، ياخير الأنام فها هو يقاد في الأسر كما يقاد البعير . وتأنّ أنّة
وتنادي واحمّدها ، واحبيّباه ، واأباه ، واحمّدها ، واقلّة ناصراه ، واغوثاه ، واكربتاه
واحزنه ، وامصيّباه ، واسوء صباحاه ، يا رسول الله . وأنا أعتقد أنّك كنت تسمع ما
تشتكي إليك ابنتك ، وترى مايفعل بأهلك وعترتك ، وأتفكّر فيما صار إليه حالك
ممّا تسمع وترى ، آجرك الله يا رسول الله ممّا أصابك من هذه المصيبات العظيمة ، و
الرزايا الجليلة ، والوقائع الفجيعة ، أجراً جميلاً ، و جزاك الله خير ما جزى نبياً عن
أُمَّته ، وكيف لولا صبرت في الله وبالله ، ودعوت الله على الأُمَّة من هذه المظالم ، أهلكت
العالمين من هذه الجرائم .

ثم يزور الإمام أبي محمد الحسن عليه السلام فإنّ شهادته أيضاً في هذا اليوم ، ويتذكّر
في ذلك اليوم مظلوميّته المقرحة للقلوب ، والمهيّجة للأحزان ، ويصلّي عليه ويلعن

(١) كأنه لسان حالها عليها السلام .

قاتله معاوية ابن أبي سفيان - لعنه الله - ثم يختم اليوم الآخر بما قرّر في كتاب محاسبة النفس .

﴿ الفصل الثالث ﴾

﴿ في مراقبة شهر ربيع الاول ﴾

وهذا الشهر كاسمه ربيع الشهور ، لما ظهر فيه من آثار رحمة الله جلّت آلاؤه ونزل فيه من ذخائر بركاته وأنوار جماله على الأرض ، حيث اتّفق فيه ولادة رسول الله ﷺ الذي يمكن أن يدعى مدّح أنّه ما نزل منذ خلقت الأرض - عليها رحمة مثلهما - بمقدار عظمة هذه الرحمة على غيرها يساق عظم شرافة رسول الله ﷺ على سائر المخلوقات ، فكما أنّه أعلم خلق الله وأشرفهم وسيدهم وأقربهم إلى الله وأطوعهم له ، وأحبّهم لديه ، فكذلك شرف هذا اليوم على سائر الأيام ، فكأنّه يوم بنيت فيها من الهدايا أتمّها ، ومن الكرامات أعظمها ، ومن الرّحمت أشملها ، ومن البركات أشرفها ، ومن الأنوار أبهاها ، ومن الأسرار أخفها .

فعلى المسلم المصدّق بشرف رسول الله ﷺ المراقب في معاملة مولاه ، أن يعظم هذا اليوم عنده في الشرف بما لا يبلغه وصف الواصفين ، وأن يكون فضله لديه أكثر وأعظم من كلّ ما يقدر أو يفرض من فضل الأوقات ، لأنّ في مثل هذا اليوم نزل أصل سائر الفضائل والشرافات ، لهذه الأمّة ، فجميع بركات النبوة والامامة والكتاب والشرعة إنّما ظهرت بوجود رسول الله ﷺ وقد استهلّ في مثل هذا اليوم المبارك ، فاذا ثبت ذلك بصريح حكم العقل ، وكشف عنه طريق النقل ، فعلى المسلم المراقب أن يجتهد بتمام جهده في شكر هذه النعمة العظيمة ، ويكون سعيه لسعة هذه الرحمة الواسعة ، ويجعله يوم عيده الأعظم ويتقرّب إلى الله جلّ جلاله فيه بالقربات الوافية ، ويتوسّل إلى رسول الله ﷺ بالتوسّلات الكافية الشافية .

ومن المراقبة لهذا اليوم العظيم أن يعظّم الشهر كلّّه بالمساعي الجميلة ، و القربات الفاخرة الجليلة ، ويناجي ربّه في عيد استهلاله ^(١) بما يناسب معرفته ، بمقدار

(١) استظهر بعض الفضلاء أن الصحيح : [ويناجي ربّه عند استهلاله] .

منّة الله جلّ جلاله عليه من جهة هذه النعمة الحاضرة الفاخرة .

واعلم أنّك لو أتيت بعبادة الثقلين ، وخلوص النيّين ، لما أدّيت حقّ شكر هذه النعمة ، لامن جهة أنّ هذه الأعمال أيضاً من نعمه و موجبة لشكر آخر ، بل من أجل عظمة هذه النعمة التي يقصر عن شكرها أعمال العباد ، فعليك بحكم العقل بعد العلم بالقصور أن لا تقصّر في مقدورك من الجِدِّ والجهد ، ويكفيك بحكم الفضل أن يكون شكرك بدون الطّاقة إذا وقع خالصاً لوجهه الكريم فإنّه يقبل اليسير إذا كان خالصاً ويشكر الكثير ، هذا .

ولكنّ المهمّ أن لا تغفل عمّا يجب عليك من حقّ هذا الموسم الجليل بالقلب ويكون عليك خجل القصور ، وحياء التقصير ، وتعمل عملاً يخرجك من حدّ الغفلة والتضييع ، و تبالغ في صدق الإخلاص مع خجل وحياء ، ويكون هذا اليوم في نفسك عظيماً بقدر عظمته الواقعيّة وإن كنت في أداء حقّ شكره قاصراً أو مقصّراً .

وبالجملة ، الذي يجب على العبد بذل غاية الطّاقة فيه ^(١) هو عبادة القلب بالمعرفة والذكر والشكر وغيرهما من عباداته ، وأمّا العبادة البدنيّة فالمرغوب شرعاً فيها الاقتصاد لا الجهد الشديد و أمّا تلطيف القلب بالمعرفة وما يتبعها من كرائم صفاتها فالمرغوب فيه الإدمان بقدر الوسع والطّاقة ، حتّى يصير حاله كما قاله الصادق عليه السلام في حقّ العارف : لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه ، وإذا انكشف عن قلبه أغشية الأوهام ، وارتفعت عنه الحجب الظلمانيّة ، وتجلّى فيه أنوار جمال الصّفات ، وسبحات جلال الذات ، وبرق له لامع كثير البرق ، لا يمكنه الغفلة والسهو ، وينقلب أحوال قلبه بتجلّيات خصوص الصّفات الجماليّة والجلاليّة ، والله جلّ جلاله يتولّى رياضة قلبه بالخوف والرّجاء من هذا الطريق حتّى يورده مقعد الصدق في جواره ، ويسكنه في الفردوس الأعلى جنّة النّور مع النّبیین والشّهداء والصّدّيقين ، وحسن أولئك رفيقاً .

(١) في الاصل : [غاية بذل الطّاقة] .

﴿ الفصل الرابع ﴾

﴿ في أهم أعمال الشهر ﴾

و من أهم أعماله كما أشرنا إليه الدعاء في أوّل بهاروي في ذلك ، وبما يراه مناسباً وبما يقتضيه حاله للدخول في هذا المنزل من منازل سفره إلى ربّه ، و يتبعه بالتوسّل إلى خفير يومه من الأئمّة والحماة في استصلاح الحال في الشهر كلّ وفي أيامه الخاصّة بالشفاعة والدّعاء وطلب التوفيق .

ثمّ اليوم الثامن : روي أنّه وقع فيه وفات الإمام أبي محمّد الحسن الزكيّ العسكريّ عليه السلام فلمراقب أن يحزن فيه لاسيّما بلحاظ أن صاحب المصيبة فيه حجة عصره وإمام زمانه أرواح العالمين فداه ، عليه وعلى آبائه صلوات الله ، و يزوره بما يبدوله ويعزّي الإمام عليه السلام بما يناسبه .

ثمّ يشكر الله لخلافة إمامه عليه السلام ويتأثّر من غيبته وفقده ، ويتذكّر زمن ظهوره وفوائد أنواره ، وخيره وبرّ كته .

ثمّ اليوم التاسع ورد فيه رواية واحدة فاخرة في كونه يوم هلاك عدوّ الله وفي فضله وفضل الفرّح فيه ، وأنّه يوم السرور لشيعة آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين واشتهر بين الشيعة بذلك ، وإن كان لا يساعده سائر الروايات ، ولكن يمكن أن يكون التقيّة اقتضت تغيير الوقت ، ومع ذلك لا يبعد أن يكون لهذا جهة انطباق أيضاً بوجه من الوجوه .

وكيف كان ينبغي لموالي آل محمّد ولو تعبّداً لهذه الرواية إظهار السرور لهلاكه في ذلك اليوم ، ولكن مع الالتفات بأنّ السرور بهلاك الأعداء إنّما يحسن للأولياء والأحبّاء ، فمن كان أعماله لا يصدّق الولاية والمحبة ينبغي أن يكون مع إظهار السرور خجلاً ممّا يقصّر من مراسم الولاية والمحبة ولا أقلّ من أن لا يكون في إظهار سروره لهلاك عدوّ الله وعدوّ أوليائه سالكاً مسلك الأعداء بارتكاب المحرّمات لأنّ المخالفة

يضاد المحبة ، وهي تناقض إظهار السرور لهلاك عدو المحبوب و المولى .
 و في اليوم العاشر تزويج رسول الله صلى الله عليه وآله [من] خديجة سلام الله
 عليها فعلى الشيعة تعظيم هذا الأمر لما وقع من تأثير هذا التزويج المبارك الميمون
 في الخيرات و البركات ، وانتشر منه الأنوار الباهرات المطاهرات ، من جهات شتى .
 و أمّا اليوم السابع عشر وقد أشرنا ببعض شرافتها آنفاً ولكن لأبس بالإشارة
 الاجمالية ببعض ما طوينا ذكره ، أقول : لا يبلغ فطنة أحد من الرعية بل أغلب الأنبياء و
 الأولياء صلوات الله وسلامه عليه و [على] آله و عليهم أجمعين من اكتناه فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله
 و قد يشير إلى ذلك الأخبار المستفيضة الواردة في عدم احتمال كل نبي إلا المرسل
 منهم بعض مقامات آله المعظمين ، فضلاً عن فضائل نفسه الشريفة ، كيف وهو أشرف
 الخلائق كلهم وأقربهم إلى الله ، وهو علّة إيجاد الأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين
 وجميع العالمين ، وهو صلوات الله عليه وآله سيّد الخلائق وأعلمهم ، وهو العقل الأول
 والنور الأول ، والخلق الأول ، والاسم الأعظم . وهو الحجاب الأقرب ، وهو طرف
 الممكن ، وهو واسطة فيض الاله جلّ جلاله لجميع عالم الامكان .

و إذا فرض كونه علّة إيجاد العالم ، و واسطة فيض الأقدس ، فلا يعقل أن
 يكتنه أحد من العالمين معرفة صفاته و فضائله كما هي ، و جميع الهدايات منسوبة
 إليه ، وهو معلّم الملائكة ، والمبعوث على أرواح الأنبياء وهو صاحب الخلق العظيم
 في كتاب الله ، وآله و خلفاؤه الاثناعشر بعده أشرف الخلائق أجمعين أو لهم أمير المؤمنين
 الذي كان مع الأنبياء باطناً ينصرهم و معه ظاهراً ، و آخرهم المهدي الذي به وعد الله
 النصرة لأهل الحق من الأولين والآخرين ، وبه يكمل التوحيد في الأرض ، ويتم
 دينه حتى لا يبقى عليها دين إلا دين الله .

وهو الفاتح ، وهو الخاتم ، وهو الذي بشر بنبوته الأنبياء وبشر به الكتب
 السماوية ، و كتابه مهيمن على الكتب كلها ، و وصيه سيّد الأوصياء ، و أمته أفضل
 الأمم ، و شريعته أكمل الشرائع ، و سيرته أفضل السير .

وهو صاحب الحوض و آواء الحمد ، وهو صاحب الوسيلة والشفاعة الكبرى

وهو الذي أنزل فيه : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » وهو المأخوذ على الأنبياء ميثاقهم ، في تفضيله وتفضيل خلفائه على من سواهم ، وهو الذي كان نجاة أهل البلاء من سائر الأمم بالتوسل به وبذريته صلوات الله عليهم ، وهو رحمة للعالمين ، وحبيب إله العالمين ، ولافضيلة تبلغها وهو أم الفضائل .

وأسماؤه عند الله وفي كتب أنبيائه ولسان أوليائه : محمد ، وأحمد ، والمحيي ، والعاقب ، والحاشر ، ورسول الرحمة ، ورسول التوبة ، ورسول الأمم ، والمقتفي ، والقثم ^(١) ، والشاهد على الأنبياء والأمم ، والبشير ، والنذير ، والسراج المنير ، والضحوك ، والقتال ، والمتوكل ، والفتاح ، والأمين ، والخاتم ، والمصطفى ، والرسول والنبي الأمي ، والحداد ، والمزمل ، والمدثر ، والكريم ، والنور ، والعبد ، والرفوف ، والرحيم ، وطه ، ويس ، ومنذر ، ومذكر .

وعن كتب الأخبار ^(٢) أن اسمه عند أهل الجنة عبد الكريم ، وعند أهل النار عبد الجبار ، وعند أهل العرش عبد المجيد ، وعند سائر الملائكة عبد الحميد ، وعند الأنبياء عبد الوهاب ، وعند الشياطين عبد القهار ، وعند الجن عبد الرحيم ، وفي الجبال عبد الخالق ، وفي البر عبد القادر ، وفي البحر عبد المهيمن ، وعند الحيتان عبد القدوس ، وعند الهوام عبد الغائب ^(٣) ، وعند الوحوش عبد الرزاق ، وعند السباع عبد السلام ، وعند البهائم عبد المؤمن ، وعند الطيور عبد الغفار ، وفي التوراة مودمود وفي الإنجيل طاب طاب ، وفي الصحف عاقب ، وفي الزبور فاروق ، وعند الله طه و يس ، وعند المؤمنين محمد ، وكنيته أبو القاسم ، وسلم عليه جبرئيل بأبي إبراهيم .

وقال هو ﷺ : أنا الأول وأنا الآخر ، وفي بعض الروايات المعتبرة أنه المراد من كل ما أقسم الله جل جلاله به في كتابه ، ولا بأس أن نذكر رواية واحدة في فضله ، وفضل أخيه وخليفته أمير المؤمنين من طرق العامة ، لكونها من جهة اشتمالها

(١) قال الفيروز آبادي : وقثم كزفر : الكثير العطاء والجموع للخير .

(٢) واستظهر بعض الفضلاء أن الصحيح [و عن كعب الاحبار] .

[عبد الغياث] .

(٣)

لفضيلة عليّ عليه السلام شاهد صدق في مرامنا .

روى أحمد بن حنبل في مسنده ، وابن أبي ليلى في كتاب الفردوس و في منهج التحقيق عن ابن خالويه يرفعه إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين من نور واحد فعصر ذلك النور عصرة فخرج شيعتنا فبسببنا فسبحوا ، وقد سنا فقد سوا ، وهللنا فهللوا ، ومجددنا فمجددوا ، ووحّدنا فوحّدوا ، ثم خلق الله السماوات والأرض وخلق الملائكة ، مائة عام لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً ، فسبّحنا فبسببنا شيعتنا فسبّحت الملائكة ، وكذلك في البواقي - الحديث - فلينظر الإنسان إلى هذه الرواية التي يرونها المخالف وهي ناصّة في أنّه صلوات الله عليه وآله الطيّبين علّموا التسبيح والتهلّيل والتكبير لشيعتهم ، وشيعتهم علّموا الملائكة فصار بذلك شيعتهم أفضل من الملائكة .

هذا من جهة المنقول وأمّا من جهة الحسن والشهادة ، فتأمل فيما انتشر منه عليه السلام في مدّة سنين قليلة - مع تشتّت باله ، واشتغاله بالجهاد - من العلوم ما لم ينشر عشر عشيرها من سائر الأنبياء بأجمعهم في سياسة عوالم الأرواح والقلوب والأجسام ، وسائر فنون العلم والحكمة ، وأنّه عليه السلام نشر من أسمائه تعالى وصفاته وآلآئه وفوائده الأنبياء ما لم ينتشر إلى زمانه من جميع الأنبياء في مدّة سبعة آلاف سنة ولعمري إنّ أمثال هذه الخوارق للعادات ، أمتن المعاجز ، وأحكم في إثبات النبوات من شق القمر ، لأنّ شق القمر قد يشتبّه بالسحر ، والفرق بينه وبين السحر لا يعرفه إلا القليل الأقل ، ولكن أمثال ما ذكر منها لا تشتبّه بشيء من السحر والكهانة والشعوذة وغيرها ، وإذا تقرّر هذه الإجماليات فللمسلم أن يتفطن من ذلك إلى بعض تفصيلاتها ، ويعرف من ذلك بعض شرف نبيّه عليه السلام فيعظم عنده فضيلة هذا اليوم فيستقبله بما ينبغي أن يستقبل مثله ، ويعرف قدر منّة الله جلّ جلاله عليه بهذا الميلاذ الميمون المبارك ويتأدّب قلبه وعقله بما يليق به ، ويظهر آثار ذلك على أعماله من حرّكاته وسكناته ، ولا يكذب عمله قلبه ، فإنّ العمل إنّما

ينشأ من صفات القلب ، ولاخلف .

ومن مهمّات الأعمال في ذلك اليوم أوّلاً التوسّل بحمّة اليوم من المعصومين وإيداع عقله وقلبه بل تسليم كلّهم إلى الله تعالى مع توقّع أن يصلحوا حاله في جميع تقلّباته مع الله جلّ جلاله في جلب أنوار هذا اليوم وبركاته في جميع آناته ، وفي جميع حرّكاته وسكناته وتقلّباته ، فإن صدق في التوسّل والتسليم ، فأنّه لا يخونه في أمّاته .

و زيارته ﷺ و تفصيلها مروية في إقبال سيّدنا الأجلّ - قدّس سرّه العزيز - وزيارة أخيه ووصيه عليهما الصلّاة والسّلام كما رواها أيضاً قدّس سرّه في الإقبال .

ومن المهمّات صيام ذلك اليوم شكراً و صلاة ركعتين يقرء في كلّ ركعة منهما الفاتحة مرّة و القدر و الإخلاص عشر مرّات ثمّ يجلس في مصلاه و يدعو بالدعاء المرويّ .

ثمّ إنّ من المهمّات أن يظهر في هذا اليوم المراسم المعروفة الشرعيّة للأعياد العظيمة حتّى يعرفه العوامّ و النّساء و الأطفال بالعيد ، و لكن يعوّدهم بعمله في أعيادهم بما يوافق حقيقة العيد ، كما ورد به الشرع لا ما يخالفها كما عرف من سنن الجهّال من اللّعب واللّهو ، بل و بعض المحرّمات ، فإنّ العيد عبارة عن وقت جعله ملك الملوك تعالى موسماً للإذن العامّ يشمل البرّ و الفاجر ، للحضور بين يديه ، و عرض الاستكانة لديه ، وإظهار مراسم العبوديّة ، و إطلاق الجائزة والموهبة و لبس الخلع والأمان ، وأخذصكك الملك والسّلطان ، فحقّ لمن عرف ذلك أن يتدارك لحضور هذا المحضر الجليل الشّريف ، و يتهيّأ لكلّ ما يمكن التهيّؤ به لمثل هذا المجلس المنيف ، و يتزيّن بما هو مرسوم عند أهل هذا المحفل النّظيف ، فإنّ لكلّ مجلس لباساً مخصوصاً و زينة يناسبها ، و لباس هؤلاء لباس التّقوى ، و تاجهم تاج الكرامة والوقار ، ولباس [أهل] هذا المجلس - في وجهه - الأخلاق الحسنة و تاجهم المعارف الرّبّانيّة و تطهيرهم تطهير القلب عن الشّغل بغير الله ، و عطرهم ذكر الله ، و الصلّوات

على رسول الله وآله الطاهرين .

وإياك وإياك أن تحضر مجلس الأطهار ، وقلبك متدنس بذكر الدنيا ، و
بدنك عار من لباس التقوى ، ورأسك مكشوف من عمامة المراقبة ، وتقوح منك نتن
قاذورات محبة الدنيا ، وخلقك مشوه بقبائح الأعمال السيئة ، ورأسك خال عن
عقل المعرفة ، وقلبك خال من الإيمان ، وعينك أرمدا بالنظر على محارم الله ، ولسانك
أبكم عن التكلم في رضا الله ، وسمعك أصم عن استماع ذكر الله ، ويدك مغلولة بالبخل
عن مساعي الجود والسخاء ، والا نفاق في سبيل الله ، ومفلوجة عن القدرة على الجهاد في
نصرة دين الله ، وبطنك مبطونة من أكل السحت وما حرم الله ، وفرجك [.....] عن الانتشار
في محارم الله ، ورجلك زمن عن السعي في قضاء حوائج أولياء الله ، ومقعده عن المشي إلى بيوت
الله ، فأنك إن حضرت في مجالس هؤلاء الملوك الأحرار الأتهار افتضحت من دنس لباس
الأرذال وشوهة هذه العاهات وسوء الحال ، فتدبر لنفسك العزيزة الشريفة يا
مسكين ، كيف تضيّعها وتذلّها بيد الغفلات ، والتّهوين بالشعائر والحرمان ، و
ترضى عن مسابقة الأقران في ميدان تحصيل الكمال ، بالكسل والتضييع والاهمال ؟
و روي عن الحسن عليه السلام أنه نظر إلى الناس يوم الفطر يضحكون و
يلعبون فقال لأصحابه: إن الله عزّ وجلّ خلق شهر رمضان مضماراً لخلقه، يستبقون
فيه بطاعته و رضوانه ، فسبق قوم ففازوا ، و تخلف آخرون فخابوا ، فالعجب كل
العجب من الضاحك و اللّاعب في اليوم الذي يشاب فيه المحسنون ، ويخسر فيه
المقصرون ، وإيم الله لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه و مسيءٌ باسائه .

و في رواية أخرى : والله لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه و مسيءٌ باسائه
عن ترجيل شعر ، وتصقيل ثوب. هذا ويأتي بقيّة ذلك في العيدين إن شاء الله تعالى .
ثم إنهم من [أهم المهمات] ^(١) أن يختم يومه بالسلام على الحماة والخفراء ، والنضر
إليهم في أن يشفعوا له باصلاح [الأعمال ، واستصلاح] الحال ، مع ذي الجلال و الجمال
ويضمّ إلى ذلك بمناسبة الوقت تسليم الأعمال بحضرة سيد المرسلين ، إن لم يكن

(*) كذا بياض في الاصل ويشبه أن يكون : متلد ، أو غير قابضة ، ونحوهما .

(١) في الاصل : [من الاهميات] .

يومه في خفارته فان له حقاً ثابتاً أيضاً في خفارة آله الطّاهرين ، و خلفائه المعصومين ولكن مع خجل و حياء من التّقصير في أداء حقّ شكر النعمة بقدر المنّة ، ومع لطف في المقال و الفاظ التضرّع و الابتهاال ، فان لذلك أثراً عظيماً في بلوغ الأعمال (١) ، و استنزال الخير من معدن الإفضال .

فتوجه بخير اليوم إلى الشّفاعّة في حضرته العزيزة ، وبه صلوات الله عليه وآله على عرض أعمالك إلى مقدّس ! حضرة الألوهيّة من باب كرم عفوه ، و تبديله السيئات بأضعافها من الحسنات ، ثمّ قبوله ورضاه بالمكّرم و العنايات ، فانّه يفعل ما يشاء ، ولا يفعل ما يشاء أحد غيره ، واسأله أن يزيد في توفيقك في ما بعد للجدّ و الاجتهاد ، في خدمة مالك العباد ، و الموافاة مع الرّسول العماد ، و آله الأُمجاد ، فانّ للوفاء في أيّام الغيبة حقّواً عظيماً في حكم العقل عند ذوي الألباب ، مع السّادات و الأُحباب .

﴿ الفصل الخامس ﴾

﴿ في مراقبات شهر ربيع الثاني ﴾

و من مهمّات الأعمال في هذا الشّهر كما ذكرنا لجميع الشّهور ، الدّعاء في أوّله لاسيّما بالمرويّ فانّه دعاء جليل فاخر .

ثمّ إنّ اليوم العاشر منه روي أنّه يوم ولادة مولانا و إمامنا أبي محمّد الحسن الزكيّ العسكريّ عليه الصّلاة و السلام و مراقبة أيّام ولادة الموالى و عليّه السلام قد مضى فيها ما ينفعك في يوم ولادة النبيّ ﷺ فأيّام ولادة خلفائه المعصومين شريكة مع يوم ولادته في مراسم الشّكر و الفرح و التعظيم بالأعمال القلبيةّ و القالبيّة وإن كان ليوم ولادته حقّاً خاصّاً به ، ولهذا اليوم خصوصيّة من جهة أنّه عليه الصّلاة و السلام والد إمامنا أرواحا و أرواح العالمين فداه بلا واسطة ، فينبغي لرعيّته ﷺ تهنيّته بما يليق بجنابه الأقدس ، و حضرته القدسيّ أيضاً وأن يزيد في حوائجه التي يعرضها

(١) اى بلوغ الاعمال إلى حضرته ، ولعل الصحيح [بلوغ الامال] .

لصاحب الولادة بالتضرُّع والسؤال في أن يوصيه لصاحب العصر عليه السلام في أن يدخله في همِّه، ونظر لطفه ، ويخصّه من بين رعيّته بمكارمه، فإنّ لوصيّة الوالد خصوصيّة في تأثير القبول .

ثمّ ليعلم السالك أنّ لصاحب الولادة عليه السلام خصوصيّة في الحوائج الأخرويّة فإنّ المعصومين عليهم السلام وإن كان كل واحد [منهم] وسيلة للعباد في جميع حوائجهم إلا أنّ لكل واحد منهم خصوصيّة لبعض الحوائج أيضاً كما يشهد عليه دعاء التوسّل ، فإنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وكريمته صلوات الله عليها وسبّطيه عليهم السلام خصوصيّة في الحوائج المتعلّقة بتحصيل طاعة الله جلّ جلاله ورضوانه ولأُمير المؤمنين عليه السلام في الانتقام من الأعداء وكفاية مؤونة الظالمين وللإمام السجّاد عليه السلام في جور السلاطين ، ونفث الشياطين ، وللإمام الباقر والصادق عليهما السلام في الإغاثة على أمر الآخرة ، وللإمام الكاظم عليه السلام في العافية من محذورات العلل ، والأسقام والأوجاع ، وللإمام الرضا عليه السلام في النجاة من مخاوف الأسفار في البحار ، والبراري والقفار ، وللإمام الجواد عليه السلام في الوسعة والاستغناء عمّا في أيدي الناس ، وللإمام الهادي عليه السلام في قضاء النوافل وبرّ الإخوان وكمال الطاعات ، وللإمام الزكيّ العسكري عليه السلام في الإعانة على أمر الآخرة ، ولإمام عصرنا ، وملاذنا ومعاذنا ، ورجائنا وعصمتنا ، ونورنا وحياتنا ، الإمام المهديّ عليه السلام في جملة هذه الحوائج وغيرها ممّا تسمّى حاجة هذا .

ويختتم اليوم بما يختتم به الأيام الشريفة ، و الشهر أيضاً بما يختتم به الشهور على ما أسلفناه في غيره .

﴿ الفصل السادس ﴾

﴿ فى [مراقبة] شهر جمادى الأولى ﴾

ومن مهمّاته أيضاً الدّعاء لاسيّما بالمروى ، ويوم النّصف منه أيضاً روي أنّه يوم ولادة الإمام السجّاد عليه الصلاة والسلام فلمشيعة تعظيم اليوم بالعمل كما مضى في مثله فإنّ لأيّام الولادات عند الملوك آداباً و تكليف على رعيّتهم ، فأيّ ملك أحقّ بالتعظيم من هؤلاء الملوك ، ملوك الدّنيا والآخرة ، وملوك الدّنيا ملكوا الدّنيا عن غير حقّ وهؤلاء ملكوا الدّنيا والآخرة من الله ملك الملوك تعالى بالاستحقاق .

وأيضاً أيّ ملك تحمّل في سياسة رعيّته مثل ماتحمّلوا ، وواساهم بما واسونا أئمتّنا ، بل آثرونا على أنفسهم واستشهدوا في طريق نجاتنا وهداياتنا ، وأيّ ملك انتفع رعيّته منه مثل انتفاع الشيعة من أئمتّهم في أمور دينهم ، ودنياهم وآخرتهم ، فبقدر فضلهم وتحملّهم و نفعهم يقدّر تكليف تعظيم أيّام ولادتهم في حكم العقل ، ويختتم يومه بما يختتم به الأيّام الشّريفة كما أشرنا إليه غير مرّة ، وهكذا يختتم الشّهر بما يختتم به الشّهور كما مضت إليه الإشارة .

﴿ الفصل السابع ﴾

﴿ فى [مراقبات] شهر جمادى الآخرة ﴾

ومن المهمات فيه أيضاً الدعاء في أوله لاسيما بالمأثور .

وفي اليوم الثالث منه اتفق وفات سيّدة النساء صلوات الله عليها ، بل الصحيح أنه يوم شهادتها فأنّها - صلوات الله عليها - مضت مقتولة مظلومة مغصوبة [حقّها] ، فعلى شيعتها من أهل الوفاء أن يقدّروا هذا اليوم من أيام الأحزان والمصائب ، فإنّ يومها كان ثاني اثنين ليوم رسول الله ﷺ على أهلها ولم ير لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بعد وفات رسول الله ﷺ يوم أشدّ مصيبة وأجلّ رزاً وأعظم نائبة منه، واشتدّ عليه شأن^(١) هذا اليوم حيث أظهر فيه أمراً عظيماً من المواجه والاحزان وجعل يرثيها ، ويندب عليها ، ويشتكى فراقها^(٢) ويقول :

نفسي على زفرتها محبوسة ☆ يا ليتها خرجت مع الزّ فرات
لاخير بعدك في الحياة وإنّما ☆ أبكي مخافة أن تطول حياتي
و روي عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال أشعاراً مفجعةً من جملتها :

وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمد ☆ دليل على أن لايدوم خليل
وكيف هناك العيش من بعد فقدهم ☆ لعمر ك شىء ما إليه سبيل
يريد الفتى أن لايموت خليله ☆ وليس إلى ما يبتغيه سبيل

ولعمري إنّ هذه الأشعار وما طوينا [عن] ذكره ، من شعره ونثره في ذلك أمر عظيم من أمير المؤمنين عليه السلام يبهّر العقول و يكشف عن عظم مقامها وفضلها عند الله ، فإنّ وجده في هذا الأمر مع كونه في الصبر كالجبل الشامخ لا تحركه العواصف ، ولا يزيله القواصف ، ينحدر عنه السيل ، ولا يرقى إليه الطير ، من أعجب العجائب كيف ولو لم يكن فضيلتها في الدرجة العليا التي يحسن فيها الجزع لم يكن يظهر

(١) فى الاصل : [بيان هذا اليوم] .

(٢) وقال عند دفنها : قل يا رسول الله عن صفيتك صبرى ، ورقنعها تجلدى إلى قوله - أما حزنى فرمد ، وأما ليلى فمسهّد إلى أن يختار الله لى دارك التى أنت بها مقيم .

منه عليه السلام هذا الجزع العظيم .

فكيف كان فلسيعة - صلوات الله عليه - التأسّي به في إظهار الحزن والكآبة ، و إقامة المأتم في يوم وفاتها ، وقراءة مصائبها ، فانّها واحدة أبيها عليه السلام وحبيبته التي [كان] يعامل معها معاملة لا يعامل مع أحد من الناس .

و روى المخالف والمؤلف قوله فيها : « فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني » وبذلك احتجّت حين وفاتها على الأوّل والثاني بعد أخذ الإقرار منهما على أنّهما سمعا ذلك عن رسول الله عليه السلام ، قالت وهي رافعة يديها : « اللهم اشهد أنّهما آذيانني » وأوصت لعلي عليه السلام أن يخفي دفنها وقبرها عنهما .

ولعمري إنّ هذه الوصيّة منها - صلوات الله عليها - مجاهدة ونصرة لدين الله الحقّ ، أنفع في إثبات مذهب الشيعة ، وإبطال مذهب العامة ، من كلّ آية وبرهان كيف واختفاء دفنها وقبرها شيء لا يخفى مدى الدّهر ، ومتى سئل عن سببه ، وظهر أنّ ذلك إنّما صار من جهة وصيّتها ، يظهر منه كالشمس في رابعة النهار أنّها مضت ساخطة على الشيخين ، ولقيت أباهامولاهاشاكية عنهما ، وذلك إنّما يلزم لهما شناعة ليس فوقها شناعة ، لاسيّما بملاحظة ما أنزل الله في كتابه العزيز : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى » وتأكيد هذا الحكم بقوله : « قل وما سألتكم من أجر فهو لكم » ومضى رسول الله عليه السلام وليس على وجه الأرض أقرب له من فاطمة سلام الله عليها .

وكيف يشكّ العاقل في أنّ من خان رسول الله في أجر رسالته ، لا يليق أن يكون مأموناً في خلافته ، وأنّ من لم يراعه في قريبه ، كيف يراعيه في بعيده ؟ ومن ظلمه في ابنته كيف يعدل في أمّته ؟ وهذا الأمر يعرفه العالم والجاهل ، والخاصّ والعامّ لاسيّما أنّ فاطمة - سلام الله عليها - نزلت في شأنها آية التطهير باجماع الشيعة ، وبتصديق جماعة من أعيان مفسّري العامة و علمائهم ، فلا يمكن لمن ظلمها ، و غصب حقّها التعلّل - في إيدائها - بوجه صحيح شرعيّ ، بعد تصديق محكم الكتاب طهارتها ، وإيجاب مودّتها .

يا أهل العالم ابكوا على هذه القطيعة الفجيعة الفظيعة بالنسبة إلى الرسول الكريم الأكرم والنبي الرؤوف الأرحم ، في بضعة الطاهرة ، و كريمته المطهرة غصبوا حقّها ، وأخذوا نحلّتها ، ومنعوها من إرث أبيها ، و لطموا وجهها ، وأسقطوا جنينها ، وأكفان رسول الله طريّة ، ودعوا بالنار على إحراق بابها الذي طالما وقفت الملائكة المقرّبون عليه لطلب الاذن بالدّخول .

و كيف كان للشيعة أن يعامل معها صلوات الله عليها في هذا اليوم من الزّيارة والصلوات ما يرضي الرسول ، ويرتضيه ربّ فاطمة البتول - سلام الله عليها - و يلزمه حقّ التشييع .

و في ليلة التاسع عشر منه ليلة ابتداء الحمل برسول الله ﷺ و يعلم حقّ تعظيمها للمراقب مع الله جلّ جلاله ، والموافي لحقوق رسول الله ﷺ ممّا ذكرناه في ميلاده ، فإنّ اللّيلة كالمفتاح لسعادة يوم الميلااد ، بل مقام إجمال له ، كما أنّ الميلااد من مفاتيح يوم المبعث ومقاماته ، والعبد المراقب يستوفي حظوظه من هذه المراتب كلّها ولا يفوت شيئاً من الخير للكسل ، فإنّ العاقل لا يجوز ردّ السعادات إن أحلت بساحته .

و يوم العشرين منه يوم ولادة فاطمة صلوات الله عليها - على رواية الشيخ المفيد - رضوان الله عليه - قال : يوم العشرين منه مولد السيّدة الزهراء - صلوات الله عليها - سنة اثنين من المبعث . وهو يوم شريف يتجدّد فيه سرور المؤمنين ، و يستحبّ صيامه والتطوّع فيه بالخيرات والصدقات .

أقول : و يقدر تعظيم هذا اليوم بمقدار عظمها ، فإنّها المعظّمة عند الله جلّ جلاله ، و عند الملائكة الأطهار ، و أولياء الجبّار ، و قد وردت في صحيح الأخبار أنّها سيّدة نساء العالمين ، ومريم - صلوات الله عليها - سيّدة نساء عالمها ، فثبت بذلك سيادتها لمريم الصديقة بتصديق القرآن العظيم ، بل جزم جمع من أعظم العلماء أنّها أشرف من سائر الأنبياء والمرسلين ، و لعمرى إنّ هذا هو الفضل المبين .

ومن جملة ما وردت إلينا بالطريق القطعيّ من فضائلها التي اختصت بها من

جميع نساء العالمين ، أن لها مصحفاً كبيراً جليلاً جاء به جبرئيل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله و كتبه أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو عند أولادها المعصومين عليهم السلام وفيها علم ما كان وما يكون وما هو كائن كما في رواية ثقة الإسلام عن الصادق عليه السلام .

وبالجملة روى المخالف والمؤلف في فضائلها أخباراً يملأ مجلدات كبيرة لا يحتملها هذا المختصر ، وفيما ذكرناه كفاية « لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ولو لم يكن من فضائلها إلا ماوردت من شفاعتها لمحبيها ومحبي ذريتها بل ومحبي محبيها ، لكفى الشيعة في إثبات حق تعظيمها ، و تعظيم ولادتها ، بقدر الوسع والطاقة ، والاعتراف بعد ذلك بالقصور ، فإن بعض الحقوق لا يؤدى وإن بلغ المجهود غاية .

ومن مهمات العمل في هذا اليوم زيارتها ، والصلوات عليها ، و لعن ظالميه و يختم يومه بما يختم به أمثاله .

﴿ الفصل الثامن ﴾

﴿ في مراقبات شهر رجب الحرام ﴾

و هذا الشهر بمحل عظيم من الشرافة ، و من أسباب شرافته أنه من أشهر الحرم ، وأنه من مواسم الدعاء ، وكان معروفاً بذلك في أيام الجاهلية ، و كانوا ينتظرونه لحوائجهم ، و لذلك حكاية عجيبة نقل بعضها السيد الجليل - أعلى الله مقامه - في الاقبال ، وأنه شهر أمير المؤمنين عليه السلام كما ورد في بعض الروايات كما أن شعبان شهر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وشهر رمضان شهر الله ، وأن الليلة الأولى [منه] من الليالي الأربعة التي يتأكد فيها الإحياء بالعبادات وأن يوم النصف منه ورد فيه أنه من أحب الأيام إلى الله ، وأنه مما خص الله جل جلاله هذه الآية به ، وأنه موسم عمل الاستفتاح كما يأتي تفصيله ، وأن اليوم السابع والعشرين منه يوم مبعث

النبي ، الذي هو يوم ظهور الرحمة الرحيمية ، ظهوراً لم يرمثه من أول العالم إلى هذا اليوم ، وهو أشرف الأيام من الجهات الباطنية ، و بالجملة فضائل هذا الشهر لا يحيط بها العقول .

ومن مهمات المراقبات فيه من أوله إلى آخره تذكر حديث الملك الداعي على ما روي عن النبي ﷺ أن الله تعالى نصب في السماء السابعة ملكا يقال له الداعي فاذا دخل شهر رجب ينادي ذلك الملك كل ليلة منه إلى الصباح : «طوبى للذاكرين طوبى للطائعين ، يقول الله تعالى : أنا جليس من جالسي ، ومطيع من أطاعني ، و غافر من استغفرني ، الشهر شهري ، والعبد عبدي ، والرحمة رحمتي ، فمن دعاني في هذا الشهر أحبته ، ومن سألني أعطيته ، ومن استهداني هديته ، وجعلت هذا الشهر حبلاً بيني وبين عبادي ، فمن اعتصم به وصل إلي » .

أقول : فيا حسرتاه على ما فرطنا في جنب الله ، أين الشاكرون ؟ أين المجتهدون ؟ أين العقلاء من تقدير حق هذا النداء ، ما لي لا أرى من يجيبني على ندائي ؟ ولأنا ندي أين العارفون الذين يعرفون أن شكر هذه النعمة لا يمكن أداؤها من أحد أين المعترفون المقرّون بالقصور والتقصير ، ليجيبوا هذا المنادي فيقولوا : لبّيك وسعديك ، والصلاة والسلام عليك أيّها المنادي من الله الجليل الجميل ، ملك الملوك أرحم الراحمين ، الحليم الكريم ، الرفيق الشفيق ، كريم العفو ، مبدل السيئات بالحسنات ، هؤلاء العبيد العصاة ، واللئام الطغاة ، رهائن الشهوات ، المأسورين بأيدي الغفلات فاعلم أيّها الرسول الكريم أنك تنادي أمواتاً في صور الأحياء ، فان القلوب ميّنة ، والعقول هاجرة ، والأرواح مختلة ، فكيف تنادي الأموات والأموات لا ينتفع من النداء إلا أن تحيي بندائك القلوب ، وتردّ العقول على الرؤوس ، وتنبيه الأرواح فيعقلوا موقع هذا النداء من الكرامة العظمى ، وعظمة الرب ، وخسّة النفس ، وشدة البلوى ، ومساءة الحال . وأن مقامهم وحالهم يقتضي الطرد والإبعاد ، واللّعن والعذاب ، ولكن سعة رحمة الرب اقتضت هذه الدعوة اللطيفة الكريمة بهذا اللسان

والبيان الألف الذي يبهر العقول ، ويزيد على كلّ مسؤول ومأمول ، فبشفاعة هذا الشأن الجميل ، واللفظ النبيل ، نسأل أيّها الملك إلّها جلّ جلاله أن يوفّقنا لإجابة هذه الدّعوة اللّطفي ، والكرامة العظمى .

ونجيبك أيّها الواعد للطوبى للذاكرين و الطائعين بالترحيب والدّعاء ، و التفدية بالنفوس و الأرواح ، حيث نبّهتنا بذكر مالكن اللّطيف الكريم ، ورغبتنا إلى طاعة مولانا وسيّدنا الرؤوف الرّحيم ، وبلّغتنا كرامة إلّها الرفيق الشفيق .

فيجيبك أيّها المنادي المبلّغ، لسانُ حال هذه النفوس اللّئيمة ، ذوي الأوصاف الذميمة : قد أنعمت وأكرمت ، و دعوت إلى السعادة العظمى ، و المحلّة الكبرى فما أبعد محلّنا الخسيس ، ومقامنا الأذل ، وحالنا الخبيث ، ومكاننا الأخسّ ، من ذكر ربّنا ، وأن نكون محلاً لتقدّيس إلّها، وما للتراب وربّ الأرباب ؟ وأين المتلصّخ بالأقذار ومجالس الأطهار ؟ وأين المكبّل الأسير من منازل الأحرار ؟ ولكن كرم ربّنا قد اقتضى الإذن لنا في ذكره ، وحكمته اقتضت التشريف بالتكليف ، وما أفضحنا إن قصرنا بعد هذه الموهبة الجليّة في الدّكر ، وما أخزانا بعد هذا التشريف إن أهملنا في الطاعة ، فما أكرم السيّد وما ألام العبيد ، وما أحلم الإله ، وما أسفه العباد .

ثمّ إنّنا قد سمعنا بأسماع قلوبنا ما بلّغته من قول ربّنا وإلّها: «أنا جليس من جالسيني» وقد أبكم عظمة هذا الإبلاغ والتشريف كلّ لسان في عالم الامكان والتكليف عن الجواب ، وحارت العقول من جمال هذه الكرامة من ذوي الألباب ، ولو كان لكلّ نفس من المشرّفين بهذا الخطاب أنفس تمام العالمين ، وأرواح جميع ذوي الأرواح وبذلوها في الجواب ، وفدوا بها لتعظيم هذا الخطاب ، لما أدركوا بذلك شيئاً من حقوقه ، وشكر جزء من أجزاء نعمه ، وكيف للبطل اللّئيم ، والخسيس الذمّيم، أن يغفل عن إجابته ويهمل عن مراتب عنايته ، بل يختار بدل ذكر الجبّار ، ذكر من يستوجب ذكره النّار ، ويرضى من مرافقة الملائكة المقرّبين ، والأنبيا والمرسلين ، في مجلس حضور

ربّ العالمين ، بمقارنة الجِنَّة والشیاطین ، فی مهوی درکات السجّین .

فیالله والخطب البدیع ، والشأن الفطیع ، أن یندب الخالق المخلوق لمجالسته فیثقل المخلوق فی إجابته ، ویرغب السیّد فی مناجاة العبد ومؤانسته ، ویستنکف العبد من قبول عنايته ، فنقول باظهار الأسف والحسرات ، والاعتراف بسوء الحال والغفلات ، وقد ألجأتنا الضرورة بالجواب : نعم یا إلهنا وسیّدنا ، ویا مالکنا ومولانا ، إن أعطیتنا التوفیق ، وأدرکتنا عنايتک بما أکرمتنا به من الدّعوة ، وشرّفتنا به من الکرامة . كما هو المرجو من کرّمک ، و المتوقّع من کمال جودک ، لأنّ من تمام نعماء الکریم ، استتمام نعمائه ، ومن شواهد آلاء الجواد استکمال آلائه . فطوبی لنا ثمّ طوبی لنا ، فقد فرنا وسعدنا ، ونلنا فوق آمالنا ، وإن لم یدر کنا توفیقک ، ولم یجدّ بنا عنايتک^(١) فلنا الویل ، ثمّ الویل الطویل ، والعناء والعویل ، نحن الأشقیاء المحرومون واللّئام المعدّون ، بالعذاب الألیم ، والنکال الرّجیم^(٢) فنقول : لا إله إلاّ أنت سبحانک إنّنا کنّا من الظالمین ، إلهنا ظلمنا أنفسنا ، فان لم تغفر لنا وترحمنا لنکوننّ من الخاسرین بل نزیّد فی الخسارة^(٣) من باب الضرورة .

و نکشف عن ذلّ المقام والخسیسة ، ونؤکّدها بالأقسام العظيمة ، و ننادیک عن مهوی عالم الطبیعة و السجّین ، و سفلی درکات المنافقین ، و نقول : و عزّتک و جلالک یا إلهنا لنعصینک و نهلک أنفسنا ، و نطغینّ و نفسد حالنا ، إن لم تعصمنا بتوفیقک ، و إن لم تجدّ علینا بفضل عنايتک فأنّه لاحول ولا قوّة إلاّ بک .

ثمّ نزیّد فی المقال [بتوفیقک] ونلحّ فی السّؤال بتأییدک ، ونعرّض إلی جناب قدسک ، بل إلی حضرة رحمتک ولطعتک ، استعطافاً لسیّدنا ، واستنزالاً لرحمة ربّنا ، و ندعوک : یا أکرّم الأکرمین ، ویا أجود الأجودین ، یا من سمّی نفسه باللّطف ، قد دعانا هذا المنادی فی [هذا] الشهر العظیم إلی کرّمک ، وأشار إلی لطفک ورحمتک ، حیث حکى عن کرّمک وإکرامک : « الشهر شهرى ، و العبد عبدي ، و الرّحمة رحمتی »

(١) ولم یجدّ بنا - ولم یجدّ بنا خ .

(٢) والنکال الوحیم ، ظ .

(٣) فی الجسارة خ .

فصرنا بذلك الدُّعْوَةَ أضيافاً لك مدعوّين ، و وفداً لبابك مضطربين .
وأنت الذي كرهت للمضيف أن يمنع ضيفه القري ، وإن كان الضيف ممّن لا
يهلكه المنع ، و المضيف ممّن ينقصه الإحسان ، ونحن إذا ما منعنا من قراك ، بتنا
طاوين في حماك ، و وصلنا إلى الهلاك ، و أنت لايزيد إحسانك إلّا في ملكك ، يا من
لا ينقصه الإحسان ، ولا يزيدك الحرمان ، لا تؤاخذنا بسوء حالنا ، فقد كان الذي
كان .

و أنت الذي زدت على نفسك لي بالسَّوْم^(١) ووعدت المضطربين غير الأضياف
إجابتهم ، وأنزلت في كتابك الكشف عن سوء حالهم ، فنحن يا إلهنا مضطربون إلى
مغفرتك ، والنجاة من أليم عقابك ، ولا يوجد في عالم الإمكان اضطراب فوق هذا
الاضطراب ، فأين الإجابة يا غفار ، والكشف عن سوء الحال ، فخذ بأيدينا من ورطة
الهالكين ، وسقطة الخاسرين ، فكما أن الشهر شهرك ، و العبد عبدك ، والرحمة
رحمتك ، فالاعتصام بحبلك أيضاً بتوفيقك ، لأنّ الخير كلّهُ منك ، لا يوجد في شيء
سواك ، و أين لنا الخير ولا يوجد إلّا من عندك ، و أين لنا النجاة ولا تستطيع
إلّا بك .

فان أجابنا أيّها الكريم عدلك ، وردّنا ميزان حكمتك : بأنّ الفضل عليكم
خلاف الحكمة ، و توفيقكم خلاف العدل في القضية ، لأنّكم لا تستحقّون الفضل
ولا يستحسن بكم الإحسان ، لأنّ المعاصي قد اسودّت وجوهكم ، والغفلة من ذكري
قد أظلمت قلوبكم ، و محبة الدنيا قد أمرضت وأهلكت نفوسكم و عقولكم ، فانّ
رحمتي وإن كانت وسعت كل شيء ، ولكن قد سمعتم ما أنزلت من قولي في كتابي :
« فسأكتبها للذين يتّقون » وإنّي وإن كنت أرحم الراحمين ، الغفور الرحيم ، ولكنّي
أيضاً شديد العقاب ، و إن لم يحكم حكمتي في خليقتي بتمييز أهل العدل و الفضل
فأين يكمل ظهور جمالي و جلالتي .

(١) على نفسك في السَّوْم ، ظ .

فنقول بتعليمك وتأييدك في جواب هذه القضايا: أمّا عدم استحقاقنا الفضلك ، فهو حق لا ريب فيه ، ولا شك يعتريه ، إلا أن فضلك يا كريم لو كان مشروطاً بالاستحقاق لما ظهر شيء منه في العالم ، لأنّ الممكن ليس فيه من جهته استحقاق ولا غيره ولا شيء من الخير فإنّ الاستحقاق أيضاً فضل منك ، لا يمكن أن يوجد بالاستحقاق . وأمّا سواد وجوهنا ، وظلمة قلوبنا ، فهو أيضاً كذلك إلا أنّ النور أيضاً كلّه فيك ومنك ، فمن أين نجىء بالنور ، إن لم تجد علينا به ، فانك إن وهبتنا ذرّة من نورك وضيائك ، وأكرمنا بحياتك ، أحييتنا وشفيتنا ، ونوّرتنا وأكملتنا .

وأما ما أنزلت في كتابك من قولك ، فهو أيضاً لا ينافي رجاءنا ، و آمالنا و دعاءنا ، لأنّا نتوقّع من فضلك أن تهب لنا التقوى كما وهبته للمتّقين ، ثم تكتب لنا رحمتك ، وأيضاً قولك هذا لم يصرّح إلا بأنك تكتب رحمتك للمتّقين ، ولم تنزل أنّك لا تكتب لغير المتّقين .

وأما ظهور جلالك ، ومحلّ عدلك وعقابك ، فيكفي له المعاندون لحضرة كرمك والمتكبرون عن عبادتك ، فانك تجد من تعدّ به غيري ، ولا أجد من يرحمني غيرك فما للمقرّين المعترفين السائلين الدّاعين الراجلين المستحيين وظهور الجلال؟ لاسيّما أنّا وإن كنّا عصاةً ، ولكنّا نتوسّل إليك بأوليائك المطيعين ، و وجوهنا وإن كانت مسودةً عندك ، ولكنّا نتوجّه إليك بوجوه أوليائك الطاهرين المنيرة عندك ، وقلوبنا وإن كانت مظلمةً ولكنّا نستضيء من أنوار عبادك العارفين بك .

وإن كان حبّ الدّنيا قد أمرض قلوبنا ، وأهلك عقولنا ، ولكن محبة أحبّائك أيضاً قد أحيّاها ، فإن كان فضلك يظهر في عبادك المتمسّكين بعروة فضلك ، و ذيل كرمك ، فليظهر فضلهم أيضاً في أهل ولايتهم المتمسّكين بعروة محبتهم ولايتهم .

وإن ناقشنا عدلك في ثبوت ولايتهم ، و لم يثبت ذلك من حالنا ، فلاشك في أنّ أعداءك وأعداءهم إنّما يبغضوننا بنسبة ولايتهم ، وطالما ابتلينا في دنيانا بايذائهم

في أوليائك فهذه النسبة الجزئية تكفي لنا في التشبث بأذيال عفوك ، وعروة فضلك وكرمك ، وحبل أوليائك .

فبفضلك وكرمك ، وبجاه أوليائك محمد وآله صل عليهم صلاة لا غاية لعددها ، ولا نهاية لمدها ، مبلغ علمك ، ومنتهى رضاك ، وما لانفادله ، وصل عليهم صلاة تغفر بها ذنوبنا ، وتصلح بها عيوبنا ، وتكمل بها عقولنا ، وتتم بها نورنا ، وتعرفنا بها أنفسنا وإيائهم ، وتقرّبنا بها منك ومنهم ، وتزلفنا لديك في جوارهم ، وترضى بها عنا رضى لا سخط علينا بعده أبداً حتى توردنا عليك راضين مرضيين ، وتلحقنا بآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ، مع شيعتهم المقربين ، وأوليائهم السابقين ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

ومن مراقبات هذا الشهر أن يعرف السالك معنى الشهر الحرام وحقه حتى يراقبه في حركاته وسكناته ، بل وخطرات قلبه ، وأن يعلم أن هذه الأشهر الثلاثة موسم العبادة ، فينبغي لطالب العلم أن يزيدوا فيها جهة العبادات على جهة تحصيل العلم ، وإن كان تحصيل العلم أيضاً من أفضل العبادات .

و أول ليلة منه من الليالي الأربعة التي يتأكد استحباب إحيائها ، والدعاء عند الاستهلال بما روي ، وينبغي الالتفات بما في الدعاء الماثورة في ذلك من ذكر شهر شعبان وشهر رمضان بالدعاء للتأهل للعبادة فيهما في أكثر في أوقات دعائهما حتى يكمل الاستعداد للدخول فيهما بدعائه ويستحب أن يدعو بعد صلاة العشاء بالدعاء المروي في الإقبال .

وأورد في الإقبال صلوات لهذه الليلة أنا ذكر منها أخفها لأمثالي من الضعفاء وهي ما رواه في الإقبال عن روضة العابدين قال: روي عن النبي ﷺ: من صلى المغرب أول ليلة من رجب ثم صلى بعدها عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مرة ، ويسلم بين كل ركعتين - قال رسول الله ﷺ - أتدرون ما ثوابه ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال إن روح الأمين علمني ذلك - وحسر رسول الله ﷺ

عن ذراعيه - وقال: حفظ في نفسه وأهله وماله وولده ، وأجير من عذاب القبر ، وجاز عن الصراط كالبرق الخاطف من غير حساب . وأخف منها أيضاً ما رواه أيضاً في هذا الكتاب عن النبي ﷺ يقول : من صلى ركعتين في أول ليلة من رجب بعد العشاء يقرأ في أول ركعة فاتحة الكتاب وألم نشرح مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرّات وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب وألم نشرح وقل هو الله والمعوذتين ، ثم يشهد ويسلم ثم يهلل الله تعالى ثلاثين مرّة ، ثم يصلي على النبي ثلاثين مرّة فإنه يغفر له ما سلف من ذنوبه ، ويخرجه من الخطايا كيوم ولدته أمّه .

ثم يصلي في هذه الليلة وفي غيرها من ليالي الشهر كلّ في كلّ ليلة ركعتين كما رواه في الإقبال عن كتاب التحفة للحلواني قال رسول الله ﷺ : من صلى في رجب ستين ركعة في كلّ ليلة منه ركعتين يقرأ في كلّ ركعة منهما فاتحة الكتاب مرّة ، وقل يا أيّها الكافرون ثلاث مرّات وقل هو الله أحد مرّة وإذا سلّم منهما رفع يديه وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت ، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير ، وإليه المصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم اللهم صلّ على محمد وآل محمد النبي الأمي . ويمسح بهما وجهه ، فإن الله سبحانه يستجيب الدعاء ويعطي ثواب ستين حجة ، وستين عمرة . ثم يشغل بقيّة ليله بما يراه مناسباً لحاله من الذكر والفكر والمناجاة إلى وقت صلاة الليل ، ويسجد بعدها - أي بعد الركعة الثامنة - ويقول في سجوده ما رواه في الإقبال عن أبي الحسن الأول عليه السلام ويقرأ بعد الوتر ما رواه في الإقبال من الدعاءين ، ولا يغفل عن فقرات الدعاء الثاني فيكون حفظه من الدعاء التلّفظ المحض فيرضى أن يكون في عباداته نظير الأنعام^(١) في عباداتها ، ويجتهد في صدق مقاله لئلا يكذب مع الله جلّ جلاله في مجلس حضوره في دعائه ، فإن فيه خطراً عظيماً لأهله ، وإن لم يصدّقه حاله في إظهار هذه الأحوال التي يحكيها إلى ربّه فليعالج حكايته بقصد بعض المعاني المجازيّة ، وإن لم يقدر على ذلك أيضاً فليغيّر الألفاظ

بما ليس فيه كذب صريح ، ودعاوي باطلة ، فإن من لم يعرف معنى حب الله كيف يقدر أن يدعي الأنس معه ؟ ومن لم يعرف حقيقة التقريب كيف يقول : وأرفعني بمجاورته من ورطة الذنوب إلى ربوة التقريب ؟ وهكذا .

وبالجملة يراقب قلبه حتى يكون حياً بذكر الله والحضور بين يديه بما يرضى من مراسم العبودية فإن المقصود من إحياء الليالي إحياء القلب فيها ، وحياة القلب إنما هو بالذكروالفكر ، والقلب الغافل كالميت ، والمشغول بغير رضا الله من المكروهات أدون من الميت ، والمشتغل بالمحرمات في هذه الليالي يشتد حاله ^(١) من المشتغل بها في غيرها ، ولعله يورث سوء الخاتمة .

فجدّي يا نفس ! أن لا تكوني - لا محالة - من الثالثة وأنت تحسب مع ذلك أنك أحييت الليل ، ودخلت في زمرة الفائزين ، فتكون بذلك من «الآخرين أعمالاً الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا» وبنعمي أنك لا تخلو من المعاصي الخفية ، مثل تأخير التوبة عن بعض المعاصي فإن المشهور أن المسارعة واجبة فوراً ، وترك الواجب محرّم ، ولا أقل [من] أن تزكية النفس من بعض الأخلاق واجبة عيناً ، وتركها والاشتغال بالعبادات المستحبة محرمة ، وأمثالهما .

وبالجملة فللسالك أن يراقب قبل دخول هذه الليالي والأوقات الشريفة [و] يتفقد حاله أشدّ ممّا يتفقد في سائر الأوقات ، ويجتهد لئلا يبقى له معصية حاضرة فتكون صفقته خاسرة ، ويفوت عنه أنوار العابدين ، بل يكون مثله كمثل عبد أكرمه السلطان بالدعوة إلى مجلسه للبقاء والاكرام ، بل للمؤانسة والمناجاة والأحوال السنية العظام ، مع الأولياء الكرام ، فحضر ذلك المجلس ، وارتكب حضوراً مخالفة السلطان ، وأظهر عبادة الشيطان ، في بيت الرحمن ، فاستحق بذلك الخزي العظيم والخذلان ، واستبدل بالكرامة الذل والهوان .

وكيف كان هذه الليلة وأمثالها يجب بحكم العقل الاستظهار فيها بكل ما هو في الإمكان ، في تحصيل رضا الملك المنان ، وسلامة الأعمال والأحوال من الآفات ،

(١) حاله أشد ، ظ .

والمبالغة في ذلك ببذل كل جهده ، ليكون مخلصاً لله تعالى جلّ جلاله و عمله خالصاً فيكفي عند ذلك قليل من العمل ، فإنّ جزاء العمل الخالص من العبد المخلص بغير حساب والعبد الصحيح [النية] لا يرضى في معاملة المولى إلا بالخلوص الصادق ، و يسعى كلّ سعيه في ذلك ، ويكون ذلك أهمّ عنده من كلّ شيء ، فإنّ هذا الأمر لا يدرك بالمنى ، ولا ينال بالهويناء ، وإلا فمن عميت بصيرته عن تفاوت هذه الأحوال ربما يجتهد في إكثار العبادات الظاهرة ، وقلبه وباطنه مشحون بغوائل المخالفات لمالك المحيا والممات ، من الحالات الرذيلة ، والأخلاق الخبيثة ، من قبيل ترك الواجبات ، والإتيان بالمحرمات ، وصورة العبادات ، ويشوب عمله بالرّياء والسمعة والنفاق ، وخبائث العجب والجهل والشقاق .

وأيضاً يكون اهتمامه التلطيف العمل أكثر من تكثيره ، ويختار من الدعوات والمناجاة ما يشتمل على زيادة التملق والاستكانة ، والاعتراف بحقوق المنّة من الله العنان المنان ، في التشرّيف بتكليف الذّكر والعبادة ، ويؤثر من الحالات والحركات والسكنات ما يهيج الرقة ، ويكون أبلغ في التواضع والتبتّل من لبس المسوح ، والجلوس على التراب والرّماد ، ووضع التراب على الرّأس ، وشدّ الأيدي على الأعناق بالحبال والأغلال ، وعدم الاستقلال والاستقرار ، كالحيوان والسكران ، بالقيام تارة ، والقعود أخرى ، والسجود ثالثة ، والمشى أخرى ، ووضع الرّأس على الجدران ، والخروج على الأذقان .

وقد كان السّابقون يضعون الأغلال في أعناقهم ويدخلون قبورهم ، ويأمرون من يشدّهم بالأغلال ويجرّهم إلى النار ، ويخرقون تراقيهم ويدخلون فيها الجبل أو الغل ، ويشدّونه في أسطوانة البيت المقدّس ، وهذه الأحوال إنّما ينشأ من أحوال القلب ، ومعرفة ذلّ النفس ، وعظمة الرّب ، فيورث حالاً أخرى أسنى وأفضل ، وقد يوجد بالتعمّل فيورث الحال .

ويهتمّ في دعاء توفيق الإخلاص في الشّهر كلّه وشهر شعبان ، وشهر رمضان

وتمام العمر ، ويكثر التوجه إلى الله جلّ جلاله من أسمائه بكريم الغفو ، ومبدّل السيئات بالحسنات ، والتوسّل إليه بمحمد وآله - صلوات الله عليهم أجمعين - فإن أمثال وجوهنا لا يليق بالتوجه إلى حضرت قدس ربنا فالأولى أن نعالج في ذلك بالتوجه إليه بوجوه أوليائه المشرقة عنده ،

ويختتم ليله بما تكرر ذكره من التوسّل بخير ليلته من المعصومين عليهم السلام في استصلاح حاله وعمله مع الله جلّ جلاله .

وأيضاً إن كانت الليلة الأولى ليلة الجمعة ينبغي أن يعمل فيها بعمل ليلة الرغائب وهو ما روي أنّه صلى الله عليه وآله قال : ولا تغفلوا عن أول ليلة جمعة فيه فإنها ليلة تسميها الملائكة ليلة الرغائب ، وذلك أنّه إذا مضى ثلث الليل لم يبق ملك في السماوات والأرض إلا يجتمعون في الكعبة وحولها ويطلع الله عليهم إطلاعة ، فيقول : يا ملائكتي ! سلوني ما شئتم ، فيقولون : ربنا حاجتنا أن تغفر لصوّا م رجب ، فيقول الله تبارك وتعالى : قد فعلت ذلك .

و الأنسب لمن سمع هذا الخبر أن يكثر في هذه الليلة من الصلوات على الملائكة أداءً لتكليف آية التحية بقدر المقدور .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مامن أحد صام يوم الخميس أوّل خميس من رجب ثم يصلي بين العشاء والعتمة اثنتي عشر ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنّا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرّات ، وقل هو الله أحد اثنتي عشر مرّة ، فإذا فرغ من صلاته صلى عليّ سبعين مرّة يقول : اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آله ، ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرّة : سبح قدّوس ، ربّ الملائكة والروح ، ثم يرفع رأسه ويقول : رب اغفر وارحم ، وتجاوز عما تعلم ، إنّك أنت العليّ الأعظم ، ثم يسجد سجدة أخرى ويقول في سجوده مثل ما قال في السجدة الأولى ، ثم يسأل الله حاجته فإنّه يقضي إن شاء الله تعالى .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : والذي نفسي بيده لا يصلي عبد أوامة هذه الصلاة إلا غفر الله له ذنوبه ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر وعدد الرمل ، ووزن الجبال ، وعدد دوق

الأشجار ، ويشفع يوم القيامة في سبع مائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار ، فإذا كان أوّل ليلة نزوله إلى قبره ، بعث الله إليه ثواب هذه الصلاة في أحسن صورة بوجه طلق ، ولسان زلق ، فيقول يا حبيبي ! أبشر فقد نجوت من كل شدة ، فيقول : من أنت ؟ فما رأيت أحسن منك ، ولا شممت رائحة أطيب من رائحتك ، فيقول : يا حبيبي أنا ثواب تلك الصلاة التي صليت بها ليلة كذا ، في بلدة كذا ، وشهر كذا ، في سنة كذا . جئت الليلة لأقضي حقك ، وأنس وحدتك ، و أرفع عنك وحشتك ، فإذا نفخ في الصور ظلمت في عرصة القيامة على رأسك ، وإنك لن تعدم الخير من مولاك أبداً ، هذا .

وظاهر أوّل الرواية أن ليلة الرغائب أوّل ليلة الجمعة من رجب ، ولكنه لا ينطبق عليه إن كان العمل المذكور في آخرها من عمل تلك الليلة . إذا اتفق كون أوّل الشهر جمعة ، والجمود على الظاهر إنما يقتضي أن يقال : إن العمل بذلك فيما إذا لم يكن أوّل الشهر جمعة وأما إذا كان أوّل جمعة يكون العمل للجمعة الثانية ، ولولم ينطبق بليلة الرغائب ، وليس في الرواية تصريح باشتراط ذلك بليلة الرغائب : ولكن الذي يقوى في النفس أن يكون العمل للجمعة الأولى ولكن بالغاء الصوم إذا اتفقت الجمعة في أوّل الشهر أو بالغاء قيد رجب من صوم الخميس في هذه الصورة .

وأما اليوم الأوّل فمن مهماته الصوم وصلاة سلمان عليه السلام والدعاء في أوّله بالمأثور في إقبال السيّد قدس سرّه وأما الصوم فقد ورد فيه روايات معتبرة يذكر منها واحدة وهو مارواه الصدوق عليه الرّحمة في ثواب الأعمال والأُمالي قال : قال رسول الله ﷺ : ألا إن رجب شهر الله الأصمّ لأنّه لا يقاربه شهر من الشهور حرمة وفضلاً عند الله ، وكان أهل الجاهليّة يعظّمونه في جاهليّتها ، فلمّا جاء الإسلام لم يزد إلاّ تعظيماً وفضلاً ، ألا إن رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمّتي ، ألا فمن صام من رجب يوماً إيماناً واحتساباً ، استوجب رضوان الله الأكبر ، وأطفاً

صومه في ذلك اليوم غضب الله ، وأعلق عنه باباً من أبواب النار ، ولو أعطى ملء الأرض ذهباً ما كان بأفضل من صومه ، ولا يستكمل أجره بشيء من الدنيا دون الحسنات ، إذا أخلصه الله ، وله إذا أمسى عشر دعوات مستجابات ، إن دعا بشيء من عاجل الدنيا أعطاه الله وإلا أخر له من الخير أفضل مما دعا به داع من أوليائه وأحبائمه وأصفياؤه .

وقد وردت روايات كثيرة لصوم أيام رجب ، و وردت مثنويات جزيلة فاخرة جداً لمن صام منه يوماً أو يومين أو ثلاثة إلى أن ينتهي إلى تمام الشهر ، فمن أراد الاجتهاد فليصم الشهر كله ليفوز بجميع المثنويات الواردة في كل واحد منها ، ولكن إذا اتفق الشهر في فصل حار لا يوافق مزاجه أحواله مع الصوم ، أو اتفق له عذر شرعي من الصيام كسفر أو ضيف يتضيّق من صيامه أو غير ذلك فليعمل بما ورد له من البدل وهو ما رواه الصدوق في ثواب الأعمال والأعمال باسناده إلى النبي ﷺ قال : ومن صام من رجب ثلاثين يوماً ، نادى مناد من السماء : يا عبد الله أما ماضى فقد غفر لك ، فاستأنف العمل فيما بقي ، فأعطاه الله في الجنان كلها في كل جنة أربعون ألف مدينة من ذهب ، في كل مدينة أربعون ألف قصر ، في كل قصر أربعون ألف بيت ، في كل بيت أربعون ألف مائدة من ذهب ، و على كل مائدة ألف ألف قصعة ، في كل قصعة أربعون ألف ألف لون من الطعام والشراب ، لكل طعام وشراب من ذلك لون على حدة ، و في كل بيت أربعون ألف ألف سرير من ذهب ، طول كل سرير ألف ذراع في عرض ألف ذراع ، على كل سرير جارية من الحور العين ، عليها ثلاثمائة ألف ذؤابة من نور تحمل كل ذؤابة منها ألف ألف وصيفة تغلفها بالمسك والعنبر إلى أن يوافيها صائم رجب ، هذا لمن صام رجب كله .

قيل : يا نبي الله فمن عجز عن صيام رجب بضعف أو علة كانت به ، أو امرأة غير طاهرة ، يصنع ماذا لينال ما وصفت ؟ قال : يتصدق عن كل يوم برغيف ، والذي

نفسى بيده إنّه إذا تصدّق بهذه الصدقة كلّ يوم ينال ما وصفت و أكثر ، لأنّه لو اجتمع جميع الخلائق كلّهم من أهل السماوات والأرض على أن يقدر واقع ثوابه ما بلغوا عشر ما يصيب في الجنان من الفضائل والدّرجات .

قيل يا رسول الله : فمن لم يقدر على هذه الصدقة ، يصنع ماذا لينال ما وصفت؟ قال : يسبّح الله في كلّ يوم من أيام رجب إلى تمام ثلاثين يوماً هذا التسبيح مائة مرّة : « سبحان الاله الجليل ، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلّا له ، سبحان الأعزّ الأكرم سبحان من لبس العزّ وهو له أهل » .

أقول : الصوم لله ، وهو يجزي به كما ورد في الخبر ، فينبغي للسالك إذا صام أن يصوم معه جوارحه ، كما روي ذلك عن الصادق عليه السلام إذا صمت فليصم سمعك و بصرك وشعرك وجلدك وعدّ أشياء غير هذا . فإنّ في عدّ الجلد والشعر كفاية في لزوم صوم جميع الجوارح ، وبالجملّة فإنّ صوم الخواصّ ليس من البطن والفرج خاصّة بل يعمّ سائر الجوارح كما أنّ صوم خواصّ الخواصّ بضمّ القلب على الجوارح فهو أن يصوم جوارحه عن مخالفة إرادة الله وقلبه عن الهمم الدنيّة ، والأخطار الدنيويّة ويكفّه عما سوى الله بالكلّيّة .

أقول : الصوم وكذا كلّ عبادة إنّما يعدّه العوامّ تكليفاً ، ويعمل به تكلفاً ولكنّ الخواصّ يرونه تشریفاً ولطفاً من الله جلّ جلاله ويرون أنّ الله في جعل العبادات وإيجابها منّة عظيمة ونعمة جسيمة على عباده ، ويستقبلونها استقبال التّشريف لا التّكليف ، بفرح وسرور ونشاط ، بل ولذّة وحبور من الخطاب .

روي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصّيام » قال لذّة الخطاب ذهب بالعناء . هكذا يجب أن يكون العبد العارف بالله وبحقّ الله ، فإنّ العبد إذا عرف الله أحبه وإذا أحبّ الله أحبه الله ، فتصير جميع معاملاته مع الله معاملة الحبيب مع حبيبه ، و هل رأيت حبيباً مستثلاً عن خدمة حبيبه ، لاسيّما إذا كانت الخدمة لطفاً من الحبيب وتشریفاً ، بل دعوة لمجلس المؤانسة وكرامة ، ويلتذّ من خطاب التّكليف ، و يفديه بنفسه ومهجته على قدر محبّته ، و

يراقب في إتيان تمام مراده ، و يجتهد في تحصيل كل محابّه ، وإن لم يردّها منه ، ولا يرى سعيه واجتهاده في ذلك إلّا لذّة وسعادة ، فيكون الإتيان بمحّاب الله جلّ جلاله من أهمّ محابّ نفسه و مراداتها ، فيعمل بها بالشوق التامّ الكامل ، و الامتنان من إذن الله - جلّ جلاله - له في ذلك ، ولا يوجد في قصده غير الله تعالى وغير رضاء ، ولا يشوبه قصد جزاء وثواب وجنّة ونعيم من نعم الله تعالى فضلاً عن شوب الرياء والسمعة واطلاع الغير وتحصيل رضاء .

وتفكّر يا عاقل في هذا الصوم المعيّن الخارجي لو أتيت به على ما وصفناه من النيات والقصود ، فزت بجميع ما ورد من الكرامات السنّية ، و المقامات العلية للصائمين والمخلصين وأزيد ، لأنّ فضل الله و كرامته لا يقدرّ بالبيان ، و يخدمك ملائكة الرحمن ، بل يطعمك ويسقيك في قيلولتك الملك المنان .

وإن أتيت به رياء وسمعة وجب لك الخذلان ، و كنت من عبدة الشيطان ، و نوديت بأربعة أسماء : يا غادر ! يا فاجر ! يا كاذب ! يا مرأئي ! واستحققت بذلك النيران فياسبحان الله هذا عمل واحد شخصيّ فما هذا الفرق العظيم إلّا من جهة أمر القلوب والنيات .

نعم لو لم يكن أمر القلوب والنيات بهذه العظمة والحيثيّة ، لما أنزل الله في كتابه العزيز في سورة والشمس [أحد عشر] قسماً بفلاح من زكيّها ، وخيبة من دسّيها فللعاقل أن يبذل تمام جهده وسعيه في إخلاص النيات و تصحيحها ، و الصدق في ذلك .

وقد ذكر سيّدنا ومولانا أسوة أهل المراقبة قدّس الله سرّه العزيز في كتاب الأقبال عدّة إشارات لاعتبار معرفة صوم الإخلاص من صوم الرّياء والشبهات ، وأنا أذكرها تيمناً بما ذكره ثمّ أعقبه بما يفتح الله لي من البيان في ذلك .

الأوّل اعتبار ذلك بالاستحياء من الإفطار ، عن صوم الأيام المستحبّة بمحضر الصائمين من الأخيار ، فتعلم منه أنّ في صومك شبهة تريد بها التقرب إلى قلوب الأنام .

الثاني أن تعتبر ذلك برغبة قلبك على اطلاع الغير من المخلوقين ، الذين تظن في اطلاعهم على صومك خيراً لك في دنياك ، و لو بالمدح و الشناء ، و زيادة الأكرام ، أو عدم ميلك إلى الاطلاع به من غير الله ، أو لا يكون الغير في قلبك بمقدار التأثير في رغبتك إلا أن اطلاع الغير أجل من اطلاع ربك فان كان كذلك فاعلم أن صومك سقيم ، وأنت عبد لئيم .

أقول: فليكن مراده قدس سره من الأخير أن يكون اطلاع الغير أجل في قلبه من اطلاع الله وحده جلالة مالا يؤثر في الرغبة ، و إلا لا يفارق ما في ظاهر كلامه من الرغبة .

الثالث الاعتبار بالنشاط بكثرة الصائمين ، و الكسالة بالوحدة ، وهذا أيضاً يكشف عن دخالة ما في كثرتهم في قصده وعمله ، فبقدر تأثير ذلك في القلب يتكدر الإخلاص ويسقم الصوم .

و منها الاعتبار بأن القصد هل هو لمجرد قصد الثواب ، أولاً أجل مراد رب الأرباب ، فان كان الأول فقد عزلت الله جلّ جلاله عن أنه يستحق الصوم لامتنال أمره ، و عن أنه جلّ جلاله أهل للعبادة بعظم قدره ، و لسولا الرشوة و البرطيل ما عبدته ، و لا راعيت حق إحسانه السالف الجزيل ، و لا حرمة مقامه الأعظم الجليل .

الخامس الاعتبار بسعة الفطور كمّاً وكيفاً هل يزيد في نشاطك في صومك أم لا ، فان زاد في نشاطك كثرة الطعام ولدته ، فبقدر زيادة النشاط بغير جهة الله يتعلل عملك من أوله إلى آخره هذا في اعتبارات تمام الصوم .

وأما اعتبارات إتمامه مخلصاً إذا دخل فيه بالإخلاص فهي أيضاً أمور :

منها أن يعرض لك في أثناء الصيام طعام لذيذ ، أو زوجة جميلة ، أو سفر فيه نفع ، هل يقل نشاطك بذلك عن الصيام ، و تكون مستثقلاً في صومك ، و تتوقع خلاصك منه أم لا ، فانك لا تقبل من عبدك خدمته مستثقلاً فيها ، بل تطرده وتهجره بذلك .

ومنها أن يحدث أمرير جحّ إفطارك عند الله على صومك ، فانظر هل تستحيي من الإفطار عند الناس ، فلا تبادر بالأرجح ، فلو كنت في عملك وقصدك مخلصاً في مراد الله لما راعيت غيره إذا ترجّح الإفطار عند الله جلّ جلاله .

ومنها أن ترى في أثناء صومك أنه يعجزك و يمنعك عن إتيان بعض الفروض الواجبة ، أو ما هو أهم عند الله ، فبادر بالأهم عند الله جلّ جلاله وصغّر ما صغّر الله ولا تراع عدم علم الناس بعذرک ، فتدخل بذلك في المرائين في عباداتهم ، و تدخل عبادتك في كبائر الذنوب ، فإن هذه العوارض تفسد صيامك أو خلوصه ، وإن كان في أوله صحيحاً مرضياً لله جلّ جلاله ، فان خطر لك بعض هذه العوارض أو غيرها ممّا يصرفك عن استمرار نيّة الإخلاص فبادر بالتوبة عنها .

واعلم أن ما يصرفك عن خدمة مولاك و مرضي إلهك ، فهو كالعدو لك و ملولاك ، فكيف تؤثر عدوك وعدوه عليه ، وأنت في حضور سيّدك وهو يراك ، فإذا آثرت غيره عليه فمن يقوم بما تحتاج إليه في دنياك و آخراك انتهى ملخصاً .

أقول : ولقد أفاد وأجاد جزاه الله عن عباده خير الجزاء ، ولكنه لم يبيّن مراتب هذه الآفات ، فإن بعض ذلك مبطل للصوم ، وبعضه مفسد للإخلاص ، وبعضه مفسد للصدق و الاخلاص ، وبعضه مرجوح بالنسبة إلى الدرجة العليا ، ومع ذلك فهو من الصدق و الاخلاص في درجة عالية .

فان شئت ترتب ذلك فاعلم أنه كلما دخل في قصد عبادتك صوماً كان أو غيره غير الله من مخلوقه سواء كان من أوّل الأمر أو حدث في الأثناء فهو مبطل للعمل ، و ذلك مثل ما ذكره قدس سرّه في العارض الراجح في الأثناء إذا لم يفطر من جهة عدم علم الناس بعذره ، فإن إدامة الصيام لأجل الغير مبطل له ، ومدخل له في الرياء المحرّم ، ولم يذكر من هذا القسم مثلاً لما يقع في الابتداء .

وكذا ما ذكره أخيراً من الصارف عن استمرار النيّة و قال : إنّه كالعدو لك و لربّك ، فهو أيضاً شامل لهذا القسم ، و هو كما ذكره كالعدو بل هو إثارة عبادة

العدو لأن ذلك إنما يكون بأمر الخبيث إبليس ، فيكون عبادة لعدو الله في الحقيقة وهي بمنزلة الكفر بالله وإن لم يوجب الله له كفراً من كثرة رفقه وأناته .

وكذا ما ذكره أوّلاً في العوارض المرجحة للإفطار فإن إدامة الصوم مع رجحان الأكل من جهة إيراد المخلوق يجعل الصوم من صوم الرّياء ، فيكون باطلاً وموجباً لسخط الخالق ، ولم يذكر من هذا القسم المبطل ما يوجد في ابتداء العمل وذكر مما في الابتداء من الآفات ما يضر في كمال الإخلاص لا في صحّة العمل .

وأما ما ذكره في أوّل الأقسام في الحياء من الإفطار بمحض الصائمين فهو على أقسام لأنّه إمّا أن يكون الحياء مؤثّراً في صومه بحيث لو لم يكن لما صام ، فهو أيضاً من الأقسام الباطلة سواء كان مستقلاً في السببيّة أو جزء سبب ، ولكن يمكن أن نقول في ذلك بعدم العقاب ، وأمّا إذا لم يكن مؤثّراً فلا يكون مبطلاً إلاّ أنّه يحطّه عن الدرجات العالية و ذلك مثل قصد الثواب ودفع العقاب ، فإنّه وإن كان صحيحاً وقصداً عالياً أيضاً في حدّ نفسه إلاّ أنّه من عمل العبيد والأجراء بالنسبة إلى ما يعمل لأنّه جلّ جلاله أهل للعبادة أو لتحصيل رضاه أو لتحصيل قربه ، وإن كان الأخير أيضاً داخلاً فيما يعمل للثواب ولكن هذا الثواب ليس كغيره من المثوبات فإنّهما أيضاً قريبان من الأوّل .

و بالجملة الأحرار العارفين بالله جلّ جلاله لا يكون أعمالهم غالباً من باب الطمع والخوف ، بل يكون باعشهم على العمل ما يتجلّى لهم من عظمة ربّهم وكبريائه أو نوره وبهائه ، فيعملون ويتواضعون ويعبدون ربّهم ومولاهم من غير رويّة وتردد واختيار ، بل يشبه عمل المضطّرين كما قال في حقّهم عليّ عليه السلام في حديث الهمّام : « بل خامرهم من عظمة ربّهم ما طاشت به عقولهم » أو عمل المجذوبين الوالّين من ظهور بهاء الحقّ تعالى ، وسطوع أنوار جماله ، فصاروا بين يديه حيارى

متضرّعين ، وسكارى متملّقين ، فإذا جنّهم الليل ، واختلط الظلام ، ونصبت الأسترة وخلي كلّ حبيب مع حبيبه ، نصبوا بين يديه أقدامهم ، وافترشوا جباههم ، فهم بين متأوّه وباك ، ومتضرّع وشاك ، فبعين الله ما يتحمّلون لأجله ، و بسمع الله ما يشكون من حبّه ، فيقبلهم ربّهم بقبول حسن ، ويريهم جماله ، و يؤنسهم بحسن صنيعه ، ولطف فعاله .

وأما الذين لم يعرفوا من الله إلاّ جنّته وناره ، فيعملون خوفاً من النار وشوقاً إلى الجنّة ، فلا يتأتّى منهم عمل العارفين ، المحبّين المشتاقين ، نعم لهم أن يقهروا أنفسهم بالتفكّر في عظمة خالقهم ، ونعمه السابعة التي لا تحصى ، ويسعوا في تخلية أنفسهم وقلوبهم من ذكر الجنّة والنار ، فيصحّحوا بالتعمّل قصداً خالصاً من باعث الرّغبة والرّهبة ، ومجرّداً لكونه تعالى أهلاً للعبادة ، أو يتفكّروا فيما سمعوا من أخبار الأنبياء والأولياء أن لا مرتقى فوق قرب الله ولقائه ، ويقدّروا في أنفسهم لذلك معنى صحيحاً ويجهدوا فيستقيم لهم في بعض الأحيان باعث الشوق إلى قربهِ و لقائه .

وإن أمكن ذلك لغير العارفين في بعض الأحيان لا يتيسّر لهم ذلك إلاّ نادراً فضلاً عن الاستمرار ، بل لم يتقل من أحد من الأنبياء والأولياء دعوى الاستمرار إلاّ ما روي عن أمير المؤمنين ، وأُسوة العارفين ، وقدوة المشتاقين ، من قوله : « ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنّتك ، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك » فهو من خصائصه وخصائص^(١) أخيه رسول الله ، حبيب الله ، سيّد خلق الله أجمعين و لعلّه يوجد في أولاده المعصومين أو في غيرهم من الأنبياء أيضاً من يقدر أن ينفي في كلّ عباداته أن يكون لرغبة أو رهبة ، أولاً يوجد والله تعالى أعلم .

وقد روي عن شعيب النبيّ على نبينا وآله وعلينا أنّه قال في جواب الله جلّ جلاله عند سؤاله عن بكائه : أنّه ما كان بكؤه من خوف نار ولا جنّة ، بل كان شوقاً إلى لقاء الله ، ولكن لا تصرّح فيه يشمل سائر عباداته كلّها ، وكيف كان هذا

مقام يشكل على أغلب العلماء فهمه وتصديقه ، فضلاً على غيرهم ، فالأهمّ للسالكين أن يصحّحوا ويخلصوا نياتهم عن شوائب الرياء ، حتّى يتخلّصوا بذلك عن فضيحة يوم القيامة ، وحياء العرض على الله حين يقال له : يا فاجر يا غادر يا مرائي أما استحييت إذا اشتريت بطاعة الله عرض الحياة الدّنيا ؟ راقبت قلوب العباد ، واستخففت بنظر سلطان المعاد ، وتحجّبت إلى المخلوقين ، بالتبغّض إلى ربّ العالمين ، وتزيّنت لهم بعمل الله ، وتقرّبت إليهم بالبعد عن الله ، وطلبت رضاهم وتعرّضت لسخطه ، أما كان أهون عليك من الله .

أقول: ورد عن الصادق عليه السلام أنّه لو لم يكن للحساب مهولة إلاّ حياء العرض على الله ، وفضيحة هتك الستر ، لحقّ للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال ، ولا يأوي إلى عمران ، ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلاّ عن اضطرار متّصل بالتلف ، فواغوثاه من أن ينكشف للانسان يوم القيامة عباداته ، و يرى أهل الحشر أنّه كان يراقب فيها نظر المخلوقين ، ويتزيّن بها لأمثاله من الضعفاء ، ويتحجّب إلى الناس بالتبغّض إلى الله جلّ جلاله ، لاسيّما إذا كان واعظاً للنّاس وناهيّاً لهم عن الرّياء ، فلعمري إنّهُ لأشدّ من جهنّم وعذاب النّار .

لاسيّما إذا قال له الجليل : عبدي أما كنت لك خالقاً رازقاً ، ومنعماً مراقباً أما كنت لك حافظاً ، كنت تنام على معصيتي وأحفظك في نومتك هذه عن أعدائك ومكارهك كلّها ، وأنت تعصيني بنعمي عليك ، وأنا أنعمك بما تعصي به عليّ ، فما وجه اختيارك غيري عليّ ؟ أكان غيري أنعم عليك منّي فمن جهة نفعا اخترته ؟ أو كان أقوى منّي فلاجل خوفك اتّقيته ؟ أو كان حاضراً عندك و كنت غائباً فمن حضوره استحييته ، أليست الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ، والنعم كلّها من فعلي .

ألست أنا أغني الأغنياء ، ولا غنيّ غيري ، أوليس الخلق كلّهم فقراء و ليس في الوجود فقير غيرهم ؟ .

أما وهيت لك ما تعرف به الخطاء من الصواب ، أما أرسلت إليك رسلاً منذرين ومبشرين ، وأولياء هادين [بعدهادين] ، أما أنزلت كتباً لهدايتك ، وحدّرتك من عدوك إبليس ؟ «فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن» فما كان في ذلك كله ما يحببني إليك أو ما يرضيك عني ؟ أو ما يلجئك إلى طاعتي ؟ أو ما وجدت أهون منّي فعصيتني بعين نعمي عليك في حضوري فيما هو صلاحك وسعادتك ؟ وأطعت عدوي وعدوك فيما فيه فسادك وهلاكك ، فيا بؤساً للمحرّمين من رحمتي ، ويا بعداً لمن أطاع غيري بمعصيتي .

فيا حسرتاً على ما فرّطت في جنب الله ، ويا سواتاه ، ووافضيتاه ، فياليت السماء أطبقت على الأرض ، ولم نسمع هذه الخطابات ، ويا ليت الجبال تدكدكت على السهل ، ولم تبدل موقف الكرام بموقف اللئام ، فأنا أنادي إلهي وربّي وسيدّي من مهوى عوالم الطبيعة ، وذلّ هذه المخازي الفضيحة وأقول : إلهنا وعزّنا وجلالنا ، وبهائنا وجمالنا ، لو كان لي جلد على عذابك ، و طاقة على انتقامك ، لما سألتك العفو عني عن هذه الفضائح الشنيعة ، والقبايح الفظيعة ، بل سألتك عذابي ونكالي ، ورضيت بشدّتي وسوء حالي ، سخطاً على نفسي بما جنت في صفقتها ، وأقبلت عليها وأدبرت معرضةً عنك في طاعتها ، ولكنك يا مولاي في سعة عفوك وطول أناتك وجميل سترك ، عودت هؤلاء الطغاة اللئام من أمثالي أن يطمعوا في نجاتهم ، بعد هذه العظائم ، ويرجو منك السّتر عن هذه الجرائم ، لأنّ هذه الدّنيا مع ضيقها ، وبعدها عن مقام لطفك وعوالم قربك ، ظهر فيها من حلمك وسترِكَ وكرمك ما يسعنا ويشملنا فكيف بعوالم الآخرة التي جعلتها دار كرامتك ، وأشرقت فيها سبحات وجهك ، و تلاءم فيها أنوار جمالنا ، فبعظيم عفوك ، و واسع رحمتك ، و جميل صفحك ، نلتجئ إليك من هذه المهالك المرديّة ، والأحوال الرديّة .

وإن كانت ذنوبنا قد أدخلت وجوهنا عندك ، و عيوبنا قد سدّدتها لديك ، فبنور وجوه أوليائك نتوجه إليك ، وبكريم مقامهم نتوسّل إليك ، في أن تعاملنا بعفوك

العظيم ، و فضلك القديم ، ولا تفضحنا على رؤوس الأَشهاد ، فانَّكَ قد أحسنت إلينا في الدُّنيا إذ سترتنا عن عبادك الصَّالحين ، فأدِّم لنا ما به سترتنا يوم القيامة عن أنظار العالمين ، وقد بلغنا عن أوليائك في تفسير جميل السِّتر من صفاتك ، أنَّكَ تستر فضائح أعمال عبادك عنهم ، لئلاَّ يتغنَّص عليهم الشَّعْثُ بنعمك من الخجل ، وبلغنا في تحقيق « كريم العفو » أنَّكَ تعفو عن الذُّنوب وتبدِّلها بأضعافها من الحسنات ، فبكرمك وعفوك نرجوك ، و بجميل سترك نؤمِّلك ، و أنت عند حسن ظنِّ عبدك بك ، فلا تؤيسنا من رحمتك ، ولا تقطع رجائي من رأفتك ، وإن قلُّ حيائي منك فارحمني ، وقد لُزق بقلبي داء ليس له دواء إلاَّ منك ، فصرت مضطراً إليك ، ومن يجيب المضطرَّ غيرك ، ويكشف السُّوء عنه سواك ، وصلى الله على محمَّد وآله الطَّاهرين ما شاء الله لا قوَّة إلاَّ بالله العليِّ العظيم ، هذا .

و للصَّوم جهات أخرى يلزم رعايتها للسَّالك من جهة سحوره و فطوره كمأً و كيفاً ، وإجمال ذلك أن يكون طعامه في كلا الوقتين بقدر القوت خالصاً من الشَّبهات ويتواضع مع ذلك عن الالتذاد بالأطعمة اللذيذة لله تعالى ، فلا يأكل ولا يشرب إلاَّ لقوَّة العبادة ، ويتحرَّز عن خصوص إكثار اللُّحوم وتقليله عمَّا ورد به الشَّرع ، فإنَّ إكثاره يورث قساوة القلب ، وتقليله يقوِّي قوَّة الغضب ، وحدُّه الشرعيُّ أن لا يترك فوق ثلاثة أيَّام ، ولا يؤكل في كلِّ يوم ، و يراعي عند الأكل آدابه التي تقرَّر في محلِّه .

ثمَّ إنَّ هذا الَّذي ذكر في الخبر في بدل الصَّوم من الصَّدقة التَّسبيح فظاهره التَّرتيب مطلقاً ولكنَّ السيِّد قدَّس سرُّه جعل التَّسبيح للمعسر ، والصَّدقة للموسر ، فالأولى أن يراعي المعسر أيضاً الصَّدقة في صورة الإمكان ، و يجمع المكسر الَّذي لا يرى هذه الصَّدقات في ماله معها التَّسبيح .

وأما صلاة سلمان ، روى السيِّد قدَّس سرُّه في الإقبال باسناده إلى الشَّيخ في المصباح فقال : و روى سلمان الفارسيُّ قال : دخلت على رسول الله ﷺ في آخريوم

من جمادى الأخرى في وقت لم أدخل عليه في ذلك الوقت قبله ، قال : يا سلمان أنت منّا أهل البيت أفلا أحدّثك ؟ قلت بلى فذاك أبي وأمي يا رسول الله ﷺ قال : يا سلمان مامن مؤمن ومؤمنة صلّى في هذا الشهر ثلاثين ركعة - وهو شهر رجب - يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة وقل هو الله أحد ثلاث مرّات وقل يا أيّها الكافرون ثلاث مرّات إلّا محالّ الله تعالى عنه كلّ ذنب عمله في صغره وكبره وأعطاه الله سبحانه من الأجر كمن صام هذا الشهر كلّّه ، وكتب عند الله من المصلّين إلى السنة المقبلة ، ورفع له في كلّ يوم عمل شهيد من شهداء بدر ، وكتب له بكلّ يوم يصوم منه عبادة سنة ، ورفع له ألف درجة ، فان صام الشهر كلّّه أنجاه الله من النّار ، وأوجب له الجنّة يا سلمان أخبرني بذلك جبرئيل وقال : يا محمّد هذه علامة بينكم وبين المنافقين لأنّ المنافقين لا يصلّون ذلك .

قال سلمان : فقلت : يا رسول الله أخبرني كيف أصلّي هذه الثلاثين ركعة ومتى أصليها ؟ قال : يا سلمان تصلّي في أوّل عشر ركعات تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة واحدة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرّات ، وقل يا أيّها الكافرون ثلاث مرّات ، وإذا سلّمت رفعت يديك وقلت : « لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ » ثمّ امسح بهما وجهك وتمام الرّواية في وسط الشهر وآخره .

أقول: لمصدّق بالإسلام والمؤمن بالنبيّ الصادق لا بدّ أن يشاق بالعمل بأمثال هذه العبادات التي كشفت أخبار الرّسالة فيها عن هذه المثوبات الجزيلة التي يبهز العقول ، ولا يناقش في عدم صحّة الاسناد لوجهين :

أحدهما أنّ الأمر إذا صار بهذا الخطر والعظمة ، إنّما يكفي فيه الاحتمال عند العقول ، والحال أنّ هذه الأخبار مظنون الصدور .

و الثاني ما وردت في أخبار كثيرة موثّقة أنّ من سمع شيئاً من الثّواب على

عمل فعمله التماس ذلك الثواب أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كما سمعه. فهذه الأخبار المعتبرة قطع الأعداء من جهة إسناد الأخبار.

و اجتهد أيها العاقل فإن العقلاء لا يكسلون عن تحصيل الفوائد الجليلة و قد أمك يوم عظيم مهول، عظيم الأخطار ، كثير الأهوال ، وأحوج ما تكون في هذا اليوم ، وما تدري لعلك تحتاج في هذا اليوم بحسنة واحدة تعادل بها ميزان حسناتك حتى تدخل الجنة بفضل الله تعالى ولا تجدها ، ولا يسمح بها عليك أبوك وأمك وأولادك الذين فديتهم بعمرك ومالك ، بل ودينك « يوم لا ينفع مال ولا بنون » هذا . ولا يذهب عليك أن ذكر هذه المثوبات الواردة في الأخبار لهذه العبادات ليس كما توهم سبباً لعدم تأتّي نية أهل الفضل من كونه تعالى أهلاً للعبادة أو عدم الفائدة لأهل هذه النية لأنّ تعيين المثوبات إنّما يكشف عن درجة محبوبيته عند الله فيقوى نية العمل ولو، لالهذه المثوبات بل لكونه أحبّ إلى الله فيكون إتيان محبوبه أيضاً لكونه أهلاً له .

ومن مهمّات الأعمال في هذا الشهر الأذكار والدّعوات الواردة منها أن يقول في تمام الشهر ألف مرّة: أستغفر الله ذا الجلال والإكرام من جميع الذّنوب والآثام روى الصدوق عليه الرّحمة أنّه من قال ذلك في رجب ألف مرّة قال الله تعالى إن لم أغفر لست بربكم لست بربكم لست بربكم .

ومنها أن يقرأ [سورة] التوحيد في تمام الشهر عشرة آلاف مرة ، وورد أيضاً ألف مرّة وروى أنّه من قرأها ألف مرّة جاء يوم القيامة بعمل ألف نبيّ وألف ملك ، ولم يكن أحد أقرب إلى الله منه إلّا من زاد عليه ، وإنّها لتضاعف في رجب وفي رواية أخرى أنّ من قرأها في رجب مائة مرّة بنى الله له اثنتي عشر قصرًا في الجنة مكّلة بالدرّ والياقوت ، وكتب الله [له] ألف ألف حسنة ثمّ يقول : اذهبوا بعبدني فأروم ما أعددت له فيأتيه عشرة آلاف قهرمان ، وهم الذين وكلوا بمساكنه في الجنة فتفتحون له ألف ألف قصر من درّ ، وألف ألف قصر من ياقوت أحمر كلّها مكّلة بالدرّ والياقوت والحليّ والحلل ، ما يعجز عنه الوصفون ، ولا يحيط بها إلّا الله تعالى ، فإذا رآها

دهش وقال : هذامن من الأنبياء ؟ فيقال هذا لك بقراءة تك قل هو الله أحد .
ومنها أن يهّل فيه كلّ ألف مرّة و ورد أنّه من قال ذلك كتب الله له مائة
ألف حسنة ، و بنى له مائة قصر في الجنة . ومنها أن يقول فيه كلّ ألف مرّة لا إله إلا
الله وروى أنّه من قاله فيه كتب الله له [مائة] ألف حسنة و بنى له [مائة] مدينة في الجنة .
ومنها أن يقول فيه كلّ مائة مرّة أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له
وأَتوب إليه . و [إذا] ختمها بالصدقة ختم الله له بالرحمة والمغفرة ، ومن قالها أربع مائة
مرّة كتب الله له أجر مائة شهيد .

ومنها أن يجعل ذكر سجوده في الشهر كلّ : « عظم الذّنْب من عبدك ، فليحسن
العفو من عندك » تأسياً لعليّ بن الحسين عليهما السلام .

ومنها أن يقول في الصّباح والمساء وفي دبر كل صلاة : « يا من أرجوه لكلّ
خير و آمن سخطه عند كلّ شرّ ، يا من يعطي الكثير بالقليل ، يا من يعطي من
سأله يا من يعطي من لم يسأله و من لم يعرفه تحنّناً منه و رحمة أعطني بمسألتي
إيّاك جميع خير الدنيا و جميع خير الآخرة ، و اصرف عنيّ بمسألتي إيّاك
جميع شرّ الدنيا و شرّ الآخرة فإنّه غير منقوص ما أعطيت و زدني من فضلك
يا كريم » ثمّ يقبض لحيته بيده اليسرى و يلوي بسبّابته اليمنى ويبكي ثمّ يقول :
« يا ذا الجلال و الاكرام ، يا ذا النعماء و الجود ، يا ذا المنّ و الطول حرّم شيبتي
على النار » .

أقول : لا تغفل أنّك تقول في أوّل هذا الدّعاء إنّك ترجو الله لكلّ خير ، و
تأمن سخطه عند كلّ شرّ ، و من بعض هذا السخط مكر الله و الحال أنّ الأمان من
مكر الله من المعاصي الكبيرة ، فليكن قصدك من هذه العبارة بشرط التّوبة فكأنّك
تقول : يا من جعل لعباده طريقاً إذا سلكوه أمنوا من سخطه ، و هو التّوبة ، وهذا
ليس أمناً فعلياً من مكر الله و كذا قولك « أرجوه لكلّ خير » فكأنّك تقول : يا من
جعل لعباده طريقاً إذا سلكوه وفتح لهم باباً إذا دخلوا منه نالوا به لكلّ خير يريدونه
وهو الدّعاء .

ثم إنك لو تدبرت في قولك : أعطني جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة ، بتكرار لفظ الجميع في المعطوف وفي قولك : واصرف عني جميع شر الدنيا وشر الآخرة ، بلا إعادة لفظ الجميع لعلك تنفطن أن في تغيير الأسلوب إشارة إلى أن الشر عبارة عن أمر عديمي ، وهو البعد عن رحمة الله ، والحرمان عن روح الله ، ولكن الخير من جهة كونه أمراً وجودياً فكأنه أنواع لانهاية لعددها وأما ذكر لفظ الجميع في شر الدنيا فكأنه أيضاً لأجل عدم انكشاف هذا المعنى في شرور الدنيا لعامة أهلها بخلاف الآخرة .

فاذا تقررت ذلك فاعلم أنك لاتنال لخير الدعاء وإجابته كمالاً إلا إذا اتصف سرّك وروحك وقلبك بصفات الدعاء و الاتّصاف بصفاته عبارة عن أن يكون المنشئ بالدعاء سرّك وروحك وقلبك ، مثلاً إذا قلت : أرجوك لكل خير ، تكون راجياً لله بسرّك وروحك وقلبك ، ولكل منها آثار فليظهر آثاره في عملك ، فمن تحقق الرّجاء في سرّه وحققيقته ، فكأنه يصير رجاءً كلّّه ، ومن كان ذلك في روحه فكأنه يكون حياته بالرّجاء ، و من كان راجياً بقلبه يكون أعماله التي يصدر عن قصد و اختيار ملازماً للرّجاء ، فاحذر أن لا يوجد في شيء من شؤونك شيء من الرّجاء .

واعتبر ذلك من أعمالك ، فانظر هل ترى في حرّكاتك أثر الرّجاء وهو الطلب أم لا أما سمعت قول المعصوم عليه السلام من رجا شيئاً طلبه ، وهو كذلك لأنك ترى في أحوال الرّاجين من أهل الدنيا في الأمور الدنيويّة أنّهم إذا رجوا خيراً من أحد أوشي طلبوه من هذا الشخص ومن هذا الشيء الذي رجوه فيه بقدر رجائهم ، ألا ترى أن التاجر لا يفارق تجارته و الصانع ملازم لصنعتة فذلك كلّّه من جهة أنّهم يرجون الخير في التجارة والصنعة ، وهكذا كلّ فرقة يطالبون ما يرجونه فيما يرجونه ولا يفارقونه حتّى ينالوا به إلا راجي الجنّة والآخرة وإلا راجي فضل الله وكرامته غالباً ، هيئات هيئات هذه الآثار للمصفات ممّا حكم به الله الحكيم ، ولا ترى تغييراً لسنة الله ، ولكن التخلف في اشتباه الدّعوى بالحقيقة وإلا فلا يوجد ذرّة من الرّجاء

إلا وعنده مثله من الطلب وهكذا، هذا .

وقس على الرجاء غيره من مطالب الدّعاء من التّسبيح ، والتّسليم ، والتّحميد والتّضرّع والاستكانة ، والخوف ، والاستغفار ، والتّوبة ، فإنّ كلّ ذلك لها حقائق و دعاوي ، فلا أثر للحقيقة ، ولا خلف ، مثلاً إذا كنت بسرّك وروحك وقلبك منزّهاً لله تعالى عن النقائص ، فكيف لا تأمن وعده في أمر رزقك وقد ضمن لك ، وإذا كنت منزّهاً له من أن يكون له شريك في ملكه ، فكيف تتخاف غيره في طاعته ولا تخافه في طاعة الغير بمعصيته .

بل لو كنت عارفاً بحق المعرفة أنّ الله يسمع دعائك ، ويرى باطنك كما يرى ظاهرك ، وأنت بين يديه مسخرّ مرئوب وهو يفعل ما يشاء بك ، من ثوابك وعقابك ، و نجاتك و هلاكك ، و قبولك و ردّك ، فلا أقلّ من أن تهابه أن تشافه في حضوره بالكذب والفرية ، والدّعاوي الباطلة ، فالظهر لمراسم العبوديّة صورة لا باطناً إذا كان [خلو] الباطن معلوماً للطرفين يسمّى مستهزئاً عند أهل العرف ، ولكن واقع الأمر في الأغلب ليس كذلك لأنّ خلو الباطن عن مراسم العبوديّة وحقائقها ليس معلوماً للعابد بل هو يرى أنّ عبادته حقيقة وليست بصوريّة ، وهو مغرور ، و بذلك يخرج عن المستهزئين ولكنّه يدخل في «الأخسرين أعمالاً الذين يحسبون أنّهم يحسنون صنعا» .

ومن جملة أدعية كلّ يوم مارواه في الإقبال عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال في جواب معلّى إذ سأله أن يعلمه دعاءً يجمع كلّ ما أودعته الشيعة في كتبها - قل : يا معلّى اللهمّ إنّني أسألك صبر الشّاكرين لك الخ .
و منها ما رواه أيضاً عن الشّيخ في أدعية كلّ يوم منه وهو : « يا من يملك حوائج السّائلين .

و منها ما رواه أيضاً بإسناده عمّا كتب حرّ بن عبد الله عن التّوقيع المبارك :
بسم الله الرحمن الرحيم ، ادع كلّ يوم من رجب : اللهمّ إنّني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك الخ وهو دعاء عالية المضامين يفتح منه أبواب من العلم لأهله .

ومن مهمّات الدعاء الذي قرأه إمامنا وسيّدنا أرواحنا وأرواح العالمين فداء وعليه صلوات الله في مسجد صعصعة على رواية الشيخ وهو دعاء جليل أوّله اللهم يا ذا المنن السابغة .

ومنها أيضاً دعاء رواه ابن [أبي] عيَّاش على ما في الإقبال عن التوقيع المبارك [أوّله] اللهمّ إنني أسألك بالمولودين في رجب .

ومن المهمّات في أعمال رجب زيارة الحسين عليه السلام في أوّله ووسطه .
وأما الصلوات الواردة في لياليها، الأولى أن لا يترك رأساً فيصلي الصلوات الخفيفة التي لا تستغرق وقته ، فيمنعه عن سائر أوراده من العلم و العمل ، و يعمل السالك بهذا المنوال إلى أيام البيض فيزيد في لياليها على قدر إقباله ونشاطه .
وإن صلى فيها الصلاة التي رواه في الإقبال بإسناده عن أحمد بن أبي العينا، عن الصادق عليه السلام بـ «يسّ» وتبارك ، وقل هو الله أحد ، ففيه فضل مروي .

و إن اقتصر على بعض الصلوات المختصرة المروية في الليلتين وصلى في الخامسة عشر ما رواه في الإقبال بإسناده إلى الشيخ وهو بإسناده إلى داود بن سرحان عن الصادق عليه السلام قال تصلي ليلة النصف من رجب اثنتي عشر ركعة تقرأ في كلّ ركعة الحمد وسورة فاذا فرغت من الصلاة قرأت بعد ذلك الحمد ، و المعوذتين ، وسورة الإخلاص وآية الكرسي أربع مرّات وتقول بعد ذلك : « سبحان الله و الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » أربع مرّات ثم تقول : « الله الله ربّي ولا أشرك به شيئاً ماشاء الله ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم » وإذا ساعده التوفيق يزيد لأحواله في الليلتين مقدار ورده من قيام الليل وصيام الأيام الثلاثة وإحياء ليلة النصف على ما وصفناه في إحياء الليلة الأولى على جهة المراقبة .

ويعرف تعظيم اليوم الثالث عشر من جهة أنّه يوم ولادة خاتم الأولياء، وسيّد الأوصياء ، أخ الرسول ، وزوج البتول ، وسيف الله المسلول ، أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام فإن لهذا اليوم في حكم العقل لشأناً من الشّان ، يقصر عنه البيان والتقرير ويكلّ عنه اللسان والتحرير، فإن حقّ الأوقات والأيّام وشؤونها إنّما تتقدّر بقدر

ما يظهر فيها من ألطاف الله جلّ جلاله فإنّ ما ظهر في هذا اليوم و نزل على وجه الأرض من نور ولاية خاتم الأولياء الذي هو شرط الإيمان و ركنه ، بل روحه و نفسه ، و الذي هو كالجزء الأخير للعلّة التامة من الإيمان و الاسلام نعمة لا يقدر قدرها بهذه العقول لأنّها لا تحيط بما أعدّ الله لأهل الولاية و الإيمان من النور و الكرامة ، و درجات القرب في دار المقامة ، و بهجات لذّة اللقاء ، و مجاورة أهل الملأ الأعلى ، و جملة نعيم دار البقاء ، و كلّها مترتبة على أصل الإيمان وهو ركنه الأعظم .

وأيضاً لو لم يكن سيف أمير المؤمنين وقد نصر الله الاسلام بسيفه لأباد أهل الكفر المسلمين و ما قام للإسلام دعامة ، فاذكر ما فعل يوم بدر وحنين ، و تفكّر في قول الرسول الصادق الأمين في يوم خيبر حيث قال : برز الاسلام كلّه إلى الكفر كلّه و بالجملة فضائل أمير المؤمنين أخفاء الوليّ تقيّةً و العدّ وضنةً ، فمع ذلك انتشر منه ماملاً الخافقين .

وهو النبا العظيم ، والصراط المستقيم ، والقرآن الكريم ، وهو إمام المسلمين و أمير المؤمنين ، ووصي رسول ربّ العالمين ، وقائد الغر المحجلين ، و نور الله المبين و باب حطّة ربّ العالمين ، و جنب الله في خلقه ، و وجهه في أوليائه أجمعين .
وهو العلم العالم ، و البحر القمقام ، و كاسر الأصنام ، و فلاّق الهام ، و نور الله التام . وهو مبدا الكفّار ، و قاصم الفجّار ، و معدن الأسرار ، و نور الأنوار ، و المولود في البيت ذي الأستار . وهو الأصل القديم ، و الفرع الكريم ، و الامام الحليم . وهو جبل الله المتين ، و جنبه المكين ، و قيّم الدين . وهو صاحب الدلالات ، و الآيات الباهرات ، و المعجزات القاهرة الزاهرات ، و المنجي من الهلكات الذي ذكره الله في محكم الآيات فقال تعالى : « و إنّ له لدينا لعليّ حكيم » .

وهو صنو الرسول ، و زوج البتول ، و سيف الله المسلول . وهو عين الله الناضرة و يده الباسطة ، و أذنه الواعية . وهو المعصوم من الزلل ، و المهذب من الخل ، و المطهر من العيب ، و المهذب من الرّيب . أخو النبي صلّى الله عليه وآله و وصيّيه ، و البائت على فراشه

والمواسى له بنفسه ، وكاشف الكرب عن وجهه .

الَّذِي جعله الله سيفاً لنبوته ، وآيةً لرسالته ، و شاهداً على أمته ، و حاملاً لرايته ، و وقايةً لمهجته ، و يداً لبأسه ، و تاجاً لرأسه ، و باباً لسره ، و مفتاحاً لظفره . وهو اسم الله الأعظم ، و القرآن الأكرم ، و البيت الحرام ، و صفا و زمزم ، و صاحب العصا و الميسم ، و هو مظهر العجائب ، و مظهر الغرائب ، و الشهاب الثاقب ، و مفرق الكتائب ، و نقطة دائرة المطالب .

وهو أبو الأئمة ، و محيي السنة ، و كاشف الغمة ، و سيّد الأمة ، و سنيّ الهمة . وهو صاحب الاجتباء ، و المخصوص بالإخاء ، و خامس أصحاب الكساء ، و حامل اللواء و النقطة تحت الباء ، و صاحب الأنبياء . وهو معلّم جبرائيل ، و أمير ميكائيل ، و حاكم عزرائيل ، و هو قاسم طوبى و سقر ، و أبوشبير و شبّر . و هو سيّد البشر ، و من أبى فقد كفر .

وهو ملاذ اللّائذين ، و غياث المضطّرين ، و الحاكم يوم الدين ، و حبيب إلّ العالمين ، و حجة الله على الأوّلين و الآخرين ، و حياة العالمين ، و ضياء العالمين أمير المؤمنين . و هو سرّ الأسرار ، و نور الأنوار ، و إمام الأطهار ، و وليّ الجبّار ، و نعمة الله على الأبرار ، و نقمته على الفجّار . وهو جنب الله العليّ ، و وجهه المضيء ، و نفسه الوفيّ ، الإمام أبو الحسن عليّ .

فلا وليّائهم أن يعتقدوا ليوم ولادته كلّ شرف ، و يجعلوه العيد الأكبر ، و يشكروا الله جلّ جلاله شكراً لم يشكر مثله أحد من الأمم الماضية ، و القرون السالفة ، لأنّ مثل هذه النعمة لم ينزل إليهم قطّ ، و لشيعته أن يستقبلوا هذا اليوم بشكر [ليس] دونه شكر لأنّه أتى بنعمة صغر عندها كلّ النعم .

اعلم أنّ الإنسان إذا عزل العقل عن الحكم ، فلا حكم لشيء ، و لا ترجيح و لا تكليف فأمره أمر البهائم يأكل و يتمتع و يروث و يبول ، حتّى يأتيه الموت وأمّا إذا جعل العقل حاكماً في حركاته و سكناته فله بالنسبة إلى كلّ ما في الوجود حكم

فعليُّ أو تقديريُّ بلا حيف ولا ميل ، ولا تعطيل في حكمه مقدار ذرَّة ، كلُّ ما ناله فهمه فله فيه حكم ، وكلُّ ما لم يحط به أيضاً له حكم من هذه الجهة .
فاذا عقل العاقل أنَّ سيِّداً من أولياء الله قد صار سبباً لنجاته من عذاب و عقوبةٍ ما ، فله حكم بوجوب شكره بقدر هذه الفائدة .

فكيف إذا قطع بأنَّ أمر العالم قبل بعثة النبي ﷺ قد انجرَّ إلى أن انطمست أنوار الهداية في بحر الضلالة ، وكسفت شمس الدين في ظلمات الغواية وانخسفت أقمار الأديان في تيه الغماية ، وكسدت أسواق العلوم ، وفسدت مزاج الحلول ، حتَّى أقاموا سوقاً يفتخر أشرافهم فيه بصفات البهائم ، و عدُّوا الكذب و الدعاوي الباطلة من العظام .

وانتهت أمر العالمين إلى أن خرطوا أخشاباً ، و صنعوا أحجاراً ، فعبدوها و جعلوها بمنزلة ربِّ العالمين ، و خالق المخلوقين ، و سجدوا لها سجود العبادة ، و وضعوا لها مناسك عن وجه البلادة ، و استحقَّوا بذلك هلاك الأبد و عذاب الخلد و شارفوا بكفرهم نار الجحيم ، و العذاب الأليم ، و استثاروا بالزَّيغ و الأهواء غضب الرَّحْمَنِ ، و سجَّروا بظلمهم و عميهم لظى النيران ، و كم من نارٍ أوقدوها لقبورهم و كم من ظلمة بدَّلوها من نورهم ، و كم من ظلم سنَّوها من جهلهم ، و أذية ابتلوا بها من حقهم .

قد خرَّبوا بظلمهم البلاد ، و أهلَكوا العباد ، و اتَّبَعُوا الشهوات ، و ضيَّعُوا الصَّلوات ، و أنكَرُوا القربات ، و دَفَنُوا البنات ، و هَجَرُوا الصُّلوات ، و نازَعُوا مالِك المَحيا و المَمات ، و خالفُوا النُّبُوت ، و استحقَّوا بذلك أسوأ الهلكات المرديات .

فبعث الله جلَّ جلاله رسوله ﷺ علماً للهداية ، و أنزل عليه الكتاب ، فدفع به الجهلات ، و نشر به الهدايات ، و أكمل به الكمالات ، و أحيى به الصَّلوات ، و قمع به الضلالات ، فجمع به الحلول ، و أكمل به العلوم ، و أتمَّ به النور ، حتَّى أوري قَبس القابِس ، فأضاء به الطريق ، و سلك به السبيل ، قد جاء من الله بنور و كتاب

مبين ، « يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

فشرع شريعة كاملة ، وأتى بحكمة بالغة ، حتى بين لجميع حركات الإنسان وكل سكناته أحكاماً خاصة روعي فيها أنواع الحكم والمصالح ، وأوضح لأُمَّته كل ما يقرّ بهم من الله والجنة ، ويبعدهم من النار ، حتى أَرش الخدش ، ولم يترك شيئاً من الأشياء ، ولا حالاً من الحالات ، كليةً أو جزئيةً ، شريفةً أو وضيعةً كبيرةً أو صغيرةً ، إلا ووضع لها أحكاماً مطابقة لحكم الله الحكيم تعالى لها ، بما اقتضته حكمته البالغة التي لا يبلغ كنهها عقول العقلاء ، وأوهام الحكماء ، حتى جاء بشريعة تامة ، كاملة جامعة ، لحكم الظاهر والباطن ، وسياسة الدين والدنيا . حتى بين لأخسّ حالات الإنسان ، وهو حال تخلّيه أحكاماً ومصالح ، وعبراً وأذكّاراً ، ودعوات يحار فيه اللبيب ، ويبهر منه العقول ، ولم يسوّ بين الدخول على المستراح في تقديم الرّجل ، وبين الخروج إلّا حكم في الدخول بتقديم اليسرى لأنّه دخول على ما يناسب اليسرى و في الخروج بتقديم اليمنى لأنّه خروج من الأخسّ وهو يناسب الأيمن .

وبالجملة انتشر في زمانه وزمن أوصيائه من العلوم ما يملأ الخافقين ، من علم الفقه ، وعلم الأخلاق والمعارف ، وأكمل الحكمة في أُمَّته في زمان قليل بما لم يبلغه حكمة القدماء في أزمنتهم الطويلة .

وبالجملة جاء بشريعة وحكمة ونور يوصل بها العالمين في مدّة أعمالهم^(١) القصيرة إلى أقصى درجات الكمال ، وأبهى بهجات الوصال ، من الله ذي الجلال .

وبالجملة إذا عرف الإنسان من عظمة مقدار نعمة البعث ما عرفت و إن كان لا يبلغ ما ذكرناه قطرة من [بحار] حقائقها وعلم أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان لرسول الله ﷺ أخاً و وزيراً بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لانبئ بعده ، وكان باب مدينة علم رسول الله ﷺ ، وكان أمر الاسلام قائماً بسيفه ، وأمر الهداية دائراً بتعليمه ، و

(١) في مدة أعمارهم ، ظ .

جعل الله بمنزلة نفس النبي صلى الله عليه وآله في كتابه، وجعل ولايته ركناً للإسلام، وشرطاً في الإيمان، يعرف بذلك نبذة من عظمة شأن هذا اليوم، ويشم رائحة من علو مقامه فبقدر معرفة النعمة يجب شكرها، ومن شكرها تعظيم اليوم بالقلب والروح، ومن عظم في نفسه مكانة زمان، أو شرافة مكان، فلا بد أن يعامله معاملة بقدر شرفه، وأول ذلك أن لا يضيّعه ولا يتركه معطلاً، بل يصرفه بكل ما يعتقد شرفه، ولاشرف فوق شرف الإخلاص لله تعالى في العبادة من الصوم والصلاة والانفاق في سبيل الله، و تعظيم حرمت الله، وتكريم شعائر الله، والتزيّن بالذكر والفكر في الباطن، و الفرح و السرور في البشرة، واللباس النظيف في الملبس^(١).

وزيارته عليه السلام و التهنية لرسول الله صلى الله عليه وآله و للأئمة عموماً و لصاحب الزمان أرواحنا و أرواح العالمين فداه خصوصاً و ذكر شمة من فضائله و يختم يومه بما مرّ من ختم الأيام الشريفة بتسليم الأعمال على الحماية والخفراء حتى يصلحوها .
ثم من الأهم أن يصلي صلاة سلمان المحمدي عليه السلام حصته يوم النصف في الخامس عشر و هو أيضاً عشر ركعات على ما صلى في اليوم الأول إلا أنه يرفع يديه ويدعو بين الركعتين بدل ما ذكرناه في اليوم الأول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير و هو على كل شيء قدير إلهاً واحداً فرداً صمداً لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً » ثم يمسح بهما وجهه .

و اعلم أن هذا اليوم أيضاً من الأوقات الشريفة المخصوصة روى سيّدنا في الإقبال باسناده إلى ابن [أبي] عيشاش قال: قال آدم : يارب أخبرني بأحبّ الأيام إليك وأحبّ الأوقات ، فأوحى الله تبارك و تعالى إليه : يا آدم أحبّ الأوقات إليّ يوم النصف من رجب ، يا آدم تقرب إليّ يوم النصف بقربان ، و ضيافة وصيام ، ودعاء و استغفار ، و قول لا إله إلا الله ، يا آدم إنّي قضيت فيما قضيت ، و سطرت فيما سطرت ، إلى باعث من ولدك لافظّ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق حلیم رحيم

كريم عليم عظيم البركة أحصه وأتمه بيوم النصف من رجب لا يسألوني فيه شيئاً إلا أعطيتهم ، ولا يستغفروني إلا غفرت لهم ، ولا يسترزقوني إلا رزقتهم ، ولا يستقبلوني إلا أقبلتهم ، ولا يسترحموني إلا رحمتهم ، يا آدم من أصبح يوم النصف من رجب صائماً ذاكراً ، خاشعاً ، حافظاً لفرجه ، متصدّقاً من ماله ، لم يكن له عندي جزاء إلا الجنة ، يا آدم قل لولدك أن يحفظوا أنفسهم في رجب فإن الخطيئة فيه عظيمة .

أقول : ليس للعاقل - بعد ما عرفت أن اليوم بهذه المكانة عند الله - إلا أن يرحم نفسه ألا يفوت مثل هذا السبب القوي في استعلاج حالاته السالفة ، و تقصيراته الماضية ، و يستصلح في يوم واحد ما قدّم و أخر من عمره ، و يخاطب نفسه مخاطبة الأخ الشفيق و يقول : أفما تتفكّر فيما أتاك من هذه النصيحة الإلهية التي إن تعرّضت لها أنجّاك من نار الجحيم ، والعذاب الأليم ، وأخرجك من الظلمات إلى النور ، ألا فقد ناداك الجليل إلى مجلس الرحمة والأمان ، وموهبة الملك والسلطان وعطاء الخلع و الهدايا ، و صكك الفضل و المزايا ، وأحضرك إلى مجلس أوليائه و أحبائهم ، و نديك لرفاقه أصفياؤه و أهل اجتباؤه ، وقد صرّح في مواعيده أن يغفر لك بالاستغفار فلا تقصّر فيه ، واجتهد في صدق حال الاستغفار ، و احذر أن تبدّله منه بالاستهزاء ، و وعدك من الدعاء بالاجابة فحصل لنفسك حال الدعاء ، فأنه حال سنيّ ، لا يشتبه على العاقل ^(١) بقراءة ألفاظ الدعاء .

والأهم في الدعاء أن يعرف المدعو ، ويرجو إجابته ، و الأغلب [من الناس] في معرفة الله مميل بالتنزيه الصرف الملازم للإبطال ، وبعض أيضاً يتخيّلون شيئاً مجوّفاً محيطاً فوق الأفلاك ينادون إلهاً بعيداً في جهة فوق ، أو يزعمون العالم و أنفسهم صمداً قائماً بنفسه .

وبالجملة الأهم في الدعاء استكمال شرائطه و هو أن يعرف الله تعالى معرفة إجمالية لائقة بشأن الداعي لا محالة ، و يدعوه عن حضور بل و يرى أن دعاءه أيضاً منه برز إليه و يظنّ حسن عنايته ، ويرجو إجابته إن كان صلاحاً .

(١) واستظهر بعض الفضلاء أن الصحيح : [قد يشتبه على الغافل] .

ويذكر في أوّل دعائه من أسماء الله الجماليّة، أو مناسباً لدعائه، ويمجّد الله تعالى ويثني عليه ويعقّب به بيا أرحم الراحمين سبع مرّات ويعترف بذنوبه و عيوبه و عدم استحقاقه للإذن في الدعاء وللاجابة ثمّ يصلي على النبي وآله عليه السلام، ويتوسّل بهم، ويقسم على الله تعالى بحقّهم، في إجابته، والأولى أن لا يذكر مطلوبه مستقلاً بل يجعله شرطاً وقيداً وصفة - للصلوة عليهم - كأن يقول: صلّ عليهم صلاة تغفر بها ذنوبي.

ثمّ يختمه أيضاً بصلوات، ويقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله، و يبكي عند دعائه ولو مثل رأس الذباب، و يكرّر هذا التفصيل لا محالة أربع مرّات فإن الله يحبّ السائل اللّجوج، وله شرائط غيرها مذكورة في محله.

و بالجملة للسالك أن يقوّي اعتقاده بصدق مواعيد الله تعالى، و يتفكّر في شأن هذه المواعيد، و مبلغها من السعادة، و يلتفت أن هذا اليوم و هذا المقام محال أن يوجد في سنة مرّتين، و أنّه لا اطمينان بل ولا ظنّ للبقاء إلى مثله في السنة الآتية، مع توفيق التدارك، وعند ذلك يرضن أن يتركه مهملاً، لا سيّما إذا رأى شدّة احتياجه لمثله في غداة غد، عند الوقوف بين يدي الملك الجبار للحساب، في يوم عظيم لا أعظم منه.

وإن وفق لدعاء الاستفتاح مع الشرائط فهو وإلا لا يترك لاحالة نفس الدعاء ويزور الحسين عليه السلام.

والأولى أن يصلي أربع ركعات التي صلاها علي عليه السلام و يقرأ بعدها الدعاء الذي قرأه وأوّلّه: [اللهم] يا مذلّ كلّ جبار. و يدعو بعده بحوائجه ويتذكّر في خلال اليوم أن هذا اليوم من خصائص هذه الأمّة ويشكر هذا التخصيص، ومن لا جله الاختصاص، و يكثر الصلوات والدعاء عليه صلى الله عليه وعلى آله المعصومين، و يختم يومه أيضاً كما مرّ مراراً بما يختم به أمثاله من الأيام الشريفة. و لسيّد المراقبين قدس سرّه في هذا المقام تفصيلاً في ذكر رواية دعاء الاستفتاح وعنايات هذه الواقعة

الميمونة ، ومراقبات جليلة ، فليطلب الطالب ذلك من كتاب الاقبال ، ولا يزهديه
فان فيه فوائد جليلة عند أهله ، وإن كان غير عزيز على الغافلين .
ثم بعد ذلك من منازل رجب وأشرفها بل أشرف من كل يوم ، يوم السابع و
العشرين وليلتها .

أما الليلة فقد روى في الاقبال عن محمد بن علي الطرازي في كتابه باسناده
إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام قال : قال : في رجب ليلة هي خير للناس مما طلعت عليه
الشمس ، وهي ليلة سبع وعشرين منه ، بعث النبي في صبيحتها ، وإن للمعامل فيها
أصلحك الله من شيعتنا مثل أجر عمل ستين سنة .

قيل : وما العمل فيها ؟ قال إذا صليت العشاء الآخرة ، وأخذت مضجعتك ثم
استيقظت أي ساعة من ساعات الليل كانت قبل زواله أو بعده صليت اثنتي عشر ركعة
باثنتي عشرة سورة من خفاف المفصل من بعد يس إلى الحمد ، فإذا فرغت من كل
شفع جلست بعد التسليم وقرأت الحمد سبعا ، والمعوذتين سبعا ، وقل هو الله أحد
سبعا ، وقل يا أيها الكافرون سبعا ، وإنا أنزلناه سبعا ، وآية الكرسي سبعا ، و
قلت بعد ذلك من الدعاء : الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً الخ ، وادع بما
أحببت ، فانك لا تدعو بشيء إلا أجبته ما لم تدعو بمأثم ، أو قطيعة رحم ، أو هلاك
قوم مؤمنين .

وتصبح صائماً فانه يحتسب لك صوم سنة ، وإن عاقه مانع من هذا التفصيل
صلى ما رويناه في ليلة النصف . وهي أيضاً واردة في هذه الليلة .

والأهم معرفة حق الليلة ويومها ، ويعرف ذلك إجمالاً مما ذكرناه في يوم
ولادة أمير المؤمنين عليه السلام من نعمة وجود رسول الله صلى الله عليه وآله ونعمة بعثته ، فانه لا مرتقى
على رسول الله صلى الله عليه وآله في الشرف فانه سيد خلق الله أجمعين ، وأشرفهم وأقربهم ، و
أحبهم إلى الله ، وهو النور الأول ، والحجاب الأقرب ، والعقل الأول ، والاسم
الأعظم ، ولا مطمع لأحد في هذه الصفات من نبي مرسل ، وملك مقرب .
وهو رحمة للعالمين . فبقدر شرف وجوده الأشرف ، وخيرات مبعثه الشريف

يعظم شرف هذا اليوم و نوره و خيره و بر كاته ، و بقدر ذلك يعظم عند العقول حق شكره لأُمَّته و لشيعته ، فتفكر يا عاقل هل تصدّق لما ذكرناه ، فلا بدّ من الجدّ ولا تحتاج في ذلك إلى ترغيب ، و الخير نفسه مرغّب فيه ، وإن لم تصدّق فأما أن ترضى بالخروج عن عقائد أهل الإسلام ، وإمّا تعالج نفسك و قلبك ، حتّى تحصّل الإيمان ، ولكنّ الذي أظنّ لا غلب المسلمين أن ليس مسامحتهم في هذه المقامات من جهة عدم التصديق و الإيمان رأساً العياذ بالله منه - ولكن من كثرة ابتلائهم وافتتانهم بزخارف هذه الدنيا الدنيّة ، قد ألهاهم التكاثر حتّى يزوروا المقابر ، و أشغل قلوبهم ذكر الدُّنيا عن ذكر ربّهم ، وفهم مبدئهم ومعادهم .

وبالجملة للسالك أن يسعى بتمام سعيه و جدّه في ذكر حقّ تعظيم اليوم ، و معرفة حقّ نعمته ، وما أتى به من السعادة العظمى ، و الخير الأعظم ، و البركات و النور ، و يختبر قلبه كيف فرحه بهذا اليوم و سروره ، ولو رأى قلبه أن يوماً من أيّام المسارّ الدنيويّة عنده بمثابة هذا اليوم أو أزيد في الفرح و السرور ، فليعالج نفسه فأنّه من لئامة النفس و خسستها ، والأُنس بعوالم الطبيعة ، و الصفات البهيميّة و البعد عن عالم النور ، و انعكاس القلب و انتكاسه .

و من مهمّات هذا اليوم الصوم و الغسل و زيارته عليه السلام ، و زيارة أمير المؤمنين عليه السلام بالزيارة المخصوصة العظيمة الشأن الواردة في هذا اليوم ، و أن يصلي قبل الزوال ما رواه في الإقبال عن محمد بن عليّ الطرازيّ في كتابه باسناده إلى التوقيع الخارج من جهة أبي القاسم الحسين بن روح قدّس روحه أن الصلاة يوم سبعة و عشرين من رجب اثنتا عشرة ركعة تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب و ما تيسّر من السور ، وتسلمّ و تجلس و تقول بين كلّ ركعتين : الحمد لله الذي لم يتخذ الخ فاذا فرغت من الصلاة و الدعاء قرأت الحمد ، و قل هو الله أحد ، و قل يا أيّها الكافرون ، و المعوذتين ، و إنّنا أنزلناه في ليلة القدر ، و آية الكرسيّ سبعاً سبعاً ثمّ تقول : لا إله إلاّ الله و الله أكبر و سبحان الله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله سبع مرّات ، و تقول : الله الله ربّي لا أشرك به شيئاً سبع مرّات ثمّ ادع بما أحببت .

ثم [إن] من مهمّات أعمال اليوم الدعاءين الواردين أوّل إحداهما : يا من أمر
بالتجاوز وثانيهما : اللهمّ إنّي أسألك بالتجلّي الأعظم الخ .

إنّ السيّد - قدّس الله روحه - ضرب في الاقبال مثلاً للفاقدين لنعمة البعثة
ثمّ للواجدين لها ، وعرف بذلك الإشاره إلى قدر عظمة النعمة فراجع .
وأنا أقول : فليتفكّر الانسان في أيّام الجاهليّة ، وأيّام الفترة قبل البعثة ،
ولينظر إلى ما آل إليه أمر النّاس ، فبعض تهودّوا ، وآخر تنصّروا ، وعموم النّاس
عبدوا الأصنام ، وهجروا أحكام الاسلام ، و فارقوا أخلاق الانسانيّة ، وأنسوا
بطباع الحيوانيّة ، البهيميّة والسبعيّة .

حتّى أدّى حالهم إلى أن دفنوا البنات ، وهاجروا بذلك الصلوات ، وافتخروا
بالمحالات ، وفارقوا العدل ، وتركوا الحقوق بين الملل ، وغلبوا الأقوياء [على] الضّعفاء
واستأصلوا الشرفاء ، وعاندوا العلماء ، واستوحشوا من الحكماء ، وطووا بساط العلم ،
وأنكروا حسن الحلم ، وقطعوا الأرحام ، وتشبّهوا بالأنعام ، واقتسموا بالأزلام ،
وشربوا الخمر ، وتركوا العقول ، وقتلوا الأولاد ، وخرّبوا البلاد ، ونسوا
الصنائع ، وأبطلوا الشرائع ، وأهلكوا البضائع ، وارتكبوا الشنائع .

وشاعت الخيلاء والكبر ، وافتخروا بعدم الصّبر ، وسنّوا الفحشاء والمنكر
و جاؤوا بقول الزّور ، وقتلوا الأنبياء ، وأخرجوا الأولياء ، وأحكموا الأشقياء
وأطاعوا الأعداء ، وعبدوا الشيطان ، وأسخطوا الرحمن ، وسجّروا النيران ، فتلاطم
من ذلك أمواج غضب الربّ وقرب أمر العالم من الهلاك والفناء ، وأن يسوقهم
سياط غضب الله إلى جهنّم وبئس المصير ، أو يأخذهم في تقلّبهم إلى الهلاك والتدمير
ولم يبق شيء من نزول العذاب بنار تحرقهم عن آخرهم ، أو خسف في الأرض ، أو رمي
بالحجارة ، أو مسخ بالخنازير ، أو غير ذلك من العذاب والنكال ، والبلاء و
سوء الحال ، فسبقت عناية الربّ بحكم الحلم و الأناة ، لاتمام الحجّة ، و
إكمال الرّحمة .

فبعث الله خاتم النبيين بما أشرنا إليه من الفضائل و الفواضل ، رحمة للعالمين و علماً للهداية ، و بصراً من العماية ، فيخرجهم من الظلمات إلى النور ، و أبدل جهلهم بالعلم ، و ضلالتهم بالهدى ، و هلاكهم بالنجاة ، و ظلمهم بالعدل ، و حقمهم بالعقل و فقرهم بالغنا ، و ذلهم بالعز ، و خرابهم بالعمران ، و هوانهم بالسلطان ، و كفرهم بالإيمان ، و جحيمهم بالجنان ، و ظلمتهم بالنور ، و خوفهم بالأمن ، و يأسهم بالرجاء ، و أسارتهم بالاطلاق ، و عبوديتهم بالحرية .

و بالجملة بعث إليهم من « الأميين رسولا » [منهم يتلو عليهم آياته و] يزيكهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

فالناس بعد بعثته على أقسام و أحزاب :

حزب كفروا برسالته و دعوته ، فاستحقوا بذلك الحرب و القتل و العذاب

الخالد ،

و **حزب** أسلموا ظاهر أو نافقوا ولم يسلموا بقلوبهم ، فاستحقوا بالاسلام [الظاهر]

حقن الدماء ، و أحكام الاسلام في الدنيا ، و خلّدوا بنفاقهم أسفل الدركات .

و **حزب** أسلموا ظاهراً و باطناً ، و خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً ، و كانوا

مرجواً في حقهم الجنة بغير عذاب .

و **حزب** عملوا مع ذلك الصالحات ، و زادوا في الحسنات ، و وعدهم ربهم

جنات تجري من تحتها الأنهار ، لا يرون نكلاً و عذاباً ، و غفر لهم ذنوبهم ، و بدل سيئاتهم بأضعافها من الحسنات .

و **حزب** زادوا مع ذلك تزكية النفس من الأخلاق الرذيلة ، و تحليلتها

بالأخلاق الكريمة ، و تقرّبوا بذلك إلى الله جلّ جلاله ، فقرّبهم و رفع لهم الدرجات .

و **حزب** زادوا مع ذلك تحصيل معرفة ربهم باكتساب الذكروالفكر ، و المجاهدة

الشديدة ، و اشتغلوا بذكر ربهم عمّا سواه ، حتّى عرفوه و وحدّوه بالتوحيد الخالص

عن جميع وجوه الشرك ، وأحبّوه فتقرّبوا إليه ببذل كلّ ما سواه ، و اشتاقوا إلى لقاءه ، فقبّلهم ربّهم بقبول حسن ، فقرّبهم و أدناهم ، وكشف عنهم الحجب كلّها ، و أراهم بحاله فأروه بأبصار قلوبهم بغير حجاب ، و ألحقهم بنبيهم وآله ، و أقعدهم مقعد صدق في جوارهم عند ملك مقنن ، أوّلئك هم السابقون المقرّبون ، رفقاء الأنبياء و الشّهداء و حسن أوّلئك رفيقا .

و كيف كان فمن عرف النبيّ ﷺ و عرف نعمته بعثته ، و فوائدها ، و أنوارها ، و برّاتها ، و خيراتها ، يعظم عنده يوم المبعث ، و يعظم فرحه به ، و سروره و شكره ، و يكثر من الصلوة و الثّناء على المبعوث فيه عليه و آله جميع صلوات الله المباركات الثامّات الخالدات ، و هديّة الأعمال اللائقة بحضرة قدسه .

ثمّ يجتهد في آخر النّهار في التوسّل بخفراء الأيّام بتسليم عمله و استصلاحه و تلطيف مناجاته معهم ، ليقع في موقع القبول و الزيادة ، فانّ لتلطيف الأعمال و الأقوال لساناً في التأثير، هذا .

و المنزل المهمّ الآخر للمسلّك من هذا الشهر بعد المبعث يوم آخره فليجتهد و ليتلطف في عرض الأعمال ، و التصوّر و التقصيرات ، مع اعتراف صادق ، و حياء خالص ، و احترام و استعلاج كامل من باب فضله العظيم ، و التوسّل إليه بأحبّائه و وجوه أوليائه ، فانّه كريم يحبّ الكرامة لأوليائه ، و عباده المحترفين على باب المضرّين إلى رحمته ، و قد أنزل في كتابه: «أم من يجيب المضطرّ إذا دعاه و يكشف السوء» و أنّه كريم العفو، و قد فسّر بأنّه يعفو عن السيّئات ، و يبدّلها بأضعافها من الحسنات ، فلينبظر أن لا يخرج بخروج الشهر عن حمى مولاه ، و يتضرّع إلى الله جلّ جلاله أن يجعله دائماً في حماه ، و لا يكون ذلك في شهر دون شهر ، و حال دون حال ، و مكان دون مكان وليهتمّ بذلك و لا يكن فيه من الغافلين ^(١) .

(١) ثم من الأهم ان يصلّى في اليوم الآخر الحصة الثالثة من صلاة سلمان التي مر شرحها في اليوم الاول و بيان حصتها الثانية في يوم النصف و هي ايضاً عشر ركعات على ما صلى في اليوم الاول الا انه يرفع يديه ويدعو بين الركعتين بدل ما مر: لا اله الا الله وحده لا شريك له ←

﴿ الفصل التاسع ﴾

﴿ في منزل شعبان ﴾

و هذا المنزل من منازل العمر للسالك إلى الله تعالى ، له شأن عظيم ، و فضل كثير ، و فيه ليلة من ليالي القدر ، وقد ولد مولود فيه وعد الله به النصر لكلّ مظلوم من أوليائه ، وأنبيائه وأصفياؤه ، مذهبط أبونا آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام على الأرض ، و أن يملأ به الأرض قسطاً وعدلاً ، بعد ماملئت ظلماً و جوراً ، على ما يأتي تفصيله في محله .

و كفى في شأنه أنه شهر رسول الله ﷺ ، و قال فيه : «شعبان شهري ، رحم الله من أعانني على شهري» ومن عرف منزلة هذه الدعوة العظمى ، فلا بد أن يكون اهتمامه في اشتغالها عليه ودخوله فيها ، و ذلك خليفته و أخوه أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال : ما فاتني صوم شعبان مذ سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي في شعبان فلن يفوتني أيام حياتي صوم شعبان إن شاء الله . هذا في صومه وقس عليه إعادته ﷺ من سائر الجهات من الصلاة و الصدقة و المناجات ، و وجوه البر كلّها .

و مناجاته الشعبانية معروفة و هي مناجاة عزيزة على أهله يحبونها ، و يستأنسون بشعبان لأجلها ، بل ينظرون و يشناقون طجيى شعبان و فيه علوم جمّة في كيفة معاملة العبيد مع الله جلّ جلاله ، و بيان وجوه الأدب في طريق معرفة حقّ السؤال ، و الدعاء و الاستغفار ، من الله جلّ جلاله ، و استدالات لطيفة لتليق بمقام العبوديّة ، لاستحكام مقام الرجا ، المناسب لحال المناجاة ، ودلالات صريحة واضحة في معنى لقاء الله و قربه و النظر إليه ، ترفع شبهات السالكين ، و شكوك

→ له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .
قال سيدنا الكاتب : وقد سها عن ذكرها قلمه الشريف مع أنه وعد التعرض لها في اليوم الاول .

المنكرين ، و وحشة المرتابين ، و إشارة إلى معرفة النفس و أنها طريق معرفة الرب على ما فسّر بعض فقراته شخص جليل من أهل المعرفة .

و بالجملة هذه المناجات من مهمّات أعمال هذا الشهر بل للمسالك أن لا يترك بعض فقراته في تمام السنة ، و يكثر المناجات بها في قنوتاته ، و سائر حالاته السنيّة ولا تغفل عن قولك حين تقول : « و أنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك ، حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النور ، فتصل إلى معدن العظمة ، و تصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك » وليتأمل هل بقلبه بصريدرك به النور؟ وما حجب النور؟ وما المحتجب بالنور المتّصف بمعدن العظمة ؟ حتّى يعلم ما يقول ، و ما يستدعي من ربّه أن يعطيه ، فإنّ الإنسان إذا لم يعرف ما يسأل ربّه أصلاً لا يصدق عليه أنه سأل ربّه الفلان ، بل يصدق أنّه قرأ الألفاظ ، والقارىء للألفاظ غير الداعي والسائل ، والله تعالى يقول : « أم من يجب المضطرّ إذا دعاه » و يقول : « ادعوني أستجب لكم » و يقول : « واسألوا الله من فضله إنّ الله كان بكم رحيماً » ولا يقول : اقرء الألفاظ .

و كيف كان هذه المناجاة مناجات جليّة ، و نعمة عظيمة من بركات آل محمد عليه السلام يعرف قدر عظمتها « من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » والغافلون بمعزل عن معرفته ، وعن عظم فوائده وأنواره .

و لعمرى إنّ الأغلب لا يعرفون شأن نعمة المناجات ، و أنّ من شأنها علوم عزيزة ، و معارف جليّة ، لا يطّلع عليها و على حدودها ، إلّا أهله من أولياء الله الذين نالوا بها عن طريق الكشف و الشهود ، و أنّ الوصول بحقائق هذه المقامات عن وجه المكشوفة إنّما هو من أجلّ نعم الآخرة ، ولا يقاس بشيء من نعيم الدنيا . و إليه أشار الصادق عليه السلام بقوله : لو علم الناس ما في فضل معرفة الله ما مدّوا أعينهم إلى مامتّع به الأعداء من زهرة الحياة الدّنيا ، و كانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطأونه بأرجلهم ، و تنعموا بمعرفة الله ، و تلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله الخ .

ومن مهمّات هذا الشهر الصوم بقدر ما يناسب حاله ، أفضله إن لم يمنعه مانع - ولو مانع من جهة التجميع - أن يصوم كلّه إلا يوماً أو يومين في آخره يفصل بافطاره بينه وبين شهر رمضان فالأفضل أن يكثّر من الصوم بحيث يدخل في مقدّس دعوة رسول الله ﷺ بالأعانة ، وذلك لأظنّ أن يصدق بيوم أو يومين .

ثمّ إنّه قد ورد أخبار مفصّلة في جزء جزء منه ، وأنا أقصر على ذكر رواية منها رواه الصدوق - عليه الرحمة - في كتاب من لا يحضره الفقيه ، عن الحسن بن محبوب عن عبد الله بن حزم الأزدي ، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من صام أوّل يوم من شعبان وجبت له الجنّة البتّة ، ومن صام يومين نظر الله إليه في كلّ يوم و ليلة في دار الدنيا ودام نظره إليه في الجنّة ، ومن صام ثلاثة أيّام زار الله في عرشه و جنّته كلّ يوم .

في الإقبال: لعلّ المراد بزيارة الله في عرشه أن يكون لقوم من أهل الجنّة مكان من العرش من وصل إليه يسمّى زائر الله ، كما جعل الله الكعبة الشريفة بيته الحرام من حجّها فقد حجّ الله انتهى .

وأنا أقول لم يعلم مراده قدّس سرّه وأنّه تأويل أيّ جزء من الرواية أريد تأويل كون الزيارة في العرش أو أصل الزيارة وإن كان ظاهره الثاني إلا أنّه ليس هو قدّس سرّه من المستوحشين من بعض مراتب المعرفة واللقاء ، فراجع ما ذكره في فلاح السائل في ذيل قول الصادق عليه السلام في سبب غشوته : « كرّرتها حتّى سمعتها من قائلها ولم يثبت جسمي » فإنّ في كلامه قدّس سرّه تصريحاً على تصوير الزيارة و الملاقات بوجه من الوجوه المعنويّة التي لا يخالف تنزيهه تعالى عن الشوائب الجسمانيّة .

وأنا أقول : الأولى أن يقال : المراد: الزيارة بعينه [و] هو الذي فصل في المناجات الشعبانيّة بأن تخرق أبصار القلوب حجب النور ، فتصل إلى معدن العظمة و تصير الروح معلّقة بعزّ قدسه الأقدس ، ولا خلف في ذلك أبداً يحتاج إلى التأويل ولعلّ

مراده قدس سره تأويل تقييد الزيادة بكونها في العرش .
ومن مهمات الأعمال الصلاة الواردة عند الزوال كل يوم منها أولها : اللهم
صل على محمد وآل محمد . شجرة النبوة . ومن أعمال الشهر الصلوات الواردة في الليالي
على التفصيل الذي في الإقبال ، والسالك يجتهد في ذلك ويعمل بما فيه له نشاط في
العمل به ، من هذه ومن الذكر والفكر ، مع ملاحظة الترجيح بينها ، ومع ملاحظة
أن العمل بأخبار ذلك من باب المسامحة وببالي أن الأولي-على الغالب-أن يعمل بما
فيه خفة وسهولة يمكن أن يفعله بالنشاط ، ويجمع بينه وبين ورده من سائر أعماله و
فكره على حسب حاله .

ومن ذلك أن يعمل بما رواه في الإقبال عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وآله : تتزيّن السماوات في كل خميس من شعبان ، فيقول الملائكة :
إلهنا اغفر لصائمه وأجب دعائهم . فمن صلى فيه ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة
الكتاب مرة وقل هو الله أحد مائة مرة ، فإذا سلم صلى على النبي مائة مرة ، قضى
الله له كل حاجة من أمر دينه ودنياه ، ومن صام فيه يوماً واحداً حرّم الله جسده على
النار .

و اليوم الثالث منه يوم ولادة الحسين عليه السلام وهو يوم يتقدّر شرفه بمقدار شرف
صاحبه عليه السلام فللسالك أن يأتي من شكره بما تيسر له من الصوم والزيارة والدعاء
الوارد وغيره من القربات ، ومن أجله أن من خصائص اليوم أمر فطرس ، فيمكن
للسالك أن يجعله عليه السلام في هذا اليوم معاذة في تحصيل نجاته ، وجناحي روحه وعقله
حتى يطير مع الرّوحانيين في سماوات القرب والرضوان ، ويكون فرحه في هذا
اليوم مشوباً بمراسم العزاء والحزن ، كما كان الشأن كذلك لأهله المطهّرين ،
صلوات الله عليهم أجمعين ، ويختتم يومه بما يختتم به كل يوم شريف .

ثم بعد اليوم الثالث ليلة النصف ويومها ، وهو موسم شريف جداً عظيم المنزلة
كثير البركات ، ساطع الأنوار ، اجتمع فيها من جهات الشرف والخير أمور عظيمة
كل واحد منها يكفي في الحث على الجد والسعي غايته .

منها أنسها من ليالي القدر ، و ليلة قسمة الارزاق و الآجال ، كما ورد في الاخبار المستفيضة ، وفي بعضها أن الله تعالى جعل الليلة للأئمة كما جعل ليلة القدر لرسول الله ﷺ والإشكال في كون ليلة القدر أزيد من واحد يتصور ذلك بمراتب التقدير .

ومنها أنسها من مواقف زيارة الحسين عليه السلام ، يزوره فيه مائة ألف نبي سوى الملائكة ، هذا موقف جليل يكشف عن أمر عظيم يكون فيه .

ومنها أنسها من الليالي المؤكدة فيها الإحياء ، ووردت فيها أعمال وعبادات فاخرة جداً يمكن أن يقال : إنه لم يرد في شيء من الليالي - ليلة القدر وغيرها - مثلها أو أزيد منها .

ومنها أنسها ليلة ولد فيها مولود لم يولد مثله في تطهير الأرض و الفرج العام للمؤمنين من الأمم ، و نشر رايات عدل الله على أهل الأرض ، و كمال الجمع بين سياسة الدين و الدنيا ، والسالك إذا بلغ هذا المنزل [عليه] أن يقطع أولاً نظره في هذه الليلة من اللذة بالدنيا ومن الراحة فيه ، ويوطن نفسه أنه ليلة وداعه للدنيا ، وإن قد رنفسه فيها أنسها مثل ليلة يقوم في صبيحتها يوم القيامة ، يخف عليه ثقل الأعمال بل يثقل عليه مضي الليلة و تمامها ، و يود أن يكون أطول من هذا الكائن وإن عمل فيها وهو مقدر نفسه أنه مودع لكل واحد من الأعمال ، وهو آخر عمله من عمر الدنيا ، يكون جدّه في تصحيح الأعمال أزيد ، وإذا أحضر نفسه وقلبه بهذا الميزان للعمل ، فله أن ينظر قبل دخول الليلة في اختيار الأعمال ، و ترتيبها بما يناسب حاله ، و إن رأى عمليين متساويين في الفضل و المناسبة فليؤثر ما هو الأشق على النفس .

ومن مهمات أعمالها الصلوات الواردات لا سيّما مائة ركعة بألف قل هو الله أحد ، قال السيّد قدس سرّه قال راوي الحديث: ولقد حدثني ثلاثون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى آخر ما نرويه آنفاً ودونه في الفضل ، ومثله في الاعتبار أربع ركعات في كل ركعة مائة قل هو الله أحد .

وعن الشيخ أنّه رواه عن أبي عبد الله و أبي جعفر عليهما السلام ثلاثون رجلاً ممن يوثق به .

وروى أيضاً التخيير بينها وبين قراءة خمسين في كل ركعة وقراءة مائتي وخمسين ، فإذا فرغت قلت الدعاء الذي أوّله : اللهم إني إليك فقير الخ .
وأيضاً روى الشيخ عن أبي يحيى قال لسيدنا الصادق عليه السلام : فأَيُّ شيء أفضل الأدعية ، فقال : إذا أنت صليت العشاء الآخرة فصل ركعتين تقرأ في الأولى الحمد وسورة الجحد وفي الثانية الحمد والإخلاص فإذا أنت سلمت قلت : سبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرّة الحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرّة والله أكبر أربعاً وثلاثين مرّة ثم قل : يا من إليه يلجأ العباد الخ ثم تسجد وتقول عشرين مرّة ياربّ يا الله سبع مرّات ، لا حول ولا قوة إلا بالله سبع مرّات ، ماشاء الله لا قوة إلا بالله عشر مرّات ثم تصلي على النبي وتسال الله حاجتك فوالله لو سألت بها بعدد القطر لبلغك الله عزّ وجلّ إياه بكرمه وفضله ، وفي بعض الروايات اختلاف في السجدة فمن أراد الاستظهار فليراجع الإقبال هذا .

ولو كان في الليلة سعة وجمع الموفّق بين هاتين الركعتين ومائة ركعة بألف قل هو الله أحد لكان له شأنًا من الخير فإنّ في روايات هذه المائة مع اعتبارها فضل عظيم يبهّر العقول .

منها ما رواه في الإقبال قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كنت نائماً ليلة النصف من شعبان فأتاني جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمد أتناّم في هذه الليلة فقلت : يا جبرئيل ماهذه الليلة ؟ قال : ليلة النصف من شعبان ، قم يا محمد فأقمني ثم ذهب بي إلى البقيع ثم قال لي : ارفع رأسك فإنّ هذه ليلة يفتح فيها أبواب السماء فيفتح فيها أبواب الرحمة ، وباب الرضوان ، وباب المغفرة ، وباب الفضل ، وباب التوبة ، وباب النعمة ، وباب الجود ، وباب الاحسان ، يعتقد الله فيها بعدد شعور النعم وأصوافها ، يثبت فيها الآجال ، ويقسم فيها الأرزاق من السنة إلى السنة ، وينزل ما يحدث في السنة كلّها .

يا محمد من أحيائها بتكبير وتسبيح وتهليل ودعاء وصلاة وقراءة وتطوع واستغفار كانت الجنة له منزلاً ومقيلاً ، وغفر له ماتقدهم من ذنبه وما تأخر ، يا محمد من صلى فيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشر مرات فاذا فرغ من الصلاة قرأ آية الكرسي عشر مرات وفاتحة الكتاب عشراً ، وسبح الله مائة مرة غفر الله له مائة كبيرة موبقة موجبة للنار ، وأعطاه بكل سورة وتسبيحة قصرأ في الجنة ، وشفعه الله في مائة من أهل بيته وشره في ثواب الشهداء ، وأعطاه ما يعطي صائمي هذا الشهر ، وقائي هذه الليلة ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء .

فاحيها يا محمد وامرأمتك باحيائها والتقرب إلى الله بالعمل فيها ، فانها ليلة شريفة ، ولقد أتيتك يا محمد وما في السماء ملك إلا وقد صف قدميه قائم يصلي وقاعد يسبح وراكع وساجد وذاكر ، وهي ليلة لا يدعو فيها داع إلا استجيب له ولا سائل إلا أعطي ، ولا مستغفر إلا غفر له ، ولا تائب إلا تيب عليه ، من حرم خيرها يا محمد فقد حرم ، وكان رسول الله ﷺ يدعو فيها ويقول: اللهم اقسم لنا من خشيتك الخ .

و في رواية أخرى قال راوي الحديث: حدثني ثلاثون من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال : من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة ، وقضى الله له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة ، ثم لو كان شقياً فطلب السعادة لأسعد الله «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» ولو كان والداه من أهل النار أخر جامن النار بعد أن لا يشركا بالله شيئاً ، ومن صلى هذه الصلاة قضى الله له كل حاجة طلب وأعد له في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، والذي بعثني بالحق نبياً من صلى هذه الصلاة يريد بها وجه الله تعالى جعل الله له نصيباً في أجر جميع من عبد الله في تلك الليلة ، ويأمر كرام الكاتبين أن يكتبوا له الحسنات ، ويمحو عنه السيئات حتى لا يبقى له سيئة ، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى منزله في الجنة ، ويبعث الله إليه ملائكة يصفحونه ويسلمون عليه ، و يحشر يوم القيامة مع الكرام البررة

فان مات قبل الحول مات شهيداً ، ويشفع في سبعين ألف من الموحدين ، فلا يضعف عن القيام في تلك الليلة إلا شقي .

و قال : قال السيد يحيى بن الحسين في كتاب الأمالي حديثاً أسنده إلى مولانا علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى ليلة النصف من شعبان مائة ركعة بألف مرة قل هو الله أحد لم يمته قلبه يوم يموت فيه القلوب ، و لم يمته حتى يرى مائة ملك يؤمنونه من عذاب الله ، ثلاثون منهم يبشرونه بالجنة ، و ثلاثون كانوا يعصمونه من الشيطان ، و ثلاثون يستغفرون له آناء الليل وأطراف النهار ، و عشرة يكيدون من كاده .

أقول : ارحم يامسكين نفسك المرهونة ، بما أسلفت في الأيام الخالية ، وعالج هذه العظائم من الأوزار ، التي احتطبتها على ظهرك بالأعمال القبيحة الماضية فسيأتيك يوم تقول فيه : « أين المفر ؟ » كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ☆ ينبغي الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر « و أنصف من نفسك هل لك إيمان بمواعيد الله ، واليوم الآخر جزاء الأعمال ، وهل ترى قد أمك موقفاً تبكي منه عيون الأنبياء وترتعد منه فرائص الأولياء ، وغشي عليهم عند ذكره الأتقياء ، فما بالك تأمن مما يخاف منه الأنبياء المعصومون ، و الملائكة المطهرون ، هل ترى مالا يرون ، أو عملت من الخير مالم يعملوا ، أو اتقيت مما لم يتقوا ، أم تأمن مكر الله ولا « يأمّن مكر الله إلا القوم الخاسرون » .

وتفكر في أمرك « يوم يقوم الروح و الملائكة صفّاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً » وقدّر نفسك من المأذون في الكلام ، وانظر هل لك جواب صواب لخطاب الله جلّ جلاله ، و الحال أنك لا تعلم أن يؤذن لك في الكلام ، أو يقال : اخسؤوا ولا تكلمون .

ثم تفكر فيما وعد الله جلّ جلاله لهذا العمل القليل - عمل ليلة صلاة مائة ركعة - فهل يسامح العاقل في ذلك ؟ و خاطب نفسك العواد ، و قل : أين أنت يا أيّها الذي تدعي الإيمان بمواعيد الله جلّ جلاله ، من هذه المنافع الجليلة الفاخرة ، هل

تقدّر لها قيمة من أمور الدّنيا ، ومتاعها الدّنيا وما فيها .
قوّم في نفسك قصراً من قصور الجنّة التي وعدك بتسبيحة في تلك الليلة هل تعلم قيمتها ؟ ثمّ ترقّ وقوّم في قسطاس عقلك نظرة الله ، هل يقدر أحد أن يعلم ما فيها من الكرامة .

ثمّ انظر إلى حالك و حرصك في أمر الدنيا كيف تموت من حسرة ضياع الأمتعة النفيسة ، الفانية الحقيرة ، في جنب أصغر متاع الآخرة منها ، و تأمل هل تجد علّة زهدك و رغبتك فيها إلّا أن تكون ضعيف الإيمان بعالم الغيب و متعلقاتها فان كان كذلك فادع لنفسك الويل والنبور بأنك لم تؤمن بعدُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، و أنت بعد في الضلال البعيد ، و الخسران المبين ، و استعدّ لما أوعد الله من النّار ، لمن لم يؤمن بالله العزيز الحميد ، لأنّ هذا الإيمان الضعيف قد ينصرم بسبب ضعيف ، وهول قليل من الأهوال ، لا سيّما عند اغتشاش الحواسّ من المرض عند الموت ، فما لم يكن الإيمان مستقرّاً راسخاً لا يؤمن أن يكون من المستودع ويدلّ عند شدائد الموت بالكفر ، فتجهّز لبلائك من عافيتك ويوم سقمك من صحّتك ، وانتهاز الفرصة في أيام المهلة قبل أن يأتيك رسل الله فتستدعي تأخير ساعة وتجاب قد فنيت ، وترضى بلحظة ولا تعطي ، فبادر للتمسك بهذه الأسباب القويّة ، و تمسك من العرى بأوثقها ، ومن الحبال بأمتنها ، وادع الله في هذه الأوقات الشريفة ، دعاء الغريق ، وتوسّل إليه بأوليائه توسّل من ابتلي بالحريق ، فإنّه كريم يحبّ الكرامة لعباده المضطّرين المحترفين على بابه ، والمتوسّلين إليه بأوليائه ، فانظر من أيّ باب تدخل على مواعيد هذه الليلة ، وقد سمعت الأبواب المفتحة ، أمن باب الرّحمة ؟ أو الرضوان ؟ أو المغفرة ؟ أو التوبة ؟ أو الفضل ؟ أو الاحسان ؟ أو باب النعمة ؟ أو [باب] الجود ؟ فانّ لكلّ من هذه الأبواب أهلاً ، وأهله من كان له حظّ من صفة هذا الباب بقدر ما يمكن له .

و حظّك من باب الرّحمة أن ترحم عباد الله الغافلين ، فتصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف ، وأن تنظر إلى العصاة بعين

الرَّحْمَةُ لَابْعَيْنِ الْإِيذَاءَ ، وَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَعْصِيَةٍ تَجْرِي فِي الْعَالَمِ كَمَعْصِيَةٍ لَكَ فِي نَفْسِكَ ، فَلَا تَأَلُوجْهَدَ فِي إِزَالَتِهَا بِقَدْرِ وَسْعِكَ ، رَحْمَةً لِهَذَا الْعَاصِي أَنْ يَتَعَرَّضَ لِسُخْطِ اللَّهِ ، وَيَسْتَحِقَّ الْمُنْعَ عَنْ جَوَارِهِ ، وَأَنْ لَا تَدْعَ فَاقَةَ لِمَحْتَاجٍ إِلَّا تَسُدُّهَا بِقَدْرِ طَاقَتِكَ وَأَنْ لَا تَتْرَكَ فَقِيرًا فِي جَوَارِكَ إِلَّا وَتَقُومَ بِتَعَهُدِهِ وَدَفْعِ فَقَرِهِ بِمَالِكَ وَجَاهِكَ ، فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ فَبِالِدُّعَاءِ وَإِظْهَارِ الْحُزَنِ مِنْ جِهَةِ ابْتِلَائِهِ .

وَحَظُّكَ مِنْ بَابِ الرِّضْوَانِ أَنْ تَكُونَ رَاضِيًا مِنْ رَبِّكَ ، بَلْ وَمَرْضِيًّا لَهُ ، لِأَنَّ نَهْمَهُمَا مِتْلَازِمَانِ ، وَسَهْلُ الرِّضَا عَنْ خَلْقِهِ لَا فِظًّا غَلِيظًا .

وَحَظُّكَ مِنْ بَابِ الْمَغْفَرَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ رَبَّكَ بِقَدْرِ مَعْصِيَتِكَ بِشُرُوطِ الْإِسْتِغْفَارِ وَتَعْتَذِرَ إِلَى مَنْ لَهُ الْحَقُّ مِنْ خَلْقِهِ بِقَدْرِ إِسَاءَاتِكَ وَظُلْمِكَ وَبَغْيِكَ وَجَفَائِكَ فِي حَقِّهِمْ وَتَغْفِرَ لِمَنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ مِنْكَ وَتَقْبَلَ عَذْرَ الْمُعْتَذِرِ .

وَحَظُّكَ مِنْ بَابِ التَّوْبَةِ أَنْ لَا تَرْجِعَ إِلَى ذَنْبٍ وَمَكْرُوهِ وَإِسَاءَةٍ لَخَلْقٍ وَلَا خَالِقٍ وَتَتَذَارَكَ مَا يُمْكِنُكَ التَّذَارَكَ .

وَحَظُّكَ مِنْ بَابِ الْفَضْلِ أَنْ لَا تَرْضَى فِي حَقُوقِ اللَّهِ بِقَدْرِ الْوَاجِبِ وَلَا فِي حَقِّ النَّاسِ بِالْعَدْلِ وَالْمَسَاوَاتِ ، بَلْ تَجْهَدُ أَنْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ ، وَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَجِيبَ التَّحِيَّةَ بِأَحْسَنِ مِنْهَا وَلَا تَرْضَى بِرَدِّهَا ،

وَحَظُّكَ مِنْ بَابِ الْإِحْسَانِ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، وَ إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَ ، وَ أَنْ تَحْسَنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ وَتَعْفُو عَنْ مَنْ ظَلَمَكَ ، وَتَصِلَ مِنْ قِطْعِكَ .

وَحَظُّكَ مِنْ بَابِ الْجُودِ أَنْ تَبْدَلَ كُلَّكَ لِلَّهِ لِأَنَّهُ أَهْلٌ لَذَلِكَ وَأَنْ يَكْثُرَ فَوَائِدُكَ لِلنَّاسِ لَا لَغَرَضٍ تَصِيبُهُ مِنْهُمْ ، فَإِنَّ هَذِهِ أَبْوَابَ مِفْتَاحَةِ عُمُومًا ، وَخُصُوصًا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، فَاظْطَرَّ مِنْ أَيِّهَا تَدْخُلُ عَلَى رَبِّكَ ، فَكُرِّمَ بِقَدْرِ فَضِيلَةِ الْبَابِ وَبِقَدْرِ حَظِّكَ وَاجْتِهَدِ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْحَقَائِقِ أَكْثَرَ مِمَّا تَجْتَهِدُ فِي تَكْثِيرِ صُورِ الْعِبَادَاتِ ، فَإِنَّ رُكْعَةً مِنَ الْعَبْدِ الْمُتَحَلِّيِّ نَفْسُهُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، يَزِيدُ نُورَهُ عَلَى صَلَاةِ أَلْفِ رُكْعَةٍ وَ أَزِيدُ مَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا ، فَإِنَّ الْمُتَّصِفَ بِصِفَةِ الْفَضْلِ - مِثْلًا - أَتَرَى أَنَّ اللَّهَ الْمُتَفَضِّلَ الْمُتَّعِزَّ وَاهِبَ الْفَضْلِ يَعَامِلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ حَاشَ لِلَّهِ ، بَلْ يَعَامِلُهُ بِفَضْلِهِ ، وَ مِنْ عَامِلِهِ اللَّهُ

بفضله يشكر بقليله الكثير، ويضاعف عليه بغير حساب ، ويدلّ سيئاته بأضعافها من الحسنات .

ومن المهمّات سجّدت بدعوات مخصوصة ، وفي بعضها إشارة إلى المراتب الثلاثة للإنسان حيث قال فيه: «سجدك سوادي وخيالي وبياضي» وهو كالنصّ بعالمه المحسوس فأنّه مرّكب من مادّة و مقدار و عالمه المثلّال ، وهو مرّكب من صورة و روح و عالمه الحقيقيّ الذي به صار إنساناً يعني حقيقة نفسه و هو عالمه الذي لا صورة فيه و لا مادّة ، و هو حقيقته العالمة اللطيفة الربّانيّة التي من عرفها فقد عرف ربّه ، أي يكون معرفته وسيلة لمعرفة الربّ تعالى .

ثمّ من المهمّات التقرب بامام الزمان ، و حجة العصر ، و وليّ الأمر ، و الناموس الأكبر ، صاحب الغيبة الإلهيّة ، و الدعوة النبويّة ، وارث الأنبياء^(١) ، و خليفة الخلفاء ، و خاتم الأوصياء ، مظهر عدل الله الأعظم ، و ناشر رايات الهدى ، و مبيد العتاة و جحده الحقّ ، و مستأصل أهل العناد و التضليل و الالحاد ، و طامس آثار الزيغ و الأهواء ، و جامع الكلم على التقوى ، و السبب المتّصل بين أهل الأرض و أهل السماء ، حجة الله الكبرى ، و آيته العظمى ، نصر الله العاجل و فتحه القريب . مؤدّب العالم ، و السلطان الأعظم ، و المولى الأكرم ، سيّدنا و إمامنا و عصمتنا و ملاذنا و مولانا الامام المهديّ القائم أرواحنا و أرواح العالمين فداه بزيارة و مناجاة ، و عرض شوق و بثّ شكوى ، و دعاء و صلاة ، و احتراق قلب من فراق ، و شكر نعم و إهداء قربات ، و بذل روح ، و فداء مهجة ، و توسّل ، و تعلق ، و اعتصام و تظلم ، و استغاثة ، و انتصار ، و استفاضة ، و استشفاع .

و يتفكّر فيما فاتته من سعادات زمن ظهوره و سلطنته ، و ينظر إلى غيره كيف يتصرّفون في ملكه ، و يغضبون حقّه و سلطانه ، و يتأمّرون على أوليائه بغير حقّ ، و يسوقونهم بغير عدل إلى أهوائهم ، و يتألّم من ذلك كلّهم ، و يشتكي على الله ممّا وقع فيه ، و يدعو عن ظهر القلب و احتراقه ، و يطلب فرجه - صلوات الله عليه و آله -

(١) في الاصل : [ورثة الانبياء] .

ويرغب إليه ليلاً ونهاراً في أن يمن عليه بزيارة بحاله ، وكمال طاعته ، وبلوغ رضاه والاهتداء بهداه ، ويتذكر في الحوادث كلها وجوده وظهوره وتصرفه وسلطانه ، و يكون في ذلك مثل من غاب عنه أبوه قبل ولادته ولم يره ، و يتوقع مجيئه و توليه الأمور .

وقد كان لي أخ ولد بعد أبي وسمع بعد شعوره أن أباه مات ، و كان يدعو و يتوقع حياته ، و يذكر في كل أمر صغير و كبير مجيئه ، و أنه يجيى ، و يفعل كذا و كذا ، فلا يكون أبوك أحب إليك من إمامك وهو أبوك الرّشوانيّ الحقيقيّ ، و علّة إيجاد روحك وجسمك ونعمك كلها ، وخليفة ربك .

وبالجملة فليظهر من حرركاتك في أفعالك وأقوالك أنك فاقد إمامك ، منتظر ظهوره ، ومتوقع وصاله ، و يظهر من حقّ وفاء زمن غيبته^(١) ما يصدّق دعوى تعلّقك به فإنّ الكرام يظهر من الوفاء في الغيبة ما لا يظهر منه في الحضور . ولا يكن لك في تمسّي ظهوره و زيارته غيره من المقاصد فإنّ زيارته وقربه المقصد الأسنى ، و هو مقصد المقاصد ، و معرفته وقربه و رضاه غاية الغايات ، و نهاية الآمال .

و من المهمّات أيضاً أن يقرأ الدعاء الّذي أوّله : اللهمّ بحقّ ليلتنا و مولودها .

ثمّ من أهمّ^(٢) أعمال الليلة زيارة الحسين عليه السلام و حضور مرقده الشريف فقد ورد في الأخبار حتّى أكيّد بذلك ، و ليزرّه عليه السلام بالزيارة المخصوصة بهذه الليلة . و من أعماله المخصوصة دعاء الكميل عليه الرّحمة يقرأ في السجدة تأسيّاً بأمر المؤمنين عليه السلام روى في الاقبال عن الشيخ أنّه روى أنّ كميلاً رأى أمير المؤمنين يقرأ في السجدة في ليلة النصف من شعبان ، وقال : و وجدت في رواية أخرى ما هذا لفظه : قال كميل بن زياد : كنت جالساً مع مولاي أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد البصرة ومعه جماعة من أصحابه ، فقال بعضهم : ما معنى قول الله عزّ وجلّ : « فيها يفرق كلّ

(١) في الاصل كذا : [غيبته الاحياء] .

(٢) في الاصل [من أهمّات] .

أمر حكيم؟ قال عليه السلام : هي ليلة النصف من شعبان ، والذي نفس عليّ بيده إنه ما من عبد إلا وجميع ما يجري عليه من خير وشر مقسوم له في ليلة النصف من شعبان إلى آخر السنة في مثل تلك الليلة المقبلة ، وما من عبد يحييها ويدعو بدعاء الخضر عليه السلام إلا أُجيب له .

فلمّا انصرف طرقت له ليلاً فقال عليه السلام : ما جاء بك يا كميل ؟ قلت : يا أمير المؤمنين دعاء الخضر ، فقال : اجلس يا كميل ، إذا حفظت هذا الدعاء فادع به كل ليلة جمعة ، أو في شهر مرّة ، أو في السنة مرّة ، أو في عمرك مرّة تكفّ وتنصر وترزق ، و لن تعدم المغفرة ، يا كميل أو جب لك طول الصحبة لنا أن نجود لك بما سألت ثم قال : اكتب : «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء» إلى آخر الدعاء . وللسالك أن لا يقرأ هذا الدعاء عن قلب ساه حتّى يعلم ما يقول ، ولا يتكلّم بما ليس مناسباً وموافقاً لحاله الحاضر ، ويجدّ حين يقول : «وهبني يا إلهي وسيدّي ومولاي و ربّي صبرت على عذابك ، فكيف أصبر على فراقك ؟ » أن يكون صادقاً في دعوى أن فراق ربّه أشدّ عليه من عذاب جهنّم ، و لا يرضى أن يكذب مع الله العالم بالخفيّات في مثل هذا الحال ، فيكون بذلك مهيناً لسلطان الله العظيم .

وللصادق في هذه الدعوى أن يعرف معنى وصال الله و لو إجمالاً لا محالة حتّى يدعي أن مفارقة هذه النعمة والبهجة أشدّ عليه من عذاب الله ، وأيضاً له أن يتفكّر في حقائق كلّ ما يسأله من الله في دعائه و مناجاته حتّى يكون دعائه مناجاة لا مستطراً يقرأ لفظه ولا يعلم معناه ، ولا يغفل عن قوله في أواخر الدعاء « و أجمع في جوارك مع المؤمنين » والغافل الساهي في مناجاته عمّا يسأل ويدعو في خطر عظيم . ومن أهمّ ^(١) أعمال الليلة زيارة الحسين عليه السلام في مرقده الشريف ، و لزيارته صلاة و عمل مخصوص مرويّ في الاقبال ، أو في غيره من الأمكنة البعيدة ، وقد ورد في فضل زيارته أمر عظيم ، و علل ذلك بأنّ زائرته بمنزلة من زار الله في عرشه ، وللعبد المراقب أن يعتبر في هذه العبادة اعتبارات فاخرة ، منها أن يعتبر في جليل ثواب الله

(١) في الاصل [ومن أهميات] .

للحسين عليه السلام بحيث جعل زيارته في مرقده بعد قتله كمن زار الله في عرشه ، و هذا أمر عظيم لا يطيقه عقول العامة .

ومن عظمته ، حكي أن السيّد الجليل ، والعالم النبيل ، السيّد مهدي الملقّب ببحر العلوم جاء إلى الشيخ الكبير العارف الشيخ حسين المعروف بنجف وسأله عن مشكلاته ، و كان منها أن سأله عن عظم ما ورد في الأخبار من مثوبات ما يتعلّق بالحسين عليه السلام لزائره و للبائس عليه و نحوه ما كيف يستقيم عند العقل هذه الأمور العظام بهذه الأعمال الجزئية الحقيرة ؟ فأجابه الشيخ بأنّ الحسين عليه السلام مع جميع ما فيه من الشؤون إنّما كان مخلوقاً ممكناً عبداً لله ، وهو مع كونه ممكناً عبداً أعطى في محبة الله ورضاه كلّ من المال ، والجاه ، والعرض ، و الإخوة ، والأولاد الصغير والكبير ، والروح ، حتّى بدنه بعد القتل و كيف تستكثر أن يعطيه الكريم الجواد أيضاً كلّهُ للحسين ؟ عليه السلام فرضي عليه الرّحمة بالجواب واستحسنه .

ومنها أن يعرف ما في قضاء الله و تقديره في شهادة الحسين عليه السلام من الحكم سوى ما أعطاه من المثوبات ، و بلّغه به من أفضل الدرجات : من كونه سبباً لنجاة الأمّة المرحومة ، و كفارة لذنوبهم ، و وسيلة لهم إلى الفوز بدرجات عالية ، و سبباً قريباً لمعرفة شأن إمامهم .

ومنها أن يعرف أنّ من المثوبات الجليلة ، و المقامات العالية المعدّة لأولياء الله ، زيارة الله ، فيشتاق إليه ويقصده ويهتمّ لتحصيله ، ويشتدّ شوقه إليه حتّى يصدق في دعائه : « وهبني صبرت على عذابك ، فكيف أصبر على فراقك ؟ » .

ثمّ من المهمّات في أعمال اللّيلة أن يسجد بما روي من سجّدات رسول الله صلى الله عليه وآله ويقرأ ما قرأه صلوات الله و سلامه عليه وآله فيها ، عن ظهر القلب ، غير ساه عن قصد معانيها ، وغير كاذب في قصدها .

ومن المهمّ أن يقرأ ما ورد في صلاة اللّيل من الدعوات بين الرّكعات على ما روي في الاقبال ولا يغفل عن الدعاء المرويّ في الوتر أو بعده فأنّه دعاء جليل ، ثمّ

إذا صار آخر الليل فليجلس هنيئة لمحاسبة عمل الليلة ، وأظن أنه إن حاسب عمله على علم ، ولم يحف في حسابه لاسيما إذا كان مستعينا بهداية الله تعالى لاستغفر من عمله أكثر من استغفاره لو فرض نفسه نائماً ليلته لأنه لا يسلم من آفات العمل إلا المخلصون والمخلصون في خطر عظيم .

ثم لو فرض سلامة عمله من الآفات فليقوّمه ويقابله بأصغر نعم الله عليه ، ويرى أنه لا يؤدّي شكر الله بالأعمال بميزان العدل ، ولو رأى أن أعماله لا يخلو من الآفات والتقصير ، فليعالج ذلك بالتوسّل إلى خفير ليلته من المعصومين عليه السلام ويسلم عليه ويقول :

«يا من اختاره الله من عباده ، وجعله خفيراً و حامياً لهم ، فبحق هذه الخيرة أقسم عليك أن تنظر إلى سوء حالي بعين الرحمة ، وترحم ضعفي و جهلي ومسكنتي وإفلاسي وفاقتي وابتلائي ، وترغب إلى الله جلّ جلاله أن يعاملني بفضله و كرم عفوّه ، ويبدّل سيئات أعمالي بأضعافها من الحسنات ، و ترغب إليه أن يكرمني بقبوله ورضاه ، وأن تدخلني في تلك الليلة في همّك ودعائك ، وشفاعتك و شيعتك ، وتدعو الله في ثوابي وخيري وهدايتي وإرشادي ، وتأييدي ، وتسيدي ، وتوفيتي ، و كل خير لي لديني ودنيائي وآخرتي فانك يا مولاي كريم تحب الكرامة ، ومأمور من الله بالأجارة ، واجعل تمام قراك لي في خفارتك أن تسأل الله لي بمعرفته ومحبته وقربه ورضاه ، وأن يلحقني بكم في الدنيا والآخرة ، ويجعلني من شيعتكم المقربين وأولياءكم السابقين ، فإنّه وليّ ذلك ، و صلّى الله عليكم ما شاء الله و لا قوة إلا بالله» .

ثم إن شاء أن يختم ليلته بالسجود ، فليفعل . و صلّى الله على محمد وآله .
ثم من المواقف الشريفة من منازل شعبان للسالك إلى الله جلّ جلاله آخر جمعة منه روي عن العيون بأسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال : دخلت على أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في آخر جمعة من شعبان ، فقال لي يا أبا صلت

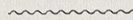
إنَّ شعبان قد مضى أكثره وهذا آخر جمعة فيه ، فتدارك فيما بقي تقصيرك فيما مضى منه ، وعليك بالاقبال على ما يعينك ، وأكثر من الدعاء والاستغفار ، وتلاوة القرآن ، وتب إلى الله من ذنوبك ، ليقبل شهر رمضان إليك وأنت مخلص لله عز وجل ، ولا تدعن أمانة في عنقك إلا أديتها ، وفي قلبك حقداً على مؤمن إلا نزعتة ، ولا ذنباً أنت مرتكبه إلا أقلعت عنه ، واتق الله وتوكل عليه في سرائرك وعلانيتك « و من يتوكل على الله فهو حسبه إنَّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً » وأكثر من أن تقول فيما بقي من هذا الشهر: «اللهم إن لم تكن غفرت لنا فيما مضى من شعبان ، فاغفر لنا فيما بقي منه» فإنَّ الله تعالى يعتق في هذا الشهر رقاباً من النار لحرمة شهر رمضان .

أقول : إنَّ في هذا الذي أفاض عليه لبلاغاً لأهله في هذا المقام ، وكل مقام مثله ، فاحفظه واغتنم و اعمل به في أمثال المقام .

ثمَّ إنَّ في صوم ثلاثة أيام من آخر شعبان لمن لم يصم كله فضلاً لا يليق للمراقب أن يتركه ، وقد روى الصدوق عليه الرحمة عن الصادق عليه السلام أنَّ من صام ثلاثة أيام من آخر شعبان ووصله بشهر رمضان كتب الله له صيام شهرين متتابعين ، هذا ،

ومراقبات أواخر الشهور من جهة استصلاح ما أتلفه في الشهر كله غير ما ذكرنا كما أشرنا إليه في كل شهر .

ثمَّ من جملة مهمات ما يعمل به في آخر ليلة من شعبان لشهر رمضان دعاء رواه في الاقبال لهذه الليلة و الليلة الأولى من شهر رمضان ويعرف منه - من كان أهلاً له - تفصيل تكليف الاستعداد لدخول ضيافة الله جل جلاله .



﴿ الفصل العاشر ﴾

﴿ في [مراقبات] شهر رمضان المبارك ﴾

روى في الجعفریات عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لا تقولوا رمضان فانكم لا تدرون ما رمضان ؟ فمن قاله فليصدق وليصم كفارة لقوله ، ولكن قولوا كما قال الله شهر رمضان ، هذا .

ومن مهمات السالك في أمر هذا الشهر العظيم معرفة حقه ، وأن هذا المنزل أكرم الله فيه السائرين إليه بالدعوة إلى ضيافته ، و هو دار ضيافة الله ، و أن يعرف معنى الصوم ومناسبته بمعنى ضيافة الله ، وأن يجهد بعد هذا المعرفة في تحصيل وجود الاخلاص في حر كاته وسكناته على وفق رضا صاحب الدار .

﴿ مقدمة ﴾

الجوع فيه فوائد للسالك في تكميل نفسه ومعرفته بربه لا تحصى ، وقد ورد في فضائله أشياء عظيمة في الأخبار لا بأس بالإشارة إليها أولاً ثم الكشف عن مله ، والاشارة إلى حكمته .

روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال : جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش ، فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع و عطش .

وقال : أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعاً وتقكراً في الله سبحانه . وقال لأسماء : إن استطعت أن يأتيك ملك الموت وبطنك جائع ، و كبذك ظمآن فافعل ، فإنك تدرك بذلك أشرف المنازل ، وتحل مع النبيين ، وتفرح بقدم روحك الملائكة ، ويصلي عليك الجبار .

وقال : أجيئوا أكبادكم ، وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل . وفي حديث المعراج قال : يا أحمد هل تعلم ما ميراث الصوم ؟ قال : لا ، قال :

ميراث الصوم قلّة الأكل ، وقلّة الكلام ، ثم قال في ميراث الصمت: إنّها تورث الحكمة وهي تورث المعرفة ، وتورث المعرفة اليقين ، فإذا استيقن العبد لايبالي كيف أصبح؟ بعسر أم يسر؟ فهذا مقام الراضين .

فمن عمل برضاي ألزمه ثلاث خصال : شكراً لا يخالطه الجهل ، وذكرأ لا يخالطه النسيان ، ومحبة لا يؤثر على محبتي حب المخلوقين ، فإذا أحببني أحببته وحببته إلى خلقي ، وأفتح عين قلبه إلى جلالي و عظمتي فلا أخفي عنه علم خاصّة خلقي ، فأناجيه في ظلم الليل و نور النهار ، حتّى ينقطع حديثه مع المخلوقين و مجالسته معهم ، وأسمعه كلامي و كلام ملائكتي وأعرفه سرّي الذي سترته من خلقي - إلى أن قال :-

و أستغرقنّ عقله بمعرفتي ، ولأقومنّ له مقام عقله ، ثمّ لا هوّنّ عليه الموت وسكراته ، وحرارته وفزعته، حتّى يساق إلى الجنّة سوقاً ، فإذا نزل به ملك الموت يقول : مرحباً بك وطوبى لك ثمّ طوبى لك ، إنّ الله إليك لمشتاق - إلى أن قال - يقول: هذه جنّتي فتبجح فيها ، وهذا جوارى فاسكنه .

فيقول الروح: إلهي عرفّفتني نفسك فاستغنيت بها عن جميع خلقك ، وعزّتك وجلالك ، لو كان رضاك في أن أقطع إرباً إرباً أو أقتل سبعين قتلة بأشدّ ما يقتل به الناس ، لكان رضاك أحبّ إليّ - إلى أن قال - فقال الله عزّ وجلّ : وعزّتي وجلالي لا أحجب بيني وبينك في وقت من الأوقات حتّى تدخل عليّ أيّ وقت شئت ، و كذلك أفعل بأحبّائي .

أقول : في هذه الأخبار إشارة وتصريح بحكمة الجوع و فضيلته ، وإن شئت أبسط من ذلك فانظر إلى ما ذكره علماء الأخلاق أخذاً من أخبار الباب من خواصّه وفوائده وقد ذكروا له فوائد عظيمة :

منها صفاء القلب لأنّ الشبع يكثر البخار في الدماغ ، فيعرضه شبه السكر ، فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار ، وعن سرعة الانتقال ، فيعمى القلب ، و الجوع بخلاف ذلك فيصير سبباً لصفاء القلب ورقّته ، ويهيئ القلب لإدمان الفكر

الموصل إلى المعرفة، وله نور محسوس، وروي عن النبي ﷺ من أجاع بطنه عظمت فكرته. وقد سمعت مواريث المعرفة.

ومنها الانكسار والذل، وزوال الأشر والبطر، والفرح الذي هو مبدء الطغيان فإذا ذل النفس يسكن لربه ويخشع.

ومنها كسر سورة الشهوات والقوى التي تورث المعاصي وتوقع في الكبائر المهلكات لأن أغلب الكبائر تنشأ من شهوة الكلام، وشهوة الفرج، وكسر الشهوتين سبب للاعتصام من المهلكات.

ومنها دفع النوم المضيق للعمر الذي هو رأس مال الإنسان لتجارة الآخرة، وهو سبب لدوام السهر الذي هو بذر كل خير، ومعين للتجدد الباعث لوصول المقام المحمود.

ومنها تيسر جميع العبادات من وجوه، أهونها قلة الاحتياج إلى التخلي وتحصيل الطعام، وقلة الابتلاء بأمراض شتى، فإن المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء، وكل ذلك محوج للإنسان لعروض الدنيا من ماله واجاهها اللذين فيهما هلك من هلك.

ومنها التمكن من بذل المال والاطعام والصلة والبر والحج والزيارة وبالجملة العبادات المالية كلها.

أقول: هذه فوائد لا يحيط عقول البشر بتفصيلها، لاسيما الفائدة الأولى فإن الفكر في الأعمال بمنزلة النتيجة، وغيره بمنزلة المقدمات فإنه نفس السير، وغيره مقدمات ومعدات للسير، ولذا ورد فيه: «تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة».

وإذا تمهد لك هذه المقدمة ينتج لك فوائد عظيمة:

منها أنك تعلم بالعلم القطعي وجه اختيار الله لضيفه الجوع لأنه لانهمة أنعم وأسنى من نعمة المعرفة والقرب واللقاء، والجوع من أسبابها القريبة.

وتعلم أن الصوم ليس تكليفاً بل تشریف يوجب شكراً بحسبه، وترى أن

المُذَمَّةُ لله تعالى في إيجابه ، وتعرف مكانة نداء الله لك في كتابه في آية الصوم وتلتذُّ من النداء إذا علمت أنه نداء ودعوة لك لدار الوصول ، وتعلم أن الحكمة في تشريعه قلَّة الأكل و تضعيف القوى و تضنُّ أن تأكل في الليل ما تركته في النهار بل و أزيد .

و منها أنك إذا عرفت شرف ما أريد منه لك تجتهد في تصحيحه و الاخلاص فيه ليسلم لك فوائده .

و منها أنك إذا عرفت المراد من جعل الصوم و إيجابه تعرف بذلك ما يكدره و ما يصفيه و تعلم معنى ما ورد فيه من أن الصوم ليس من الطعام و الشراب فقط ، فاذا صمت فليصم سمعك و بصرك و لسانك حتى ذكر في بعضها الجلد و الشعر .

و منها أنك تعرف أن النية بهذا العمل لا يليق أن يكون لدفع العقاب فقط ولا يليق أن يكون لجلب ثواب جنَّة النعيم و إن حصل به بل حق نية هذا العمل أنه مقرب من الله و موصل إلى قربه و جواره و رضاه ، بل جعل هذا العمل لأنهم من جهة أنه مخرج للإنسان من أوصاف البهيمة^(١) و مقرب إلى صفات الرُّوحانيين نفس التقرُّب . و إذا عرفت ذلك تعرف بأيسر ما تفتن أن كل ما يلحقك من الأحوال

و الأفعال و الأقوال المبعَّدة لك عن مراتب الحضور فهو مخالف لمراد مولاك من تشريفك بهذه الدعوة و الضيافة ، و لا ترضى أن تكون في دأريافة هذا الملك الجليل المنعم لك بهذا التشریف و التقريب ، العالم بسرائرك و خطرات قلبك ، غافلاً عنه وهو مراقب لك ، و معرضاً عنه وهو مقبل عليك ، و لعمرى إن هذا في حكم العقل من القبائح العظيمة التي لا يرضى العاقل أن يعامل صديقه بذلك ، ولكن كان من رفق الله و فضله لم يحرم أمثال هذه الغفلات ، و سامح عباده و كلفهم دون و سعيهم هذا و لكن الكرام من العبيد أيضاً لا يعاملون [ذلك] مع سيدهم عند كل واجب و حرام بل يعاملونه بما يقتضيه حق السيادة و العبودية ، و يعدُّون من اقتصر بذلك من اللئام .

(١) أوصاف الجسمانيين ، ظ .

و بالجملة يعملون في صومهم بما وصّى به الصادق عليه السلام وهي أمور : منها -
 أن يكون حالك في صومك أن ترى نفسك مشرفاً للآخرة ، ويكون حالك حال
 الخضوع والخشوع ، والانكسار والذلة ، ويكون حالك حال عبد خائف من مولاه
 وقلبك طاهراً من العيوب ، وباطنك من الحيل والمكر ، وتبرأ إلى الله من كل ما
 هو دونه ، وتخلص في صومك ولايتك لله ، وتخاف من الله القهار حق مخافته ، وتبدل
 روحك و بدنك لله عز وجل في أيام صومك وتفرغ قلبك لمحبة و ذكره ، وبدنك
 للعمل بأوامره و ما دعاك إليه ، إلى غير ذلك مما أوصى به من حفظ الجوارح من
 المحذورات و المخالفات ، لاسيما اللسان ، حتى المجادلة و اليمين الصادقة ثم قال
 في آخر الرواية : إن عملت بجميع ما بيّنت لك فقد عملت بما يحق على الصائم ،
 و إن نقصت من ذلك فينقص من فضل صومك و ثوابه بقدر ما نقصت مما ذكرت .
 أقول : فانظر بما في هذه الوصايا من وظائف الصائم ثم تأمل في تأثيراته فاعلم
 أن من يرى نفسه مشرفاً للآخرة ، يخرج قلبه من الدنيا ، ولا يهتم إلا بتهيئة زاد
 للآخرة ، و هكذا إذا خضع قلبه و كان منكسراً و ذليلاً بعد عن الفرح بغير الله
 و الميل إليه ، و من بذل روحه و بدنه لله ، و تبرأ من كل شيء دون الله يكون
 روحه و قلبه و بدنه و كله مستهتراً في ذكر الله ، ومحبة الله ، وعبادة الله ، ويكون صومه
 صوم المقرّبين ، رزقنا الله بحق أوليائه هذا الصوم ولو يوماً في عمرنا .

و كيف كان مراتب الصوم ثلاثة: صوم العوام وهو بترك الطعام والشراب والنساء
 على ما قرره الفقهاء من واجباته و محرماته و صوم الخواص وهو ترك ذلك مع حفظ
 الجوارح من مخالفات الله جل جلاله ، و صوم خواص الخواص وهو ترك كل ما هو
 شاغل عن الله من حلال أو حرام ، ولكل واحد من المرتبتين الأخيرتين أصناف كثيرة
 لاسيما الأولى فإن أصنافه كثيرة لا تحصى بعدد مراتب أصحاب اليمين من المؤمنين
 بل كل نفس منهم له حد خاص لا يشبه حد صاحبه و من أهل المراتب أيضاً من يقرّب
 عمله من عمل من فوقه ، وإن لم يكن منه .

هذان جهة ما يصام عنه ، و أمّا من جهة قصد الصيام ، فينقسم الصائمون أيضاً على

أصناف بعضهم ما قصدوا بصومهم قصداً صحيحاً يكفي في عدم بطلان عملهم ، بل صاموا لغير الله من خوف الناس ، و من أجل جلب النفع منهم ، أو لمجرد العادة المعمولة بين المسلمين ، وبعضهم يكون صومهم مشوباً مع ذلك بشيء من خوف عقاب الله ورجاء ثوابه ، وبعضهم يتمحض قصدهم لأجل خوف العقاب أو الثواب و الثاني قليل ، و الأغلب من هذا الصنف يشترك في قصده جهة دفع العقاب ، وجلب الثواب ، وبعضهم يدخل مع ذلك في قصدهم كونه مقررّاً بالله وموجباً لرضا الله ، و بعضهم يتمحض قصدهم في جهة القرب والرضا .

وقد يقال: الأولى أن يتمحض قصد بعض الكاملين في كونه تعالى أهلاً لأن يعبد ويخلص من شوب الرغب والرهب رأساً حتى الوصول إلى لقائه والزلقى لديه ، و كونه موافقاً لرضاه ، و يعدّون العمل من جهة الرغبة في الوصال ناقساً ورأيت من عبّر عن مثل هذا العمل بأنه عبادة النفس .

أقول لأظنّ نبياً ولا ولياً ولا ملكاً مقررّاً يخلص جميع أعماله من ذلك وعدّ العمل بقصد أنّه موصل إلى رضا الله و قربه و جواره عبادة النفس كما في كلمات بعض أهل المعرفة إفراط نعم لا بأس بأن يكون لأولياء الله في بعض حالاتهم وتجلياتهم حال يصدر منهم العمل لمجرد كونه تعالى أهلاً له ، مع نسيان جهة القرب والرضا ولكن لا أقول بإمكان دوام ذلك لأحد من الأنبياء فضلاً عن غيرهم أو وقوعه بل ولا أفضل العمل لذلك على العمل لشوق الوصول إلى جوار الحبيب تعالى ، كيف ولا مرتقى فوق عبادة رسول الله ﷺ و أمير المؤمنين عليه السلام و الأخبار كاشفة عن كون بعض أعمالهم أو أغلبها لمجرد تحصيل رضا الرب تعالى وقربه .

بل و أجسر و أقول : لا بأس أن يكون خوف العقاب أيضاً داخلاً في بعض الأحيان في قصودهم كيف و من غلب عليه خوف عقاب الله بحيث غشي عليه من ذكر جهنم لا يمكن أو يتعسر أن لا يؤثر ذلك في أعماله أصلاً .

بل وظنّي أنّ أحوال الأنبياء والأولياء حتى سيدهم نبينا ﷺ كانت مختلفة و سبب اختلافها اختلاف تجليات أسماء الله تعالى لهم على وفق حكمة الله جلّ جلاله

في تربيتهم و ترفيع درجاتهم ، و تقريبتهم من جواره ، وكان الله هو المتولي لرياضة قلوبهم بذلك حتى يكملوا كما في بعض فقرات الزيارة « موالى لكم قلوب تولى الله رياضتها بالخوف و الرجاء » تارة يتجلى لهم بالأسماء الجمالية فيستأنسون لربهم ويتمنون عليه بل يمتنون على غيرهم بالتصرف في ملك مالكمهم و سيدهم ، وأخرى يتجلى لهم بالأسماء القهرية الجلالية ، فتراهم عند ذلك يتضرعون و يستغفرون و ييكون ، و يناجونه بهذه المناجاة التي أغلبها الاستغفار والعودة ، و طلب النجاة من جهنم والنار كيف و اختلاف أحوال الأنبياء شيء لا يخفى على من له أدنى ممارسة بأخبارهم .

وقد روي لنا عن حالات رسول الله ﷺ أنه كان في بعض حالاته يقول: كلميني يا حيراء ، ومع ذلك قد كان ينتظر وقت الصلاة ويقول أرحني يا بلال ، وكان في بعض الأوقات يتغير لونه و حاله عند نزول الوحي ، و كان في بعض الأوقات يخاف عند هبوب الرياح من نزول البلاء ، و كل ذلك كاشف عن اختلاف الأحوال ، وهو لا يجتمع مع أن يتمحض قصد العامل في جميع حرركاته و سكناته عن جميع الوجوه إلا كونه تعالى أهلاً للعبادة ، هذا .

ولا يبعد أن يكون المراد من قصد كونه تعالى أهلاً للعبادة في لسان العظماء من أهل العلم معنى يجتمع مع قصد قربه و رضاه ، فإن قصد قرب الحبيب أيضاً قد يكون لكونه أهلاً للتقرب إليه لا للتنعم من عطائه و نعمه ، و لا للفرار من عقابه ، وهذا أحد معني كون العمل لأنه أهل للعبادة ، كما يشعر بذلك كلام سيد الأولياء أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول : « ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك » فإنه عليه السلام جعل قصد كونه أهلاً للعبادة مقابلاً للعبادة من خوف النار و طمع الجنة لا ما يعم الوصول إلى رضاه و قربه فكيف كان ، نسأل الله جل جلاله أن يمن علينا بتوفيق قصد قربه و رضاه ، بل و يكرّمنا بمعرفة المقصود من قربه ، بل التسليم لامكانه إجمالاً ، أما ترى جماعة من أجلة أهل العلم ينكرون تصوّر معنى لقربه تعالى و يقولون : معنى قصد القرب هو

قصد أمره تعالى، وما زاد على ذلك فهو يخالف تنزيهه تعالى، وإن كانوا في هذه العقيدة غير مصابين (١).

ثم لا يذهب عليك أن القول ببطلان العبادة من جهة خوف العقاب أو طمع الجنة وإن صدر عن بعض الأجلّة ولكنه صادر عن الغفلة ولا غرو في وقوع أمثال هذه الغفلات والعثرات من الأجلّة والأعيان لحكمة الهيّة في ابتلائهم بأمثاله . ولا يذهب [عليك] أيضاً أن ما حكم به سيّدنا قدّس الله نفسه الزكيّة في إقباله بأن من عبد الله لمجرّد دفع العقاب فهو من لئام العبيد؛ إنّما هو كما صرّح به قدّس سرّه لمن كان ممّن لا يعبد لولا خوف العقاب ، فهو كما قال يخالف كرائم الصفات بل مقصوده قدّس سرّه من لا يرى الله جلّ جلاله أهلاً للخدمة وهذا البتّة من لئام العبيد بل هذا الاعتقاد إنّما هو قدّس سرّه في عين الإيمان والاسلام ، هذا .

وقد يزيد المخلصون في السّوم على أنفسهم -زيادة على عدم شغلهم بغير محبوبهم- بكمال الجدّ في الأعمال الشاقّة ، و لو رأوا عمليّن متساويين في الفضل لا اختاروا أشقّهما على أنفسهم، أو لئلك هم المقرّبون حقّاً ، والله درّهم كما حكى ذلك صريحاً عن أمير المؤمنين عليه السلام هذا .

وقد يقتسم الصائمون من جهة طعامهم وشرابهم إلى صنوف : منهم من يكون مأكله و مشربه من الحرام المعلوم ، و هذا مثله في بعض الوجوه مثل حمّال يحمل أثقال الناس إلى منازلهم فلا أجر لمالك الطعام ، و له وزر ظلمه و غصبه ، أو مثله مثل من ركب دابّة مغصوبة إلى بيت الله و طاف بالبيت على هذه الدابّة المغصوبة .

ومنهم من يكون [مأكله] ذلك من الشبهات وهو على قسمين قسم يكون أخذ هذا المشتبه بالحرام الواقعي محلاً له في الظاهر و قسم لا يكون محلاً ولو في الظاهر و الأوّل يلحق في حكمه بمن يكون مأكله ومشربه من الحلال و إن كان دونه بدرجة و الثاني بمن يأكل الحرام المعلوم و إن كان فوقه بدرجة .

و منهم من يكون مأكله حلالاً معلوماً و لكن يترف في كَيْفِيَّتِهِ بالألوان الكثيرة ، و في مقداره على حدِّ الامتلاء ، و مثله مثل خسيس الطبع الذي يشتغل في حضرت حبيبهِ بالالتذاذ بما يكرهه ، وهو متوقع أن لا يلتذ بشيء غير ذكره وقربه وهذا عبد خسيس لا يليق بمجالس الأحباء ، بل حقّه أن يترك وما يلتذ به ، وهو لأن يعدَّ عبد بطنه أولى من أن يعدَّ عبد ربّه .

و منهم من يكون حدّه في الكَيْفِيَّةِ و المقدار فوق الاتراف و يلحق بالاسراف و التبذير هذا أيضاً في حكمه ملحق بمن يأكل الحرام المعلوم و هو أيضاً بأن يعدّ عاصياً أحقُّ من أن يعدّ مطيعاً .

و منهم من يكون مأكله و متقلّبه كلّها محلّلة ولا يسرف ولا يترف بل يتواضع لله في مقدار طعامه و شرابه عن الحدِّ المحلّل و غير المكروه ، و هكذا يترك اللذّيز و يقتصر في الإدام على لون واحد ، أو يترك بعض اللذائذ و بعض الزيادة .

فدرجاتهم عند ربّهم المراقب لحفظ مجاهداتهم و مراقباتهم محفوظة مجزيّة مشكورة ، ولا يظلمون فتيلاً فيجزّيهم ربّهم بأحسن ما كانوا يعملون ، و يزيدهم من فضله بغير حساب ، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين بل ولا خطر على قلب ، هذا . واقتسموا أيضاً من جهة نيات الافطار والسحور على أصناف :

منهم من يأكل فطوره وسحوره بلا نيّة غير ما يقصده الآكلون بالطّبع لدفع الجوع أولدّة الماء كؤل .

و منهم من يقصد مع ذلك أنّه مستحبّ عند الله وأنّه عون على قوّة العبادة .

و منهم من لا يكون قصده من الافطار والتسحر إلّا كونهما مطلوبين لسيدّهم

ومولاهم ، وعوناً على عبادته ، ويراعون مع ذلك آدابه المطلوبة من الذكر و العبر و الكيفيّات ، و يقرؤون ما استحبّ لهم من قراءة القرآن و الأدعية و الحمد قبل الشروع وفي الأثناء و بعد الفراغ .

و من أهمّ ما يقرأ بعد البسملة فيهما قبل الشروع سورة القدر ، و من أجلّ ما

يقرأ قبل الافطار الدعاء المروي في الاقبال بإسناده إلى مفضل بن عمر، عن الصادق عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ قال لأُمير المؤمنين - عليه الصلاة والسلام - : يا أبا الحسن! هذا شهر رمضان قد أقبل فاجعل دعاءك قبل فطورك فإن جبرئيل جاءني فقال: يا محمد من دعا بهذا الدعاء في شهر رمضان قبل أن يفطر استجاب الله دعاءه وقبل صومه عنه وصلاته، واستجاب له عشر دعوات، وغفر له ذنبه، و فرج غمّه، ونفّس كربته، وقضى حوائجه، وأنجح طلبته، ورفع عمله مع أعمال النبيين و الصديقين وجاء يوم القيامة ووجهه أضوء من القمر ليلة البدر فقلت: ما هو يا جبرئيل؟ فقال: اللهم ربّ النور العظيم الخ.

ثم إنّ الذي في الأخبار هو كون الغيبة و الكذبة و النظرة بعد النظرة و السبّ و الظلم قليلها و كثيرها مفطراً، و أن ليس الصوم من الطعام و الشراب فقط و لكن إذا صمت فليصم سمعك و بصرك و لسانك و فرك و بطنك، و احفظ يدك و رجلك و أكثر السكوت إلا من خير، و ارفق بخادمك، و أنّه إذا صمت فليصم سمعك و بصرك من الحرام و القبيح، و دع المرء و أذى الخادم، و ليكن عليك وقار الصيام، و لا تجعل يوم صومك كيوم فطرك، و قول رسول الله ﷺ: إن أيسر ما افترض الله على الصائم في صيامه ترك الطعام و الشراب، و فتوى الفقهاء بصحة صوم بعض هؤلاء إنّما يلتئم إذا أريد من كلام الفقهاء في معنى الصحة ما يكون مسقطاً للقضاء و ممّا في الأخبار ما يكون موجباً للقبول،

و بالجملة الصوم الصحيح الكامل الذي شرّعه الله تعالى لحكمة تكميل نفس الصائم، هو ما يكون لا محالة تركاً لعصيان الجوارح كلّها فإن زاد الصائم مع ذلك ترك شغل القلب عن ذكر غير الله، و صام عن كلّ ما سوى الله فهو الأكمل و إذا علم الانسان حقيقة الصوم و درجاته و حكمته تشريعه، فلا بدّ له من الاجتناب عن كلّ معصية و حرام لأجل قبول صومه لا محالة، و إلا فهو مأخوذ مسؤول عن صوم جوارحه و ليس معنى إسقاط القضاء أمراً ينفع الانسان يوم القيامة عن المؤاخذه، هذا.

وقد ورد في فضل شهر رمضان و بسط رحمة الله فيه من الأخبار أمر عظيم نافع جداً « لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » :
 منها أن الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار سبعين ألف ألف عتيق من النار كلاً قد استوجب النار ، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه .

و في رواية أخرى : إذا كان أول ليلة من شهر رمضان غفر الله لمن شاء من الخلق ، فإذا كانت الليلة التي تليها ضاعفهم ، فإذا كانت التي تليها ضاعف كل ما أعتق حتى آخر ليلة في شهر رمضان يضاعف مثل ما أعتق في كل ليلة .

ومن ذلك ما رواه السيد قدس الله نفسه الزكية في الاقبال عن كتاب بشارة المصطفى لشيعته المرتضى بإسناده إلى الحسن بن علي بن فضال ، عن الرضا ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين - عليهم الصلاة والسلام - قال : إن رسول الله ﷺ خطبنا ذات يوم فقال :

« أيها الناس إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة و الرحمة و المغفرة ، شهر هو عند الله أفضل الشهور ، و أيامه أفضل الأيام ، و لياليه أفضل الليالي ، و ساعاته أفضل الساعات ، و شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله ، و جعلتم فيه من أهل كرامة الله أنفاسكم فيه تسبيح ، و نومكم فيه عبادة ، و عملكم فيه مقبول ، و دعاؤكم فيه مستجاب فاسألوا الله ربكم بنية صادقة ، و قلوب طاهرة ، أن يوفقكم لصيامه ، و تلاوة كتابه ، فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم » .

« اذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة و عطشه ، و تصدقوا على فقرائكم ومساكينكم ، ووقروا فيه كباركم ، و ارحموا صغاركم ، وصلوا أرحامكم واحفظوا أسننتكم ، و غضوا عما لا يحل إليه النظر أبصاركم ، و عما لا يحل إليه الاستماع أسماعكم ، وتحسنوا على أيتام الناس يتحنن على أيتامكم ، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم ، و ارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم ، فانها أفضل الساعات

ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عباده ، ويجيبهم إذا سألوه و ناجوه ، و يلبسهم إذا نادوه ، ويستجيب لهم إذا دعوه .

«أيّها الناس إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم ، و ظهوركم مثقلة من أوزاركم فخفّفوها بطول سجودكم ، و اعلّموا أنّ الله أقسم بعزّته أن لا يعذب المصلّين والساجدين ، وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناس لربّ العالمين» .

«أيّها الناس من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله

عتق رقبة ، و مغفرة لما مضى من ذنوبه ، فقيل : يا رسول الله وليس كلّنا يقدر على ذلك فقال ﷺ : اتّقوا النار ولو بشقّ تمرّة ، اتّقوا النار ولو بشربة من ماء .

«أيّها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جواز على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام ، و من خفّف منكم عمّا ملكت يمينه خفّف الله عليه حسابه و من كفّ فيه شرّه كفّ الله غضبه عنه يوم يلقاه ، و من أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه ، و من وصل فيه رحمه وصله الله [برحمته] يوم يلقاه ، و من قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه ، و من تطوّع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار ، و من أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور ، و من أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقّل الله ميزانه يوم تخفّف الموازين ، و من قرأ فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور» .

«أيّها الناس إنّ أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة فاسألوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم ، و أبواب النيران مغلقة فاسألوا ربّكم أن لا يفتحها عليكم ، و الشياطين مغلولة فاسألوا ربّكم أن لا يسلّطها عليكم» .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : فقمت وقلت يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ؟ فقال : يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل ، ثم بكى ، فقلت ما يبكيك يا رسول الله فقال : يا عليّ ممّا يستحلّ منك في هذا الشهر كأنّي بك وأنت تصلّي لربّك ، و قد انبعث أشقى الأولين و الآخرين

شقيق عاقر ناقة ثمود ، فيضربك ضربةً على قرنك تخضب بها لحيتك .
قال أمير المؤمنين عليه السلام فقلت : يا رسول الله و ذلك في سلامة من ديني فقال :
في سلامة من دينك .

ثم قال عليه السلام : يا علي من قتلك فقد قتلني ، و من أبغضك فقد أبغضني ، و
من سبك فقد سبني ، لأنك مني كنفسي ، روحك من روحي ، و طينتك [من]
طينتي ، إن الله عز وجل خلقني و خلقك و اصطفاني و إياك ، و اختارني للنبوّة
و اختارك للإمامة ، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوّتي ، يا علي أنت وصيي ، و أبو ولدي
و زوج ابنتي ، و خليفتي على أمّتي في حياتي و بعد موتي ، أترك أمري ، و نهيك نهبي
أقسم بالذي بعثني بالنبوّة ، و جعلني خير البريّة ، إنك لحجّة الله على خلقه ، و أمينه
على سرّه ، و خليفته في عبادته .

و من أبلغ ما ورد في البشارة لشهر رمضان دعاء النبي عليه السلام على من لم يغفر
فيه حيث إنّه عليه السلام قال : « من أنسلخ عنه شهر رمضان و لم يغفر له فلا غفر الله له »
فإنّ هذا الدعاء بلحاظ أنّه عليه السلام بعث رحمة للعالمين بشارة عظيمة لسعة الرحمة و عموم
الغفران في الشهر و إلّا لم يكن مع كونه رحمة للعالمين يدعو لمسلم ولو كان مذنباً .
و من أجلّ ما ورد في ذلك ، الأخبار الكثيرة الواردة في غلّ مردة الشياطين
و فتح أبواب الجنان ، و فتح أبواب الرحمة ، و غلق أبواب النار ، و كفاية الله عدوّ
الجنّ ، و نداء منادي الله من أوّل الشهر إلى آخره و لم يرد مثله في شهر من الشهور
فإنّ الذي ورد في سائر الشهور إنّما هو في الثلث الآخر من اللّيل إلّا في ليالي
الجمعات من أوّل اللّيل إلى آخره ، و كذا في شهر رجب عامّة و أمّا شهر رمضان
فورد فيه النداء من أوّل الشهر إلى آخره لياليها و أيّامها ، و ماورد من اختصاص
شهر رمضان باجابة الدعاء و آية « ادعوني أستجب لكم » .

أقول : إنّ لكلّ واحد من هذه الأمور لشأناً عند أهله يعرفون به منّة الله
عليهم ، و يستقبلونه بشكر و فرح عظيم ، و ينتفعون به ، و أمّا الغافل و المنكر فلعلّهما

يقلُّ انتفاعهما من جهة التضييع والاهمال والكفران أو يعدم .

ولقد حكى أَنَّهُ كان بعضُ لا يرى من غلِّ الشياطين في شهر رمضان كثير نفع وكأَنَّهُ عسر عليه تصديقه أو فهم ما أُريد منه ، والحال أَنَّهُ محسوس ^(١) في شهر رمضان وآثاره في العالم ظاهرة من جهة كثرة العبادات والخيرات فيه ، ولا يشكُّ فيه أحدٌ ومن يعرف حقيقة الشيطان ، وجهة ارتباطه مع البشر ومدخله ، يعرف أَنَّ نفس الامتناع من الطعام والشراب لا سيَّما إذا اقترن بكفِّ اللسان عن كثرة الكلام ، سبب لمنع تصرف الشياطين في قلب الصائم كما أُشير إلى بعض ذلك في قولهم **عَلَيْهِ السَّلَام** : « ضَيِّقُوا مجاريه بالجوع ، وإنَّه يجري في بدن الانسان مجرى الدَّم » .

وكيف كان فهذا الَّذي هو المرئيُّ من العامَّة من كثرة العبادات ، والخيرات والقربات في شهر رمضان شيء لا ينكر نعم ليس هذا بالنسبة إلى جميع الشياطين ، و بالنسبة إلى جميع المكلفين . وهذا أمر ظاهر لأَهله كما صرَّح تقييده في بعض أخبار الباب بمردة الشياطين .

ثمَّ إِنَّ الشرع والعقل والعرف كلُّها يحكم بلزوم التعرُّض لنتفحات الربِّ تعالى واستقبال ألطافه في توفيق العبد لتحصيل قربهِ ورضاه بالشوق والشكر والأدب ، ومن أقلَّ مراتب التعرُّض أن ينشئ العبد جواباً لمناذي هذا الشهر باظهار الشكر ، وقبول المنَّة ، وعذرا التقصير ، ودلَّ الاعتراف .

فالأولى له أن يتصورَ هذا الملك كأنَّه رسول عزيز شريف لبعض ملوك الدنيا وجاءه من قبل هذا الملك لدعوة هذه الرعيَّة لمجلس ضيافة السلطان ، وأخبر أنَّ السلطان معه في غاية اللطف من مغفرة الزلات ، وعطاء الهبات ، و فرامين الولايات والخلع الفاخرات ، بل في مقام الرِّضاء ، والدعوة لمجلس الأُنس واللقاء ، والقرب والوفاء ، وتشريفه في زمرة الأَحَبَّاء والأولياء ، كيف يستقبله ويحييه؟ ويبذل مهجته دونهُ؟ ويفديه بأعزِّته وأَهله ونفسه؟ ثمَّ يقدِّر في نفسه عظمة هذا الربِّ الودود ، والسلطان العظيم ، بالنسبة إلى جميع ملوك الدنيا ويعرف حقَّ ما يجب عليه في إجابة

(١) في الاصل : [والحال أَنَّهُ محسوس] .

هذا الدعاء وينشئ له جواباً يليق بحاله ، وإن لم يمكنه التحري في ذلك بما يليق فليقرأ ما أنشأناه في جواب منادي رجب بتغيير ما في بعض فقراته .
ثم الأولى أن يقرأه في أوّل الشهر بل في الليلة الأولى و في بعض أوقاته الخاصة .

وأما التعرّض لنفحة إجابة الدعوات ، فبكثرة الدعوات ، و المناجاة الواردات و غير الواردات ، و أن يكثّر التدبّر في الآيات الواردة في ذلك من قوله تعالى : « لا يعبؤكم ربّي لولا دعائكم » و قوله : « ادعوني أستجب لكم » و قوله : « و إذا سألك عبادي عنّي فأنّني قريبٌ أجيب دعوة الدّاع إذا دعان فليستجيبوا لي و ليؤمنوا بي لعلمهم يرشدون » و قوله : « أم من يجيب المضطرّ إذا دعاه و يكشف السوء » و قوله : « ولولا تضرّعوا إذ جاءهم بأسنا » و قوله : « والذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين » حيث فسّر العبادة في الأخبار بالدّعاء ، و قوله : « و اسألوا الله من فضله إنّ الله كان بكم رحيماً » إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة وليتأمّل في أخبار الباب ثمّ يتفكّر في عمل الأئمّة عليهم السلام في هذا الأمر و أنشأوا من الدّعات الجليلة و المضامين اللطيفة ، فإنّه يجد في ذلك فوق حدود البشر من فنون العلم بأسماء الله و صفاته ، و ما يقتضيه جماله و جلاله ، و حقّ أدب العبوديّة مع كلّ فيما يناسبه مقامه و أوصافه و أحواله ، و كيفيّة الاستعطاف و الاسترحام ، و لطيف الاستدلالات في استيجاب عفوه و كرمه و فضله ، و عرض مذلّة الاعتراف بمقدّس أبواب رأفته و رحمته و لعمرى لو كان للانسان فكرة أو فطنة لكفاه ما صدر في ذلك من أئمّة الحقّ عن كلّ معجز في إثبات الرسالة و الإمامة .

و من أراد من أهل العلم أن يفهم شيئاً من عظمة هذا الأمر فليعمل دعاءً أو ينشئ مناجاةً و لكن بغير ما تعلّم من أدعيتهم و مناجاتهم ، و يعرضها على ما صدر عنهم فحينئذ يعلم قدر ما صنعوا في ذلك ، و من كان له ذرّة من معرفة النفس ثمّ

غاص في بحار ما أوردوها من الدعاء و المناجاة يصدق كثرة ما أودعوا فيها من فنون المعارف وحدٌ إعجازها ، وهذا العبد المسكين الجاهل ، لا أجد عشر عشر ما بينوها من ذلك في الأدعية و المناجاة في غيرها من الأخبار المفصّلات ، بل و الخطب أيضاً إلا ما كان منها من مخاطبة الربّ تعالى في مقام توحيده و تسبيحه و حمده .

وقد تخيّلت لهذا المطلب أيضاً سرّاً و حكمة ، وهو أن الأخبار إنما هي تكلم مع الناس ، والأدعية و المناجاة تكلم مع الله جلّ جلاله ، والذي يظهر من العلم عند التكلم مع العالم لا يظهر عند التكلم مع الجاهل .

و بالجملة هذه الأدعية الواردة عنهم عليهم السلام كأنّها جواب ما ورد في القرآن المبين ، وبعبارة أخرى كأنّها قرآن مرفوع في جواب القرآن النازل ، و القرآن كلام الربّ تعالى و مناجاته مع عبده ورسوله صلّى الله عليه وآله ؛ والأدعية كلام و مناجاة من رسوله صلّى الله عليه وآله و أوليائه مع الربّ تعالى ، ولا يعرف حقيقة ذلك إلا الأقلّون ، ولأئمة الدين في هذه الأدعية الواردة منّة و نعمة عظيمة علينا يعجز عنه شكر الشاكرين و من واجب شكر هذه النعمة أن لا يضيعوها بل يجتهدوا في أعمالها و تصحيحها و تكميل شرائطها .

ولا بأس أن نشير بواجب شرائطها إجمالاً وإن كان لتفصيل ذلك محل آخر لأن شهر رمضان ربيع الدعاء و القرآن ، و كذا شرائط قراءة القرآن ، ولتقدّم شرائط القراءة أدباً و أداءً لحقّ تقدّم القرآن فنقول : قال الله عزّ وجلّ : « أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها » فمن تدبّر في القرآن لا بدّ أن يعرف بقدر تدبّره معنى الكلام و عظّمته ، و عظّمة المتكلّم به ، وأحضر قلبه عند قراءته و تدبّره فيها ، و تفهّم مراداتها ، وتخلّى عن موانع الفهم ، وفرض نفسه مخصوصاً بأحكامها و مواعظها فيتأثّر عند ذلك منها و يترقّى بعد تأثّره في مراتب فراسته إلى عوالم بهيّة ، ومقامات سنيّة ، هذه أمور متعلّقة بقراءة القرآن ، بعضها واجب جدّاً ، و بعضها فضلٌ و أيّ فضل .

أما فهم معنى كلام الله فاجماله أن يعلم أن القرآن له حقيقة غير عوالم الألفاظ والمفاهيم والنقوش ، وهو من أنوار الله وله في العوالم مظاهر ، ولظواهره تأثيرات ، وله في عوالم الآخرة صورة كصورة الأنبياء والملائكة وعباد الله الصالحين ، يتكلم في هذه الصور ، ويشفع عند الرب تعالى ويشفع وهو شافع مشفع وصادق [ماحل] مصدق ، وهو في الحقيقة تجل من تجليات الله جل جلاله كل ذلك في أخبار أهل البيت عليهم السلام الذين هم قيم القرآن ومع القرآن لا يفترقان .

وفيه تبيان كل شيء ، وعلم ما كان وما يكون ، وهو نور يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات بآذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، بل بحقيقته في بعض العوالم اتحاد مع حقيقة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخلفائه الطاهرين ، كما يكشف عنه قول أمير المؤمنين عليه السلام أنا القرآن الناطق .

وبالجملة للقرآن حقيقة وحقيقته بحيث لا يصل إلى كنه معرفته هذه العلوم وهو كما قال عز وجل : « لا يمسه إلا المطهرون » فالمعرفة بحقيقته ملازمة لمعرفة عظمته ، وهي ملازم لمعرفة عظمة المتكلم به ، فمن عرفه بهذه المثابة لابد أن يحضر قلبه عند تلاوته ، وتدبر في قراءته ، واستفهم مراداتها وإشارات ولطائفها ، فإن في ذلك خيراً كثيراً لأن في القرآن علم المبدء والمعاد وهو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأنواع العلوم بحقائق الأشياء كما هي .

وبالجملة روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : ما أسر إلي رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً كتمته عن الناس إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في كتابه ولا بأس أن نشير إلى مسألة واحدة من وجوه التدبر والاستفهام ليكون تذكرة لمن أراد أن يذكّر .

فنعول : إذا قرأ الإنسان مثلاً في سورة الواقعة : « أفرايتم الماء الذي تشربون » فله أن لا يقتصر نظره إلى طعم الماء فليتدبر من ذلك في وجوه ومن ذلك أن يتدبر في تكوين الأشياء منه ، مثلاً يتفكر أن الماء الواحد كيف يكون نباتاً وحباً وحيواناً وإنساناً .

ثمَّ يتفكَّر في أجزاء الإنسان أجزاءه الظاهرة من العظم واللحم وغيرها ، و البصر والسمع وغيرها ، وقواه وأخلاقه الكريمة، وأخلاقه الرذيلة وآثارها في الدنيا والآخرة ، حتَّى يصل إلى مراتب عقوله حتَّى يقف إلى العقل المستفاد و يتفكَّر فيه حتَّى يراه كأنَّه عالم مستقلُّ بآزاء هذا العالم فكأنَّه عالم صغير بل يراه عالماً كبيراً .

ثمَّ يرجع إلى مبدء الماء فيرى كما في القرآن أنَّه من آثار رحمة الله ثمَّ ينظر إلى أنَّ الرحمة من الصفات ورأى في الصفات المتَّصف [بها] ، وهذا النوع من التدبُّر من مبادي علم المكشوفة ولعلَّه إذا استغرق المتدبِّر فكره في ذلك يرى ما يصدِّق به قول الصادق عليه السلام « ما رأيت شيئاً إلَّا ورأيت الله قبله ومعه وبعده » هذا .

ومن التفكُّر المفيد في الاستفهام الفكر في أحوال الأنبياء مع كونهم من عوالم القرب والزلزلي من الله جلُّ جلاله بمكان كيف يصيبهم ما يصيبهم في الدنيا من المصائب والبلايا ، وأنواعها من الفقر والمرض وإيذاء الناس بالكذب والافتراء والشتم والضرب والقتل ، وكيف يؤدِّبهم الله ويربِّيهم في هذه الدُّنيا بالبلايا والمحن حتَّى قال سيِّد الأنبياء ﷺ مع أنَّه حبيب الله : « ما أُوذي نبيٌّ مثل ما أُوذيْتُ » وتفكَّر في هذه الشؤون واستفد من ذلك أموراً :

الأوَّل أن تعرف منه عظمة الله جلُّ جلاله حيث أن أمثال هؤلاء العظام مقهورون تحت أحكام حكمته ، ويفعل ما يشاء ولا يسأل عن فعله .

و الثاني أن لا توجب على الله بطاعتك أن يقضي الأشياء على إرادتك .
و الثالث أن لا تياس من فضله إذا ابتلاك في الدُّنيا بالفقر والذلِّ ، و سائر البلايا .

والرابع أن لا تشمت بمؤمن بالبلايا .
والخامس أن لا تحقِّر مؤمناً بالذلِّ في الدنيا ، والفقر ، و لعلَّ الله ابتلاه لكرامته .

والسادس أن ترى هوان الدنيا عند الله ولا تعظمها بل تستحققها ، ولا تموت نفسك حسرة على فواتها .

والسابع أن تستشعر باقبال الدنيا على بعدك من درجة المقر بين ، وبإدبارها على شعار الصالحين ، كما أوحى إلى موسى ﷺ: إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغناء مقبلاً فقل : ذنب عجلت عقوبته .

ومنه أيضاً التدبر في عقوبات أهل المعاصي من الحدود والتعزيرات الشرعية فإن قطع اليد لسرقة ربع دينار في حكم الله إنما يوجب للعاقل خوفاً عظيماً من هذه الجنايات العظيمة التي يوردها في حر كاته وسكناته في كل يوم من المعاصي القلبية والقلبية .

ومنه التدبر في أحوال الهالكين من الأمم في أعمالهم وعقابهم وقد سأل عيسى على نبينا وآله وعليه السلام عن بعض هؤلاء من عملهم الذي أوجب عليهم نزول العذاب وأجاب: بأنهم كانوا يحبسون الدنيا كحب الصبي لأمه ، ويطيعون أهل المعاصي ، مع خوف قليل ، وأمل بعيد ، وغفلة في لهو ولعب . وسألهم عن كيفية هلاكهم وعذابهم قال : بتنا في عافية وأصبحنا في هاوية قال : وما الهاوية ؟ قال : جبال من حجر توقد علينا إلى يوم القيامة قال : فما قلتم وما قيل لكم ؟ قال : قلنا: ردنا إلى الدنيا فنزهد فيها ، قيل لنا كذبتُم قال : ويحك كيف لم يكلمني غيرك من بينهم قال : ياروح الله إنهم ملجمون بلجم من النار بأيدي ملائكة غلاظ شداد ، وأنا كنت فيهم ولم أك منهم فلمّا نزل العذاب عمّني معهم فأنني متعلّق بشجرة على شفير جهنم لا أدري أكبكب فيها أم أنجو منها .

و تفكر في معصية أصحاب السبوت وعذابهم بالمسوخ قرده و خنازير أو لا ثم هلاكهم ، ثم تفكر في أعمالك هل تطمئن أن لا يوجد في مثل أعمالهم عملك ؟ .

وأمثال هذه التفكرات كان يمنع الصلحاء والأولياء أن يناموا مطمئنين ، و يقولون: كيف ينام من يخاف البيات ، ويتصفّحون وجوههم في كل يوم مرّات ، كيف

حالتها هل اسودّت من ظلم المعاصي أم بقي على حالها ؟
 وكيف كان يجب للمستفهم أن يتخلّى من موانع الفهم وإلا فلا ينتفع بالقرآن
 حق الانتفاع ، بل قد يتضرّر إن لم يتخلّى من موانع الفهم وقد عدّوا له وجوهاً
 ذكروا في أوّلها التقيّد في استقصاء إخراج الحروف من المخارج ، و حفظ حدود
 محاسن التجويد ، فإنّه يمنع عن التدبّر في معاني الآية فلا يمكنه الاستفهام .
 أقول: هذا حقٌّ إلاّ أنّه ليس من موانع الإِستفهام ، بل من موانع التدبّر
 الّذي هو من أسباب الاستفهام ،

والثاني أن تكون صفة وخلق من الأخلاق الرذيلة والصفات الخبيثة ، توجب
 طبع القلب عن فهم معاني القرآن كما دلّت عليه بعض الآيات : « وكذلك يطبع الله
 على كلّ قلب متكبّر جبّار » وقوله : « إنّما يتذكّر من ينيب » فإنّ هذه الصفات
 في القلب يورث كدورة تمنع عن فهم حقائق الأشياء نظير صداء المرآة التي تمنع
 عن ترائي الصور فيها .

والثالث أن يعتقد أمراً باطلاً ويتّخذ لِنَفْسِهِ مذهباً ، و يبنى أن ماوراء كفر
 أوضاع ، فإنّ ذلك أيضاً من موانع الفهم لأنّ في أوّل استنارة القلب لرؤية الحقّ
 بالقرآن قبل تمكّنه يراه كفراً ويدفعه ويؤوّل له وهذا لا يهتدي إلى الحقّ أبداً مادام
 فيه هذا التعصّب لمذهبه الباطل .

والرابع أن يجد في تفسير آية تفسيراً ظاهراً و يعتقد أنّ المراد مقصور به ،
 وأنّ غير هذا المعنى تفسير بالرأي وهو محرّم .

فاذا عرف القارئ حقيقة القرآن وعظمته ، فلا بدّ أن يتدبّر في آياته وإذا
 تدبّر وتخلّى من موانع الفهم واستفهم لا بدّ أن يتجلّى له مرادات الله على حسب
 مقامه من الدين ، فإذا شرب من هذا المنهل كاساً أسكره ، وإذا سكر من تجلّيات
 المعارف الربّانية يتأثّر قلبه بآثار مختلفة باختلاف الآيات ، فيحصل له بحسب كلّ
 معنى حال ووجد ، لأنّه يرى كلّ آية كأنّه هو المخاطب بها ، أو نزلت في حقّه و

هو المخصوص بها ، فيتَّصف قلبه بحزن أو سرور ، أو خوف أو رجاء ، أو توكل أو تسليم ، أو رضا أو توحيد ، فيجيب الآيات بحسب حاله بعودة واستغفار ، واعتراف وتوبة ، و دعاء وشكر ، وتسبيح وتحميد ، وتهليل وتكبير ، بحسب أحواله الحاصلة له في تأثراته .

فإذا غلبه الخوف حصل له التبرّي من كلّ خير وسعادة مذكورة فيها لعباده الصالحين ، فيتعوذ من شقاوته إلى ربّه وإذا غلبه الرجاء يتشوّق إلى البلوغ لكلّ مقام سنيّ من مقامات الكاملين ، والعارفين والمقرّبين ، فيدعو الله أن يلحقه بهم ، وإذا اكتمل له هذه التأثيرات فلا بدّ أن ينتج له من بركات الوحي ونفحات الربّ ما يترقّى به حتّى كأنّه يرى الله متكلماً معه ، و مخاطباً إيّاه ، فكأنّه يشهد بقلبه أنّ الله يخاطبه بالطافه ، و يناجيه بانهامه وإحسانه ، فيكون حاله التعظيم والإصغاء والفهم والحياء .

ثمّ إن ساعده التوفيق لشكر هذه النعمة بما يليق بها واستقبال هذه النفحة كما هو حقّها زاد الله في إناعمه وأعطاه مقاماً آخر أعلى و أسنى فيكون حاله كأنّه يرى المتكلم في الكلام ، والصفات في الكلمات كما أشار إليه الصادق عليه السلام فيماروي عنه في توحيد الصدوق : «أنّ الله تجلّى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون» فيكون مقصور الهم على المتكلم ولا يبقى له نظر إلى نفسه ولا قراءته ، ولا إلى سائر الأحوال رزقنا الله وجميع المؤمنين بهذا المقام مقامهم وأنعم علينا بمثل حالهم بحقّ أوليائه المقرّبين وأحبّائه الفائزين صلوات الله عليهم أجمعين .

وأما شرائط الدعاء فبعضها تدلّ عليه العقل وبعضها تدلّ عليه النقل ، وبعضها تدلّ عليه الأمران ، فزشير أوّلاً إلى حقيقة الدعاء ، وهو في اصطلاحنا طلب الداني أمراً من العالي على جهة الخضوع والاستكانة ، فإذا كان حقيقته عبارة عن الطلب ، وهو أمر نفسانيّ علم أنّ الدعاء عن قلب لاه خارج عن حقيقته وإذا قيّدنا الطلب بالجهة الخاصة علم أنّ الخضوع والاستكانة شرط في تحقّقه ، وإذا لا يتحقّق الطلب

إلا بالرجاء ، علم أن الرجاء أيضاً شرط فيه .

وإذ المقصود منه في المقام الدعاء من الله وجب أن يعرف الداعي مدعوّه ، وإذ لا يتحقق الرجاء إلا بعد الفراغ من قدرة المدعوّ على الإجابة وإطلاعه على الداعي وعلى الحاجة ، اشترط اعتقاد القدرة والعلم في المسؤول تعالى وإذ كان الخضوع يتفاوت بالنسبة إلى العالين - بمعنى أن درجة من التذلل تعدّ خضوعاً بالنسبة إلى بعض العالين ولا تعدّ هذه الدرجة خضوعاً إلى أعلى منه - والله تعالى أعلى من كلّ عال ودعاؤه بدون إذنه مخالف لخضوعه .

وإذنه بل طلبه إلى دعائه إنّما ثبت بقوله تعالى : « وإذا سألك عبادي - إلى قوله - فليستجيبوا لي » وإنّ الطلب الحقيقي لا يتحقق إلا للخير الواقعي ، والعبد لا يعرف خيره من شرّه كما قال تعالى : « ويدعُ الإنسان بالشرّ دعاءه بالخير » وإن كان الخير الحقيقي الخالص من جميع وجوه الشرّ منحصراً في قربه ولقائه ، قال في مصباح الشريعة :

« وهو استجابة الكلّ منك للحقّ وتذويب المهجة لمشاهدة الربّ ، وترك الاختيار جميعاً فعلى الداعي أو لا أن يلتفت بأن يكون دعاؤه خيراً ولا يدعوا الله لما هو شرٌّ له وضرر في حقّه ، وأن لا ييأس من إجابته من دعواته إذا لم يظهر آثار الإجابة ، لاحتمال أن يكون ما طلبه في دعائه شرّاً له ، فيبدّله الله بخيره ، وهو لا يعلم ذلك ، ولا يسيّئ ظنّه بوعد الله الصادق الوعد للإجابة .

ولعمري إنّ هذا هو السرّ فيما يترأى ظاهراً من عدم استجابة دعاء الأخيار والله تعالى وعدهم صريحاً الإجابة وذلك لأنّ الله تعالى في غاية العناية لعباده الصالحين وعنايته إنّما تقتضي أن يمنعه عما يضرّه واقعاً وإن كان يعتقد فيه خيره وسعادته ، وهذا نظير قتل خضر عليه السلام فإن فرض أن أبويه من جهة جهلها كانا يعتقدان خيرهما في بقاء ولدهما ، ودعوا الله في ذلك والله تعالى يعلم أن في بقائه كفرهما وهلاكهما ، فإن إجابة دعائهما لبقاء ولدهما إنّما هو في قتل ولدهما لأنّ الداعي إنّما يدعو ويحبّ إتيان مقصوده من جهة أنّه خيره وأنّ فيه سعادته ، ودعاؤه للأُمور

الخاصة من جهة اعتقاده فيها ذلك ، والله تعالى إذا رأى أنه جاهل في ذلك ، و أن خيره في خلافه ، فاجابته الواقعية إنما هي باعطاء ما هو خير له واقعاً لا فيما يراه خيراً وفيه هلاكه ، وذلك معمول عند العقلاء فيما بينهم .

أما ترى أنك إذا تخيّلتم مثلاً السمّ الذي في الحقّة ترياقاً والترياق الذي في الكأس سمّاً و طلبت من أبيك ما في الحقّة لتشر به وتستشفى به وأبوك يعلم أنه سمّ فإنّ إجابته لك أن يعطيك من الكأس الذي فيه الترياق وإن تعتقده سمّاً و يمنعك عن السمّ الذي في الحقّة مع أنك تطلبه منه ، فإن أعطاك من الحقّة مع علمه بأنّه سمّ و أنّه مهلك لك تقول : طلبت من أبي ترياقاً وأعطاني سمّاً .

والله تعالى يعرف بعلمه المحيط بجميع جزئيات و خصوصيات حالات عبادِه أن حال عبده الغلاني بحيث لو أعطاه مثلاً ما يريده من المال كان مبعداً له من رضا ربّه و قربه ، و هو لا يعلم ذلك فيطلبه من الله تعالى فحقّ العناية أن تمنعه من ذلك المال و يبده بالفقر الذي يفرّ منه لأنّ المسكين إنّما طلب المال لما تخيّل فيه بجهله السعادة نظير تخيّلك أنّ ما في الحقّة ترياق ، والله تعالى يرى أن السعادة العظمى إنّما هي في الفقر ، و في المال شقاوة و هلاك ، فإن أعطاه الله المال مع علمه بأنّ فيه شقاوته ، و هو يطلبه بجهله بموضوع السعادة و الشقاوة ، لا يعدّ هذا العطاء إجابة، وإن أعطاه الفقر فهو إجابة في الحقيقة لأنّ الأوّل وإن وجد فيه صورة الإجابة ولكن روحها مفقود فيه ، وفي الثاني بالعكس، وهذا الذي ذكرناه أخذناه من الأخبار بل في بعضها أنّه تعالى من جهة عنايته بعباده المؤمنين ربما يبتليهم بالذنوب الصغير لئلاّ يبتلي بالعجب الذي هو أعظم منه فيهلك .

و كيف كان فالذي يفعله الله في حقّ المؤمن إنّما هو خير له ولو بالنسبة إلى حاله و خصوصيات شؤونه مع رعاية حكم الحكمة، فكلّ خير لا يخالف الحكمة و العدل ، و يقتضيه مع رعايتهما خصوصيات شؤن المؤمن فأنّه تعالى بعنايته يعطيه و إن لم يسأله .

فان قلت : فاذا كان الأمر على ذلك فما فائدة الدعاء ؟ وما معنى الاجابة ؟
أقول : أمّا فائدة الدعاء إنّما هو في تصحيح حكم الحكمة الالهية لأنّه قد
يصير حال العبد من جهة اقتضاء أحواله و أعماله بحيث يقتضي الحكمة الالهية منعه
عن الخير الخاصّ و إذا انضمّ الدعاء بأحواله يكون إجابته في ذلك الخير غير
مخالف للحكمة ، فيؤثّر الدعاء في بلوغه خيره ، مع أنّ للدعاء فوائد عظيمة غير
الاجابة .

و كيف كان فمن الشرائط المروية قطع الطمع عن غير الله والرجاء إلى الله
كما يدلّ عليه قوله تعالى : « وادعوه خوفاً وطمعاً » .
وكما يدلّ عليه الحديث القدسيّ المرويّ في الكافي وغيره من الكتب المعتمدة
عن أبي عبد الله ، عن آبائه عليهم السلام ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّ الله أوحى إلى بعض أنبيائه
في بعض وحيه :

« وعزّتي وجلالي و مجدي و ارتفاعي على عرشي لا قطعنّ أمل كلّ مؤمل
غيري باليأس ، ولا كسونه ثوب المذلّة عند الناس ، ولا تحيّنّه من قربي ، ولا بعدنّه
من وصلي ، أيؤمل غيري في الشدائد و الشدائد بيدي ، ويرجو غيري ويقرع [بالفكر]
باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة ، و بابي مفتوح لمن دعاني ، فمن ذا
الذي أمّلني لنوائبه فقطعته دونها ؟ و من ذا الذي رجاني لعزيمة فقطعت رجاءه
منّي ؟ »

جعلت آمال عبادي [كلّها] عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي ، وملاّت سماواتي
ممن لا يملّ من تسبيحي ، وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثّقوا
بقولي .

ألم يعلم من طرقة نائبة من نوائبي أنّه لا يملك كشفها أحد غيري ، أفيراني
أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثمّ أسأل فلا أجيب سائلني ؟! أبخيل أنا فيبخلني عبدي ؟ أو
ليس الجود والكرم لي ؟ أو ليس العفو و الرحمة بيدي ؟ أو لست أنا محلّ الآمال ؟

فمن يقطعها دوني؟ أو لم يخش المؤمنون أن يؤمّلوا غيري؟ فلو أن أهل سماواتي وأرضي أمّلوا جميعاً ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي عضو ذرّة، وكيف ينقص ملك أنا قيّمه؟ فيابؤساً للقانطين من رحمتي، ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني.

وفي الحديث القدسي: «أنا عند ظنّ عبدي بي فلا يظنّ بي إلاّ خيراً».

قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة».

عن الصادق عليه السلام: «إذا دعوت فظنّ حاجتك بالباب» ❖ وفي رواية أخرى:

«وأقبل بقلبك وظنّ حاجتك بالباب» ❖.

و روي أنّه لما استعاث فرعون إلى موسى حين أدركه الغرق ولم يعثه أوحى الله إلى موسى لم تغث فرعون لأنك لم تخلقه ولو استعاث بي لأغثته وقضيّة قارون وعتاب الله على موسى في عدم استعاثته معروفة.

اعلم يا أخي أنّ الذي يدلّ عليه الأخبار أنّه ما ظنّ أحد بالله ظناً حسناً إلاّ عامله بما ظنّ، ولكن قد يغترّ الأكثرون، ويحسبون عدم المبالاة في الدين حسن الظنّ بالله، والعاقل لا يغترّ، فإذا قال له الشيطان: إنّ معصيتك من حسن الظنّ بمغفرة الله، يطالبه بالدليل، ويقول [لنفسه]: لو كان الأمر كما تقول فكيف لا تحسن الظنّ في أمر رزقك وهو أنزل في ضمانه قرآناً وأكّده بالقسم، وإن كان ظنّك بعناية الله ولطفه وكرمه فليس هذه الصفات مختصة بالأمر الأخرويّة فقط وإذا اعتقدت كرمه في أمور دنيائك فكيف تضطرب عند فقد أسباب الرزق، ولا تركز إلى كرمه؟ ومن أين هذه الغصص والهموم لأجل الحوائج، فلو كان لك أب مليء ذوعناية لك وضمن لك رزقك، هل ترضى بضمانه وتطمئنّ بقوله أم لا؟ هل ترى عناية الله أقلّ من عناية أبيك، أو تخاف عدم قدرته، أو تحتمل أن ييخل عنك؟ أو لم تؤمن أنّه أرحم الراحمين، أقدر القادرين، أجود الأجودين.

و روي أنّ الله إذا حاسب الخلق يبقى رجل قد فضّلت سيئاته على حسناته

فتأخذه الملائكة إلى النار وهو يلتفت ، فيأمر الله برده فيقول له : لم التفت - وهو أعلم به - فيقول : يارب ما كان هذا ظنّي بك ، فيقول الله تعالى : ملائكتي ! وعزّتي وجلالي ما حسن ظنّه بي يوماً ولكن انطلقوا به إلى الجنة لادّعائه حسن الظن .

ومن الشرائط أن لا يظلم أحداً في ماله وعرضه :

في الحديث القدسي : « منك الدعاء و عليّ الاجابة فلا تحجب عني دعوة إلا دعوة آكل الحرام » .

وعن النبي ﷺ : « من أحب أن يستجاب دعاؤه فليطيب مطعمه ومكسبه » . وفيما وعظ الله به عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام : قل لظلمة بني إسرائيل : لا تدعوني و السحت تحت أقدامكم ، و الأصنام في بيوتكم ، فانّي آليت أن أجيب دعوة من دعاني فانّ إجابتي إيّاهم لعن حتّى يتفرّقوا .

وعن النبي ﷺ قال : أوحى الله إليّ أن : يا أخا المنذرين ، يا أخا المرسلين أنذر قومك لا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولا أحد من عبادي عند أحد منهم مظلمة ، فانّي ألعنه مادام قائماً يصلّي حتّى يردّ تلك المظلمة ، فأكون سمعه الذي يسمع به ، و بصره الذي يبصر به ، ويكون من أوليائي و أصفياي ، و يكون جاري مع النبيّين و الصّدّيقين والشهداء في الجنة .

و روي في ردّ دعاء الاسرائيليّ أنّه كان يدعو بلسان بنديّ ، و قلبه غير تقّيّ و نيّة غير صادقة .

وعن النبي ﷺ : « مثل الذي يدعو بغير عمل كمثّل الذي يرمي بغير وتر » . وعن الصادق عليه السلام أن الله لا يستجيب دعاءً بظهر قلب ساه ، فاذا دعوت فأقبل بقلبك ، ثمّ استيقن بالاجابة .

وعنه عليه السلام : أن الله لا يستجيب دعاءً بظهر قلب قاس .

و روي أيضاً أنّه أربعة لا يستجاب لهم دعوة : رجل جالس في بيته و يقول : اللهمّ ارزقني ، و رجل دعا على امرأته ، و رجل أعطاه الله مالاً فأفسده ، و رجل أدان

ماله رجالاً ولم يشهد عليه فججده ، و زاد في بعض الروايات الدعاء على الجار ، و أن لا يسأل محرماً أو قطيعة رحم .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : يا صاحب الدعاء لاتسأل ما لا يكون ولا يحل .
وإذا تخلّى عن هذه الأوصاف فليمدد أسباب الاجابة مثل الطهارة ، والأوقات الخاصة ، و الأحوال الخاصة ، والصلاة والصوم البكاء .

روي أن بين الجنة والنار عقبة لا يجوز منها إلا البكاؤون من خشية الله .
وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أن الله تعالى أخبرني فقال : وعزتي وجلالي ما أدرك العابدون درك البكاء عندي شيئاً فأنني لأبني لهم في الرفيق الأعلى قصراً لا يشار كهم فيه غيرهم .

وروي : ما من عين إلا وهي باكية يوم القيامة إلا عين بكت من خشية الله ، و ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا حرّم الله سائر جسده على النار ، ولو فاضت على خده لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة ^(١) ، وما من شيء إلا وله كيل أو وزن إلا الدمعة فإن الله يطفئ باليسير منها بحاراً من النار ، و لو أن عبداً بكى في أمة لرحم الله تلك الأمة ببكاء ذلك العبد والأخبار في ذلك كثيرة جداً .

والتحميد والتمجيد ، قال الراوي لأمر المؤمنين عليه السلام كيف نمجّد ؟ قال :
تقول : « يا من أقرب إليّ من حبل الوريد ، يا من يحول بين المرء و قلبه ، يا من هو بالمنظر الأعلى وبالأفق المبين ، يا من ليس كمثله شيء » - وفي بعضها غيرها .
و أن يدعو الله بأسمائه المناسبة لدعائه ، و أن يذكر جملة من نعم الله عنده ، و يشكره ، ثم يذكر ذنوبه فيقرّ ثم يستغفر منها ويتلبّث في دعائه ، و يترك الاستعجال ويلج فيه فإن الله تعالى يحب السائل اللجوج ، وأقلّ الالتحاح أن يكرّر دعاءه ثلاث مرّات ويسمّي حاجته ، و يسرّ في دعائه لبعده عن الرياء ، و إجابة لقوله تعالى :
« وخفية » و روي أن دعاء السرّ يعدل سبعين دعوة في العلانية .

و يعمّم في دعائه لأنّه أوجب للدعاء كما روي ، و أن يدعو مع الاجتماع

(١) ولا فاضت على خده فرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة ، ظ .

أفضله أربعون ، و بدله أربعة يدعو كل واحد منهم عشر مرات ، وعند الضرورة يدعو الواحد أربعين مرة ، و يتضرع في دعائه بقلب خاضع ، و بدن خاشع ، و يتملق و يتبصبص .

و روي أنه كان فيما أوحى الله إلى عيسى على نبينا وآله وعليه السلام : يا عيسى ادعني دعاء الغريق الحزين الذي ليس له مغيث ، أذل لي قلبك و أكثر ذكري في الخلوات ، واعلم أن سروري أن تبصبص إلي ، و كن في ذلك حياً ولا تكن ميتاً و أسمعني منك صوتاً حزيناً .

و فيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام : يا موسى كن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً و جللاً ، و غفراً وجهك في التراب ، و اسجد لي بمكلام بدنك ، و اقنت بين يدي بالقيام و ناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل - إلى أن قال - وأمت قلبك بالخشية ، و كن خلق الثياب جديد القلب ، تخفى على أهل الأرض و تعرف في السماء ، جليس البيوت ، مصباح الليل ، واقنت بين يدي قنوت الصابرين ، رصح من كثرة الذنوب صياح الهارب من العدو ، واستعن بي على ذلك فأنني نعم العون و نعم المستعان .
وأن يصلي على محمد وآله أو له و آخره ، روى محمد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام :
« ما في الميزان شيء أثقل من الصلوات على محمد وآل محمد » .

روى هشام بن سالم ، عن الصادق عليه السلام : « لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلي على محمد وآل محمد » .

وعنه عليه السلام : من كانت له إلى الله حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآل محمد ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد فإن الله عز وجل أكرم من أن يقبل الطرفين ، و يدع الوسط ، إذ كانت الصلاة على محمد وآله لا يحجب عنه .
أقول : أمر الصلوات عظيم و هي من شؤون السيادة ، فكما أن الله لا يقبل الإيمان إلا بالاقرار بهم و ولايتهم ، صلوات الله عليهم ، فكذلك أمر الدعاء و الصلوات .

وليعلم أن الصلوات أيضاً مثل غيرها من الأعمال لها صورة و روح ، و روحها

أن يعرف شأنهم و مقامهم من الله تعالى ، وأنهم الوسائل والشفعاء ، و أن الله لا يقبل أحداً إلا بالتوسّل بهم ، وأنهم عليهم السلام أولى به حقيقةً من نفسه ، و ركن هذه المذكورات المعرفة الجزئية الحقيقية المؤثّرة في العمل بأولويتهم ، فإذا تحقّقت المعرفة المؤثّرة ، وصلى العبد عن هذه المعرفة واحدة صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله عشرّاً بل و أزيد إلى ما لا نهاية له و [إذا] وقعت في الدعاء استجيب له .

وأن يقبل على مولاه الرؤوف الرحمن الرحيم بقلبه ، بل و روحه و سرّه ، و يطهر قلبه عن غيره ، و لا سيّما الأفكار الدنيّة التي ينجس القلب و يقذّر الروح ، من الأفكار المحرّمة و المكروهة و المباحة ، و لا سيّما من هموم الدنيا و همّ خوف المكروه ، و الظنّ السوء على الربّ جلّ جلاله و عدم الركون إلى مواعيده ، فإنّها مهلكة لقلب المؤمن ، بل مورثة لإعراض الله جلّ جلاله عنه « ذلكم ظنكم الذي ظننتم برّبكم أرديكم » لما فيه من ضعف الايمان ، و سوء الأدب مع الربّ و طاعة الشيطان « و الشيطان يعدكم الفقر و الفحشاء » .

وأن يقدّم الدعاء ، و يدعو في الرخاء قبل الوقوع في الشدّة و البلاء ، لأنّ له شأناً من الشأن ، و الدُّعاء بعد الوقوع في الشدّة قليل النفع ، و أن يدعو لآخوانه المؤمنين قبل دعائه لنفسه ، أو مع نفسه ، و تقديمهم في الذكر أولى ، ولكن يكون ذلك من منشاء الولاية و المحبّة ، لا بالتكلّف من أجل سرعة الإجابة ، و هو قليل النفع .

فالعمدة و المؤثّر الحبّ في الله ، و لعمرى إنّ في القرآن و الأخبار لنا كيداً عظيماً في ذلك و في الأخبار الموثّقة : هل الايمان إلا الحبّ في الله و البغض في الله . و في الأخرى أنّ أوثق عرى الايمان الحبّ في الله . و في الأخرى أنّ الله جلّ جلاله يدخل بين يدي المتصافحين و يصافح من هو أحبّ لصاحبه من صاحبه له .

روي أنّ المؤمن إذا دعا لأخيه المؤمن بظهر الغيب ناداه ملك من السماء الدنيا : و لك يا عبد الله مائة ألف ضعف ممّا دعوت ، و يزيد الملك الثانية و هكذا

يزيدون كل مائة ألف ضعف ، فينادي الملك السابعة : لك سبع مائة ألف ضعف ،
ثم يناديه الله عز وجل أنا الغني الذي لا أفقر يا عبدالله لك ألف ألف ضعف ممّا
دعوت .

ويعجبني أن لا أخلي هذا المختصر من ذكر رواية حسن بن يقطين وإن كانت
معروفة حباً لعمل هذا العامل الموالي المحبّ المجاهد المواسي ، وفيها أنه كتب
الصادق عليه السلام لرجل من كتاب يحيى بن خالد والي أهواز في حقّ هذا الحسن في
رقعة صغيرة : بسم الله الرحمن الرحيم إن الله في ظلّ عرشه ظلاً لا يسكنه إلا من نفس
عن أخيه كربة أو أعانه بنفسه أو صنع إليه معروفاً ولو بشقّ تمرّة ، وهذا أخوك
والسلام .

قال: فلمّا رجعت إلى بلدي صرت إلى منزله -أي الوالي- ليلاً فاستأذنت إليه
وقلت : رسول الصادق عليه السلام فإذا أنا به قد خرج إليّ حافياً سلّم عليّ و قبّل ما بين
عيني ثم قال : أنت ياسيدي رسول الصادق عليه السلام مولاي ؟ فقلت : نعم ، قال : فقد
أعتقني من النار إن كنت صادقاً .

فأخذ بيدي وأدخلني منزلاً وأجلسني في مجلسه وقعد بين يدي ثم قال :
ياسيدي كيف خلفت مولاي ؟ قلت بخير فقال : الله ، قلت : الله -حتى أعاد ثلاثاً- ثم
ناولته الرقعة فقرأها و قلبها على عينيه ثم قال : يا أخي مرّاً مراك ، فقلت في جريدتك
عليّ كذا وكذا ألف درهم ، وفيه عطبي وهلاك ، فدعا بالجريدة فمحا عنّي كلّ
ما كان فيها ، و أعطاني براءة منها ، ثمّ دعا بصناديق ماله ، فناصرني عليها ، ثمّ دعا
بدوابّه فجعل يأخذ دابةً ويعطيني دابةً ، ثمّ دعا بغلمانّه فجعل يعطيني غلاماً ، و
يأخذ غلاماً ، ثمّ دعا بكسوته فجعل يأخذ ثوباً ويعطيني ثوباً حتّى شاطرني جميع
ملكه ، فيقول : هل سررتك ؟ فأقول : إي والله وزدت على السرور .

فلمّا كان الموسم قلت ما كان هذا الفرح يقابل شيئاً أحبّ إلى الله ورسوله
من الخروج إلى الحجّ والدعاء له والمصير إلى مولاي وسيدي الصادق عليه السلام وشكره

عنده وأسأله الدعاء له فخرجت إلى مكة وجعلت طريقتي إلى مولاي ﷺ فلمّا دخلت عليه ، رأيت السرور في وجهه ، فقال لي : يا فلان ما كان من خبرك مع الرجل ؟ فجعلت أورد عليه خبري و جعل يهّل وجهه ويسر السرور ، فقلت : يا سيدي هل سررت بما كان منه إليّ فقال : إي والله سرّني ولقد سرّ آبائي والله لقد سرّ أمير المؤمنين ﷺ ولقد سرّ رسول الله ﷺ والله لقد سرّ الله في عرشه .

وفي الخبر : من مشى في حاجة أخيه و لم يناصره بكلّ جهده فقد خان الله و رسوله و المؤمنين .

و فيه : من قضى لأخيه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله تسعة آلاف سنة صائماً نهاره ، قائماً ليله .

وحدث الحسين بن أبي العلاء قال : خرجنا إلى مكة نبيّفاً و عشرين رجلاً فكنت أذبح لهم في كلّ منزل شاةً فلمّا أردت أن أدخل على أبي عبد الله ﷺ فقال : واهأ يا حسين أو تذلل المؤمنين ؟ قلت أعوذ بالله من ذلك فقال : بلغني أنك كنت تذبح لهم في كلّ منزل شاةً ؟ قلت يا مولاي والله ما أردت بذلك إلّا وجه الله تعالى فقال ﷺ : أما كنت ترى أن فيهم من يحبّ أن يفعل مثل فعلك ولا يبلغ مقدّرتة ذلك ، فيتقاصر إليه نفسه ؟ قلت يا بن رسول الله - صلى الله عليك - أستغفر الله ولا أعود .

أقول : هذه [الأخبار] تكفي للإشارة و إلّا ففي هذا المقام أخبار تملأ الكتب و تحيّر العقول .

وأن يرفع كفيّه بدعائه وقد كان رسول الله ﷺ يرفع يديه إذا ابتهل و دعا كما يستطعم المسكين ، و سئل الصادق ﷺ عن الدعاء و رفع اليدين فقال : على خمسة أوجه : أمّا التعوّذ فتستقبل القبلة بباطن كفيك ، و أمّا الدعاء في الرزق فتبسط كفيك فتفضي بباطنهما إلى السماء و أمّا التبتّل فايماؤك بأصبعك السبابة و أمّا الابتهال فترفع يديك تجاوز بهما رأسك ، و أمّا التضرّع أن تحرّك إصبعك السبابة ممّا يلي وجهك وهو دعاء الخيفة .

و روي عنه عليه السلام في الرغبة : تبسط يديك و تظهر باطنهما ، وفي الرهبة تبسط يديك و تظهر ظهرهما وفي التضرع تحرّك السبابة اليمنى يميناً و شمالاً و في التبتّل تحرّك السبابة اليسرى ترفعها في السماء رسلاً و تضعها رسلاً و في الابتهال تبسط يديك و ذراعيك إلى السماء . قال : وهكذا التضرع و حرّك إصبعه يميناً و شمالاً ، وهكذا التبتّل يرفع إصبعه مرّة و يضعها أخرى ، وهكذا الابتهال : ومدّ يديه تلقاء وجهه و قال : لا تبتهل حتّى تجرى الدمعة .

وفي رواية: الاستكانة في الدعاء أن يضع يديه على منكبيه .
هذا كلّهُ في الدعاء جالساً و قائماً و يمكن أن يكون حال السجدة في بعض الأحوال أفضل كما ورد بالخصوص في بعض الأدعية و ورد : أقرب حالات العبد من الله جلّ جلاله إذا كان ساجداً ، وهي صورة أسنى الحالات و المقامات ، وهو مقام الفناء في الله .

وفي مصباح الشريعة : لا يبعد عن الله تعالى أبداً من أحسن تقرّب به في السجود وفيه أيضاً : وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب و السرّ و الروح فمن قرب منه بعد من غيره ، ألا ترى في الظاهر أنّه لا يستوي حال السجود إلّا بالتوازي من جميع الأشياء ، والاحتياج عن كلّ ما تراه العيون ، كذلك أراد الله أمر الباطن . فمن كان قلبه في صلاته متعلّقاً بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله .

أقول : قد مضى في أخبار فضائل الشهر إيضاء النبي صلى الله عليه وآله بطول السجود ، وهو أمرهم ، و هو أقرب هيئات العبوديّة ، ولذا جعل في كلّ ركعة مرّتان و غيره مرّة واحدة ، وقد نقل عن أئمتنا عليهم السلام ، وعن خواصّ شيعتهم في طول السجود أمر عظيم و قدعدّ للسجّاد عليه السلام في بعض سجّداته ألف مرّة : لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً إلى آخره ، وأنّ الكاظم عليه السلام يقرب طول سجوده من أوّل اليوم إلى صلاة الظهر و نقل عن ابن أبي عمير و جميل و خرّبوذ ما يقرب من ذلك .

وكان لي شيخ جليل أيام تحصيلي في النجف الأشرف ، وكان مرجعاً لا تقيا ، طلبه زمانه في التربية و سأله عما جرَّبه من الأعمال البدنية في تأثير حال السالك إلى الله فذكر أمرين :

أحدهما أن يسجد في كلَّ يوم و ليلة سجدة واحدة طويلة ، ويقول فيها : « لا إله إلا أنت سبحانك إنِّي كنت من الظالمين » يقصد بذلك أن رُوحه مسجونة في سجن الطبيعة ، ومقيّدة بقيود الأَخلاق الرذيلة ، وإنِّي بأعمالي جعلت نفسي مسجونة في هذا السجن ، ومقيّدة بهذه القيود ، وأنزّه ربِّي من أن يكون هو الذي فعل بي ذلك ظمناً ، وأنا الذي ظلمت نفسي ، وأوقعتها في هذه المهالك .

وكان يوصي أصحابه بهذه السجدة وكان كلُّ من يعمل بها يعرف تأثيرها في حالاته لاسيما من كان طول سجوده أكثر ، و كان بعض أصحابه يقول ذلك ألف مرّة ، و بعضهم أقلّ ، و بعضهم أكثر ، وسمعت أن بعضهم يقول ثلاثة آلاف مرّة . وأن يتختّم بخاتم فيروزج أو عقيق ، وقد ورد أن الله تعالى قال : إنِّي لأستحيي من عبد يرفع يده وفيها خاتم فيروزج ، فأردّها خائبة .

وعن الصادق عليه السلام : مارفعت كفٌّ إلى الله عزّ وجلّ أحبُّ إليه من كفٍّ فيها خاتم عقيق .

أقول : للتختّم فائدة لا أجوز ذكرها وإن لم يكن ذكرها من محلّ كلامنا وهو أن الإنسان قلّ ما يكون خالياً من المعاصي الدائمة فينبغي أن يختار من الطاعات أيضاً ما يكون دائمة ليناسب تكفيرها و التختّم منها .

و منها الصدقة قبل الدعاء كما روي ذلك و في الرواية : « استنزّلوا الرزق بالصدقة » .

و ينبغي أيضاً أن يختار من الأوقات لدعائه وحوائجه المخصوصة وهي كثيرة منها ليلة الجمعة ويومها .

و روي عن الباقر عليه السلام : أن الله تعالى لينادي كلَّ ليلة جمعة من فوق عرشه من أوّل الليل إلى آخره : ألا عبد مؤمن يتوب إليّ من ذنوبه قبل طلوع الفجر

فأتوب عليه، ألا عبدٌ مؤمن - هكذا ذكر عدة حوائج إلى أن قال - فلا يزال ينادي هذا حتى يطلع الفجر .

وروي أن الله يؤخر قضاء حاجة عبده المؤمن إلى يوم الجمعة .

وعن النبي ﷺ : يوم الجمعة سيّد الأيام وأعظمها عند الله ، وأعظم من يوم الفطر ويوم الأضحى - إلى أن قال - : فيه ساعة لا يسأل الله عز وجل فيها أحد شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً - إلى أن قال - : وفي نهار الجمعة ساعتان ما بين فراغ الخطيب من الخطبة إلى أن يستوي الصفوف بالناس ، وأخرى من آخر النهار ، وروي : إذا غاب نصف القرص .

ومنها ما بين الظهر والعصر من يوم الأربعاء للدعاء على الكفار . ومنها العشاء الآخرة ، وروي أنها لم يعط لأحد من الأمم قبلكم . ومنها السدس الأول من النصف الثاني من الليل ، روى عمر بن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن في الليل ساعة ما يوافق فيها عبد مؤمن يصلي ويدعو الله فيها إلا استجاب له قال : قلت : أصلحك الله أي ساعة الليل هي ؟ قال : إذا مضى نصف الليل ، وبقي السدس الأول من أول النصف الثاني .

و عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه خرج داود في هذه الساعة و قال : هذه ساعة لا يد عوف فيها أحد إلا استجيب له إلا فلان .

ومنها آخر الليل إلى طلوع الفجر و قدّر بالثلث الأخير و في الرواية : قال رسول الله ﷺ : إذا كان آخر الليل يقول الله سبحانه وتعالى : هل من داع فاجبيه ؟ هل من سائل فأعطيه سؤله ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من تائب فأتوب عليه . و في أخرى : يا طالب الخير أقبل و يا طالب الشر أقصر و في رواية : إذا نام حتى طلع الفجر بال الشيطان في أذنيه فاعتبروا يا أولي الأبواب .

أقول : و [إن] للسيد الجليل ابن طاوس قدس الله سره العزيز - الذي كان يقول شيخه قدس سره أنه ما جاء مثله في علم المراقبة في الأمة من طبقة الرعية - في هذا المقام جواباً عمله للمراقبين أن يقولوا مخاطباً لهذا المنادي ، وهو في نفسي أمر عظيم ،

وسنة حسنة ، و هو فيما علمنا أوّل من سنّ هذه السنّة الفاخرة جزاه الله خيراً ، و من خصائصه . نظير ما حكى عنه أنّه جعل يوم بلوغه عيداً تعظيماً لتشريف الله جلّ جلاله إيّاه في هذا اليوم بخلع التكليف ، ولعمري إنّ هذا أيضاً أمر عظيم ، ومراقبة جليّة مهمّة لم نسمعها من أحد من علمائنا المجاهدين ، وهو ما رواه عنه في عدّة الدّاعي وهو قوله: اللهمّ إنّني قد صدّقت - إلى أن قال - مرحباً بك أيّها الملك الخ . و منها ما بين الطّلوعين وبطنّي أنّه مختصّ بدعاء الرزق .

و منها ليالي القدر الثلاث من شهر رمضان وأفضلها ليلة الجهنّيّ و ليالي الإحياء و هي أوّل ليلة من رجب ، و ليلة النصف من شعبان ، و ليلة العيدين ، و يوم العرفة و العيدين .

و منها وقت هبوب الرياح ، و نزول المطر ، و زوال الأفياء ، وأوّل قطرة من دم القتل المؤمن ، فإنّ أبواب السّماء تفتّح عند هذه الأشياء .

روي : إذا زالت الشّمس فتحت أبواب السماء ، و أبواب الجنان ، و قضيت الحوائج العظام ، فقلت من أيّ وقت فقال : بمقدار ما يصلّي الرجل أربع ركعات مترسّلاً ، و من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس .

وأن يختار الأمكنة الشريفة مثل رأس الحسين عليه السلام ومطلق تحت قبّته كما ورد أنّ فيها يستجاب الدعاء ومثل سائر الأزمنة الشريفة و الأمكنة الشريفة فإنّها لا بدّ أن يكون أقرب للإجابة من غيرها ، وإن لم يرد فيها شيء بالخصوص .

وقد روي عن الرضا عليه السلام أنّه ما وقف أحد بتلك الجبال مشيراً إلى المواقف الشريفة من مكّة ونواحيها - إلّا استجيب له أمّا المؤمن فيستجاب له في أخراه ، و أمّا الكافر فيستجاب له في دنياه ، واختصاص عرفات يوم العرفة معروف ، وهكذا الحالات الشريفة كحال الرقّة والمكّة .

و الصلوات المكتوبة ، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله ﷺ من أدّى لله مكتوبة فله في إثرها دعوة مستجابة ، قال ابن الفحام، رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في النوم فسألته عن الخبر فقال : صحيح ، إذا فرغت من المكتوبة فقل : وأنت

ساجد: اللهم إني أسألك بحق من رواه وبحق من روي عنه صل على جماعتهم وافعل بي كذا وكذا .

وعن الصادق عليه السلام: أن الله تعالى فرض عليكم الصلوات في أحب الأوقات إليه فاسألوا الله حوائجكم عقيب فرائضكم .
أقول : وهذه الرواية إنما دللت على أن الدعاء في أحب الأوقات أقرب إلى الإجابة كما ذكرنا .

ومما ورد فيه الدعاء ، [بعد] الوتر وبعد الفجر والظهر وبعد المغرب وروي: يسجد بعد المغرب ويدعو في السجود، وروي: يسجد بعد الوتر ويدعو لأربعين من المؤمنين، وروي في أغلب الأعمال المستحبة في الأيام والليالي الشريفة لاسيما الصلوات المستحبة فيها الدعاء بعدها .

أقول : هذه الجملة كافية لغرضنا في هذا الكتاب من الإشارة إلى الشرائط والمهم من ذلك كله أن يستقصي السالك في تصحيح الشرائط الباطنية كل الاستقصاء ويبالغ فيه بكل جهده وهو الإيمان بأن الضرر والنافع هو الله ، والإيمان بعنايته وأن الله خير وأبقى ، وأن لاخير في الوجود إلا بولاية الله وقربه ولقائه ، وينحصر مطلوبه في ذلك أو فيما يرجع إليه حتى أن هذا المؤمن لا يلتذ من نعم الله إلا من جهة أنه من الله بل لا يرى في النعم إلا نسبتها إلى الله ، فيكون نفسه وعقله وروحه مشغولة عن الدنيا بحمده وثنائه هذا .

ودوام هذا الحال عزيز جداً لا يبلغه إلا واحد بعد واحد من أهل المعرفة ، ولكن الغالب لأصحاب اليمين النظر إلى الأسباب ، ولكن الأولى لهم أيضاً أن يكون مسبب الأسباب أهم عندهم فلا يطلبوا غيره إلا معه ، ولا يخلو دعاؤهم للدنيا عن ضميمة دعاء القرب والرضا واللقاء ، وإن قصر درجته عن ذلك فلا أقل من ضميمة المغفرة والجنة ، فيكون موافقاً لما حكى الله من الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وإن فاته ذلك في بعض دعواته فليكن أغلبها وأهمها في

نفسه ولسانه تقديم الله جلَّ جلاله على غيره والآخرة على الدنيا .
والمهم بعد ذلك تحصيل حال الرقة والبكاء والخضوع والخشوع ، وإظهار
الذل من الجلوس على التراب ، وكشف الرأس ، والتمرغ في التراب ، والسجود
ومسح الوجه على الأرض ، وغل الأيدي إلى الأعناق ، والتلطّف مع الله الرحمن
الرحيم في ألفاظ الدعاء ، وذكر صفاته الموجبة للاجابة ، ممّا علّمنا أمّتنا ﷺ
في أدعيتهم ، هذا .

ومن مراقبات^(١) شهر رمضان بعد تطهير القلب بالتوبة الصادقة تطهير المطعم و
المشرب ، بل والملكان واللباس ، بل وكلّ ما يتقلّب فيه الصائم بالتخميس ، فإن الله
رضي في تطهير المال بالخمس كما ورد في الأخبار فالأولى أن يحاسب في نفسه ذلك
أول الشهر و يعطي خمسه حتّى يكون تقلّباته وقوته من الحلال .
ثم إنَّ الأخبار إنَّما استفاضت في أنَّ شهر رمضان أوّل السنة وأنّه إذا سلم
سلمت السنة ، أقول : من كان أهل اليقظة يرى تأثير أعماله في أحواله وإراداته و علم
أنَّ لعمله في شهر رمضان من جهة كونه أوّل السنة ، وتقدير الخير والشرّ فيه ،
تأثيراً عظيماً في جميع أموره ، لاسيّما أرزاقه وأجله ، وتوفيقه للخيرات والعبادات
وهكذا لليوم الأوّل منه في باقي الشهر ، ولذا يتأكّد عند أهله الاهتمام بما ورد
فيه من الأعمال لاسيّما الدعاء الطويل المختصّ بهذا اليوم الذي رواه في الأقبال
عن التلعكبري بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام فأنّه دعاء جليل جامع لجميع مطالب
الدين والدنيا والآخرة .

والأهم أن يجتهد في تحصيل شرائط الدعاء ، و يؤدّي حقّ هذا الدعاء ،
ولعمري إنّه لا يعرف حقّ هذا الدعاء أحد إلاّ و يكثر جدّه و اهتمامه لتكميل
شرائطه والإخلاص فيه ، و يعرف قدر منّة من علّمنا هذا الدعاء وأمّاله ، ويعرف
قدر نعمة الله علينا بهم - صلوات الله عليهم - ولو لم يكن تعريفهم وتعليمهم لنا من أين
كنّا نعلم حقّ أدب المخاطبة مع الله جلَّ جلاله و مواقع رضاه في مكالمته ومناجاته

و طلبه ، و كَيْفِيَّةُ شكره ، بل من أين علمنا مقدار قصورنا و تقصيرنا في رعاية مراسم عبوديته بل بقينا في مهوى عوالم الجهل والضلال ، و هلكنا مع الهالكين من البهائم و الأنعام .

ثم إنَّ أُلزم لوازم الدعاء ، و أوجب واجباته أن يعلم ما يقول ، و لا يكون حاله وصفته مخالفاً لما يشافه به ربّه في هذا الموسم العظيم ، و المقام الجليل ، فيكون كاذباً في دعواه أو غافلاً أو كالمستهزء مع مولاه ، فإنّ ذلك في حكم العقل قريب من الكفر ، بل حقيقته كفر بالله العظيم ، فإنّ الذي هو عالم بمكنون السرائر ، و أسرار الضمائر ، إذا خاطبه عبده بهذه الاعترافات و التضرّعات التي أودعوها في هذا الدعاء من قوله ﷺ : يا من نهاني عن المعصية فعصيته فلم يهتك عني ستره عند معصيته إلى آخره ، و يرى قلبه و سرّه و عمله كلّه مخالفاً لما يقول ، و متّصفاً بغير حقيقة الاعتراف و يكون معتقداً لنفسه بالصلاح و العدل مع مولاه ، أو غير راض في قلبه عن معاملة مولاه معه ، أو متّصفاً بغير ما يلزم هذا الاعتراف من الذلّة و الانكسار ، و التملّق و الاحتقار ، ماذا يقتضي حكم العقل باستحقاق هذا المناجي الغافل أو الكاذب أو المستهزء ؟ .

فأخف هذه الأحوال الثلاثة في الجناية و الشقاء حال الغفلة ، فما ترى في عبد دعاه سيّدَه إلى ضيافته ، و مجلس كرامته ، مع أوليائه الأطهار ، و أرسل إليه من يعرفه حقّ أدب حضوره و مناجاته ، فحضر هذا العبد ، و أوقف نفسه موقف المناجاة و التكلّم معه ، فاشتغل في حضوره عنه بقلبه بعدوّه و النّفكر في طاعة هذا العدوّ و استغرق قلبه في هذا الفكر بحيث أسكره عن فهم معاني مخاطباته مع سيّدَه و مولاه فما يستحقّ في حكم عقلك هذا الضالّ الأضلّ من الأنعام في جواب هذه المخاطبات ؟

فلو قيل له : أما تستحيي أيّها الضالّ المستخفّ بكرامة ربّه من أن تواجهني في مثل هذا المقام بما لا ترضى أن يواجهك به أحد من العالمين ، بل لا ترضى أن

يواجه به عدوك في حضوره ، أما كنت تخجل وتستحيي عن مثل هذا التهوين مع أمثالك من عبيدي ، فأين حياؤك من تهوينك إياي بما [لا] تهون به عبيدي الأذلاء ؟ أما وجدت أهون مني عليك حيث لا تهتم في معاملتي بأن لاترجح عبيدي علي ، و تجتنب عن سوء معاملتهم بما ترتكب معي ، و أنا أقول : سبحان هذا الربّ الحليم الكريم ، كيف و لو لا حلمه لأخذنا بهذا التهوين أخذ عزيز مقتدر ، و عدنا في سفلى دركات المعدنين ، فطرنا عن بابه أبداً بدين ، و جعلنا في مهوى عوالم السجين .

ثم إن هذا القسم من الأقسام الثلاثة هو الغالب على الناس في دعائهم وبعده القسم الثاني و هو أن يعتقد لنفسه مقاماً من التقوى ، و لا يكون راضياً عن معاملة ربه ، و يكون كاذباً في اعترافه بتقصير نفسه وفضل ربه .

وأما القسم الثالث فهو المستهزء فلا أظن أن يوجد ذلك في المسلمين .

ثم إن هذا الذي ذكرنا من بعض ما نستحقّه في حال غفلتنا في مناجاة ربنا إنّما هو قضية حكم العقل والعدل ، وأما ما يعامل به ربنا من فضله بدل ما نستحقّه بعدله ، فهو ما ذكره الامام عليه السلام بأنه لا يهتك سترنا ، و لا يسلب عافيتنا ، و لا يزيل نعمته عنا ، و لا يستدرجنا ويكتم سيئاتنا ، و يظهر محاسننا ، و يعاملنا معاملة من أطاعه ، و لا يكلنا إلى غيره ، و لا يغلق عنا باب التوبة ، و يقيل عثراتنا ، و يدعونا إلى دعائه ، و يعدنا الاجابة ، و يغضب لمن يعيرنا بمعصيته ، و ينهى المؤمنين عن هتك محارمنا مع هتكنا حرمة ، و لا يجبس عنا عطيتنا ، و لا يخذلنا ، و لا يخرجنا من كفايته ، إلى آخر ما ذكره وأشار إليه إجمالاً من حسن صنيعه ، و كريم معاملته .

ثم انظر في قوله عليه السلام : « أنا من حبك جائع لا أشبع ، أنا من حبك ظمآن لا أروى » هل فيك أثر من حبه فضلاً عن أن تكون كالجائع الظمآن ، فإن محبه يكون لا محالة مشتاقاً إلى لقاءه ، و لذا قال عليه السلام بعد ذلك : « واشوقاه إلى من يراني ولا أراه » والمشتاق لا يسكن ولا يرتاح حتّى يصل إلى من يشاق إليه .

فبالجملة : التلفّظ سهل لا مؤنة فيه ، و لكنّ الاتّصاف بحقيقة ما يتلفّظ به أمر صعب ، والعمل بمقتضاه أصعب ، فإنّ المحبّين له تعالى كما أشار إليه ﷺ قبل ذلك : «هم الذين لم يرضوا بصيام النهار ، و مكابدة الليل ، حتّى مضوا على الأسنّة قدماً ، فحضبوا اللحاء بالدماء ، و رمّلوا الوجوه بالثرى» فهل ترى أثر ذلك في نفسك ؟ فان كنت تراه فهنيئاً لك و طوبى ، و إن كنت ممّن يثقل عليه الصّيام و القيام فضلاً عن المضيّ إلى الأسنّة ، فلا تجترأ على الكذب على مولاك ، و مالك آخرتك و دنياك ، في مقام المناجاة .

ثمّ إنّ أهمّ ما على السالك أن يراجع في أوّل ليلة من الشهر خفيّره و حاميه من المعصومين ، و يتوجّه إلى الله جلّ جلاله بوجهه و وجهه المضيّ ، الوجه عند ربّه لأنّ وجهه خلق مظلم لا يليق بالتوجّه إلى مقدّس حضرت ربّه الجليل الجميل جلّ جلاله ، و يبسط معه المقال في الاستشفاع و التوسّل و الاستجارة ، و يزيد في التضرّع و الابتهاال ، حتّى يقبلوه و يشفعوا له ، و يرغبوا إلى الله جلّ جلاله في قبوله و توفيقه بما يحبّ و يرضى ، فأنّه كريم لا يردّ الكرام ، لاسيّما هؤلاء الأولياء الذين جعلهم أبواباً لرحمته ، و مناراً في خليقته ، و أدبهم بالكرامة ، و أمرهم بالإجارة .

و بالجملة يمكن له أن يحصل بتلطف ساعة في التوسّل إليهم سعادة لا ينالها بعبادة سنة ، فاعتنم الفرصة و قل بعد السلام ، و عرض التحيّة و الشاء و الاكرام : أنت ياسيدي في هذه الليلة حامى الأئمة و خفيّهم ، و أكرم الخلائق ، تحبّ الضيافة و مأمور من الله جلّ جلاله بالإجارة ، عبدك ضيف الله و ضيفك ، و جار الله و جارك فأجر عبدك و أضفه ، و اجعل قرأى منك الليلة أن تدخلني في همّك و حزبك ، و دعائك و حمايتك ، و شفاعتك و ولايتك و شيعتك .

وارغب إلى الله لي في كرم عفوه ، و قبوله و رضاه ، و أن ينظر إليّ بنظرة رحيمة يرضى بها عنّي رضا لا سخط عليّ بعده أبداً ، و يلحقني بشيعتك المقرّبين ، و أوليائكم السابقين ، فأنّه لا يردّ شفاعتك ، فإنّ لك عند الله شأناً من الشأن ، و قدراً من القدر ، فبحقّ هذا الشأن الذي جعل الله لك يامولاي أسألك أن تسمح في حقّي

بما سألتك ، و تريدني بمقدار كرامتك ، ولا تنظر ياسيدي إلى حقارتي و ذلّ مقامي و سوء حالي ، فإنّ الكرام لا يعظم عليهم في قرى ضيفهم شيء من العطايا ، ولا يقدّرون كرامتهم و عطاياهم بقدر الضيف السائلين ، فإنّ العطاء بقدر المعطي ، والقرى بقدر المضيف .

سادتي أنتم الذين علّمتم الكرام آداب الكرامة ، و الأجواد شيم الجود و السماحة ، إن ذكر الجود كنتم أوّل و آخره ، وأصله و فرعه و منتهاه ، وإن قيل الكرم فأنتم معدنه و مأواه لا يردّ سائلكم و لا يخيب آملكم .

سادتي أنتم الذين قلتم : مثل المعروف مثل المطر ، يصيب البرّ و الفاجر ، فلا تمنعوني سحائب رأفتكم ، فليصبني أمطار جودكم ، فأنني من جودكم جائع ، و من كرمكم ظمآن ، لا ترضوا لضيفكم أن يبيت في محاكم جائعاً ظمآن .

فأنت يا مولاي متى مامنعتني قراك ، بتّ طاوياً في محاك ، و وصلت إلى الهلاك حاشاك من هذه المعاملة مع ضيفك ثمّ حاشاك .

و بالجملة يجمع كلّ حواسّه في استقصاء التلطّف ، في الاستشفاع و التوسّل و الاسترحام و التبتّل ، و يجدّ بكلّ جهده في الاستعطاف و الاسترضاء ، حتّى يستوفي بعمل ساعة سعادة سنة ، و يفوز بجهد قليل بفضل جليل ، ثمّ يؤكّد في كلّ يوم و ليلة في المغرب و الصبح هذا التوسّل مع خفرائه بتجديد السّلام ، و الاسترحام ببعض ما ذكرناه هنا .

ثمّ إنّّه ينبغي للسالك أن يتروّى في حاله ، و يتأمّل في نشاطه و كسله ، و شغله و فراغه ، و قوّته و ضعفه ، بالنسبة إلى النوافل و المستحبّات و يختار منها بعد مراعات حاله الأفضّل فالأفضّل .

و من جملة ذلك ما ورد في الأخبار الكثيرة من زيادة النوافل في هذا الشهر بألف ركعة فإن رأى العمل بالنسبة إليه أحسن ، فهنيئاً له في توفيقه بذلك ، و لكن لا يترك الدعوات الواردة فيها ، فإنّ فيها مضامين عالية بعضها لا يوجد في غيرها من

الدعوات ، وليكن في ذلك حياءً وصادقاً فيكون حظّه من قراءتها المناجاة ، مع قاضي الحاجات ، لا مجرد التفوّه بالألفاظ ، فان حصل له حقيقة ما يقوله ، و يصف من حاله ومقامه في هذه الدعوات ، فطوبى له وحسن مآب ، فانّ العبد إذا اتّصف قلبه بحال مثلاً يدعوفيه لنفسه الويل ، ويذكر [من] ويله وثبوره: أنّ ذنوبه بحيث لو علمت بها الأرض لا تلمعته ، ولو علمت بها الجبال لهدّته ، ولو علمت بها البحار لأغرقتة كما ذكر ذلك في بعض الأدعية فانّ ذلك حالٌ أظنّ أنّه لو حصل لبليس لأنجاه ، وكيف بمسلم أو مؤمن ؟ لاسيّما إذا كان خوفه واضطرابه من سخط مولاه أشدّ من اضطرابه من عذاب النار كما يذكّر بعد هذه الفقرات ، فهذا حالٌ سنيّ لا يوجد في قلب إلاّ وربّه عنه راض ، وهكذا غيرها من المضامين الفاخرة التي أودعوها في هذه الدعوات ، فانّها مئارات وحالات وصفات للنفس والقلب يحييهما وينجيها من الهلكات ، ويوصلهما إلى سنيّ الحالات وعالي الدرجات .

ثمّ إنّ العامل إن كسل في بعض الأوقات ، ولم يكن له نشاط للعمل ، فله أن يراقب حاله ، فان ظنّ من حاله أنّه لو اشتغل بالعمل - ولو بالتعمّل - يورث له الحال ، فليشتغل ولا يترك حتّى لا يتمكّن الخبيث من نفسه ، فانّ الانسان إن ترك العمل بمجرّد الكسل ، فانّه ينجس ذلك إلى الترك الكلّي ، و لكن يتأمّل و يجتهد في حاله فان رآه بترك عمل يزيد شوقه إليه فيما يأتي فليترك ولا يعوّد نفسه بالعمل عن الكسل ، و إن رأى أنّ تركه يورث تركاً آخر فليعمل ولا يترك ، و كثيراً ما يدخل السالك في العمل بالضجر و الكسل ، ثمّ يحسن حاله في الأثناء فوق الأمل ، وله أن لا يخطئ في اجتهاده في ترجيح الترك على العمل فانّ الكسل في النفس أحلى من العسل ، و ذلك قد يعميه عن معرفة حقّ الواقع هذا .

ومن مهمّات الأعمال في هذا الشهر القراءة و الدعاء و الذكر ، فليقدّر العامل لنفسه من كلّ واحد منها ورداً ويرجّح منها ما يزيد في نشاطه للعبادة ، ويؤثّر في قلبه فكراً و نوراً ، فلا يترك غيره رأساً و لكن يرجّح بذلك ترجيحاً في الزيادة و

الاكثر ، وليكن ممّا يختاره من الدعوات في أوّل الليل ما ورد بعد الصلوات وأوّل له : « يا عليّ يا عظيم » ودعاء الافتتاح وفي الأسحار ما أوّل له : اللهمّ إنّي أسألك من بهائك بأبها ، ولا يترك دعاء أبي حمزة وليقرأه بقدر نشاطه وكسله في جميع الليالي أوغباً و من أدعية النهار يقرأ في كلّ يوم بعضها ، ولا يترك في الجعمات الصلوة المروية و يكثر في دعواته دعاء توفيق ليلة القدر وليلة الفطر .

و من مهمّات الدعوات الدعاء لوليّ أمره ، وخليفة ربّه ، بقيّة الله في أرضه وحبّته على بريّته ، إمام زمانه - أرواحنا وأرواح العالمين فداه - خلال ليله ونهاره وليقل في دعائه : « اللهمّ أرنا فيه وفي أهل بيته ، وشيعته و رعيّته ، وعامّته وخاصّته ما يأمل ، و في أعدائه ما يحذرون ، و منّ علينا بطاعته و رضاه ، و ألحقنا بشيعته المقربين ، وأوليائه السابقين ، وصلّ عليه و على آباءه الطاهرين ، بجميع صلواتك يا أرحم الراحمين .

ويدعو ويستغفر لأبويه ولعلميه وإخوانه في الله ولا قربائه وجيرانه ، و لمن له عليه حقّ ، ولجميع المؤمنين ، و أشرّهم في دعواته لنفسه .

ثمّ إنّ من مهمّات أعمال الشهر الغسل في أوّل ليلة منه ، وفي الليالي المفردة وفي أوّل يوم منه وفي الرواية : من اغتسل في أوّل ليلة من شهر رمضان في نهر جار و يصبّ على رأسه ثلاثين كفّاً من الماء طهر إلى شهر رمضان من قابل . وروي : أن من اغتسل في أوّل يوم من السنة في ماء جار و صبّ على رأسه ثلاثين غرفة ، كان دواء سنة ، وروي أن : من ضرب وجهه بكفّ ماء ورد ، أمن ذلك اليوم من المذلة والفقر و من وضع على رأسه من ماء ورد أمن تلك السنة من البرسام فلا تدعوا ما نوصيكم به .

أقول : ولعلّ بعض الناس يثقل عليه تصديق أمثال هذه الأخبار ممّا لا طريق للعقول إلى حكمها ؛ و وجه الجهل بخواصّ الأفعال و الحركات ، لاسيّما فيما ليس يرى كثيراً ، وإلاّ فأيّ فرق بين ما يرى من عمل النار وتأثيراتها في العالم يقبله الناس ولا يتعجبون منها وبين تأثيرات الأفعال .

وهكذا أي فرق بين تأثيرات حركات الأفلاك و حركات أعمال العباد ، إلا أن الأول من جهة كثرة استماعها لا يتعجب منها العامة ، و الثانية من جهة ندرة العلم بها و قلة استماعها لا يألفها الطباع فتتعجب منها ، فان أعجب العجاب من هذه الأمور تأثيرات حركات الألفاظ في العالم ، فما تقول العامة في تأثير حركة شفة سلطان بكلمة واحدة تقتل النفوس ، و تهرق الدماء ، و تخرب البلاد ، و تضع الأموال و قد يبقى آثارها في العالم إلى انتضاء الأبد ، وأنت يا مسكين كيف تعرف لمسه بنور جعله الله جل جلاله فيك ، و لا تتعجب منه ، و الأنبيا أيضاً إنما يعرفون لمسه بنور جعله الله فيهم ، يرون به خواص الأفعال و الحركات في عالم الانسان .

فللمصدقين للاديان و الأنبياء أن لا يرتابوا فيما يخبرهم النبي الصادق من خواص الأعمال ، فان الريب من شعب الكفر لا يجتمع مع الإيمان ، و المتعبد بأمثال هذه الأحكام التي خفي لمسها على العقول ، له فضل على المتعبد بالأحكام التي تعرفها العقول ، و هذه الأعمال أقرب إلى الاخلاص من غيرها ، و إياك أن تعود نفسك بالتسامح في أمثالها ، بل لك أن تكثر همك وجدك في التعبد بها أكثر مما يخالفها .

و كيف كان فالقرآن و أخبار الرسول ﷺ شاهدة لتأثير الطهارات في عوالم المكلف تأثيراً اقتضت الحكمة الالهية إيجاب بعضها و استحباب بعضها الآخر ، و ورد في بعض الأخبار أن لها نوراً في عوالم الغيب ينفع صاحبه ، لا سيما يوم القيامة ، و يعلم من بعضها أن لها صوراً خاصة كصور الأعيان بل الأشخاص ، تجيء يوم القيامة بهذه الصورة و تأخذ بيد صاحبها و تنجيّه من النار و من الهلكات ، و قد حكى عن بعض الكاملين أنه كوشف له في هذه الدنيا من نور وضوءه فرآه نوراً عظيماً جداً .

و بالجملة إن كنت مصداً لله و لا نبياؤه و كتبه و اليوم الآخر ، فكيف تعتقد ما أخبروه من أحكام عالم البرزخ ؟ فكذلك هذه الخواص فان أخبار متواترة بأن للأعمال و الحركات في عوالم الغيب صوراً و حياة و شعوراً تجيء و تذهب ، و تتكلم

وتشفع لصاحبها ، وتؤمنه من الأهوال ، وتصاحبه وتستأنس به ، هذا .
وأوقات الغسل على ما في الروايات أوّل الليل كما في بعضها ، وقبيل [وجوب] الشمس كما في الآخر و في بعضها بين العشاءين ، و في ليله الجهنيّ كما سيحيى ، غسلان في أوّل الليل و آخره ، هذا . وقد مضى فيما أسلفنا آداب قصد السالك في صومه وأنّ الأعلى من قصد الصوم ماذا ؟

وأما الإفطار فهو أيضاً يتفاوت بتفاوت درجات الصائمين :
فمن كان صومه من الماء كل و المشرب و بعض التروك الفقهيّة ، خوفاً من العقاب ، أو شوقاً إلى جنّة النعيم ، ورأى صومه تكليفاً له من الله جلّ جلاله ، لا بدّ من أن يكون إفطاره لدفع كلفة الجوع ، والخلاص من قيد التكليف ، أو لمجرّد شهوة الغذاء عند ارتفاع التكليف المتخيّل .

و من كان صومه عن كلّ ما حرّم الله جلّ جلاله من الأفعال و الحركات تحصيلاً لرضا ربّه ، و وصولاً إلى الدرجات العلى لا بدّ أن يكون إفطاره أيضاً من بعض ما صام عنه لاذن مولاه ، وامتنال أمره في الاستقواء للعبادات ، وتحصيل المعرفة والكمالات ، مع الالتذاذ من الماء كل و المشرب .

ومن كان صومه عن ذلك وعن كلّ ما يشغل عن الله من الأفكار الدنيّة ، و لو كان مباحاً من المباحات ، فافطاره أيضاً لله و في الله و بالله ، فافطار أهل هذه المرتبة الثالثة لا يتصور أن يكون للشهوة ، ولا زائداً عن حدّ القوت ، و لا شاغلاً له عن الحضور .

فانظريا مسكين ! أنّ إفطارك و أكلك من الحلال إذا كانت لمجرّد الشهوة إنّما يشبه أكل الحيوانات ، لا سيّما إذا أكثرتها منها ، و تكون أخسّ منها إذا كانت ذلك من الحرام ، وأما إذا كان لامتنال أمر الله و للاستقواء على العبادات ، و تحصيل قرب الله ، إنّما يكون مشابهاً لأعمال الأنبياء والأولياء ، والملائكة المقرّبين فاختر لنفسك ما يحلو ، فانّهم لو فرض لهم التذاذ عند الأكل من جهة الطبع فلا

يخلو التذاذهم أيضاً عن شوب القصود الفاخرة ، كما أنَّ نظرهم إلى هذه الدنيا ، و تنعمهم منها ، وتقلّبهم فيها أيضاً كلّها يخالف تقلّبات العامّة ، فانّهم مع كونهم في الدنيا و تنعمهم بنعمها بالضرورة مشغولون عنها وعن نعيمها بحمد الله وثنائه ، بمعنى أنّهم ينظرون إلى النعيم و لكن لا من جهة أنّها نعمة ، بل يرون فيها أنّها من الله بل يرون فيها المنعم ، ويلتذّون من هذه الوجهة .

ثمَّ إنّ السحور مستحبُّ شرعاً ، و روي : « تسحّروا ولو بجرع الماء . ألا صلوات الله على المتسحّرين » و يستحبُّ فيه زيادة على غيره من الذكر قراءة إنّا أنزلناه روي أنّه : « ما من مؤمن صام وقرأ إنّا أنزلناه عند سحوره و عند إفطاره إلا كان فيما بينهما كالمتشحّط بدمه في سبيل الله » و يقصد به استحبابه عند الله و التقوي على العبادات طول النهار .

ثمَّ إنّ من أهمّ^(١) الدعاء في شهر رمضان أن يكثّر الانسان دعاء توفيق عبادة ليلة القدر و ليلة الفطر ، من أوّل الشهر إلى وقت حضورهما ، فان صدق في الدعاء لا يردُّ الكريم تعالى دعاءه و يفوز بهذا الأمر العظيم الذي يليق للمؤمن بالقرآن الكريم أن يرتاض سنة كاملة بالاحياء والعبادات ، لتحصيل الاطمئنان بدرّكها ، كيف و القرآن صريح في أنّها خيرٌ من ألف شهر ، و ألف شهر أزيد من ثمانين سنة ، فمن عمل سنة و استفاد أجر ثمانين سنة فهو من الراجحين الفائزين ، و كيف للاهتمام بدعائه في أقلّ من شهر .

و بالجملة من لم يجد في نفسه اهتماماً لدرك ليلة القدر بهذا المقدار القليل أيضاً فهو مريض الايمان ، فليعالج إيمانه و نظيرها في لزوم الاهتمام ليلة الفطر و يومه لأنّه روي عن السجّاد عليه السلام أنّه كان يقول : ليس ذلك بدون الليلة يعني ليلة القدر ، و ذووا الهمم العالية كان همّهم أن يكشف لهم في هذه الليلة عمّا تنزل من السماء إلى الأرض من الملائكة و التقديرات ، و كيف لنا أن نهتمّ لتوفيق عبادتها ، و لو لم نعلمها بالخصوص .

(١) في الاصل : [من أهميات] .

وقد روي للوصول إلى معرفتها : قراءة سورة الدخان في كل ليلة مائة مرة إلى ليلة الجهنمي ، وفي الأخرى : قراءة سورة القدر ألف مرة بدلها إلى هذه الليلة .

وروي لدرك فضيلة ليلة القدر في الاقبال رواية وهي وإن لم يثبت اعتبارها إلا أنها من أجل عظمة أمرها ينبغي أن يعمل بهار جاء لصحتها وثبوتها في الواقع وهي ما رواه عن ابن عباس أنه قال : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن رأى ليلة القدر ! فقال له : يا ابن العباس أعلمك صلاة إذا صليتها رأيت بها ليلة القدر كل ليلة عشرين مرة وأفضل ، فقال علمني - صلى الله عليه وسلم - فقال له : تصلي أربع ركعات في تسليمة واحدة ، ويكون من بعد العشاء الأولى ، ويكون قبل الوتر ، في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة والجحد ثلاث مرات ، والتوحيد ثلاث مرات ، وإذا سلمت تقول : ثلاث عشر مرة : أستغفر الله . فوَحَقَّ من بعثني نبياً من صلى هذه الصلاة وسبَّح في آخرها ثلاث عشر مرة واستغفر الله ، فإنه يرى ليلة القدر كما صلى بهذه الصلاة و يوم القيامة يشفع في سبعمائة ألف من أمتي ، و غفر الله له و لوالديه إن شاء الله .

أقول : لم يعلم المراد من الرواية صريحاً ويمكن أن يكون المراد أنه يحصل له من الثواب ما يعادل أفضل من لذّة رؤية ليلة القدر عشرين مرة ، نظير ما روي أن ثواب تسبيحة خير من ملك سليمان ، فلا يبقى استبعاد و أما إن كان المراد أن ثواب هذه الصلاة أفضل من ثواب ليلة القدر أزيد من ثواب عبادة ليلة القدر عشرين مرة كما فهمه صاحب الكتاب الذي نقل عنه السيّد قدس سره هذه الرواية فهو مستبعد .

فان قلت : و ما معنى رؤية ليلة القدر و ما معنى لذّته ؟

قلت : رؤية ليلة القدر كما أشرنا إليه سابقاً عبارة عن كشف ما يقع فيها من نزول الأمر إلى الأرض كما يكشف لامام العصر عليه السلام في الليلة .

وإن أردت لهذا الاجمال توضيحاً مّا فاعلم أن الله تعالى بين عالمي الأرواح و الأجسام عالم يسمّى عالم المثلّ والبرزخ ، وهو عالم بين العالمين ليس مضيّقاً مظلماً مثل عالم الأجسام ، ولا واسعاً نيّراً مثل عالم الأرواح ، لأنّ عالم الأرواح مجرد عن كدر المادّة ، وضيق الصورة و المقدار ، و عالم الأجسام مقيّد بالمادّة و الصورة ، وعالم المثلّ مجرد عن المادّة ومقيّد بالصورة والمقدار ، وهو مشتمل على عوالم كثيرة ، و كلّ موجود في عالم الأجسام فله صور مختلفة في هذه العوالم المثلّية غير هذه الصورة التي في عالم الأجسام ، و كلّ ما في هذا العالم إنّما يوجد بعد وجوده في العالمين الأوّلين بنحو وجود يليق بهما ، بل كلّ موجود في عالم المثلّ إنّما ينزل إليه من خزائن الله التي أشار في القرآن إليها بقوله تعالى : « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه » و كلّ جسم وجسمانيّ في هذا العالم إنّما ينزل إليه من عالم المثلّ بتوسّط ملائكة الله .

و الذي يدلّ عليه الأخبار أن أحكام كلّ سنة من تقدير أرزاق موجودات هذا العالم وآجالها ، ينزل إلى الأرض في ليلة القدر ، وينكشف ذلك لمن هو خليفة الله في الأرض في هذه اللّيلة ، ويسمّى انكشاف نزول الأمر بتوسّط الملائكة له رؤية ليلة القدر ، و لذّة هذا الكشف و مشاهدة نزول الأمر و الملائكة إنّما يعرفهما أهلها و لعلّ ذلك من قبيل ما روّئي لإبراهيم الخليل من ملكوت السماوات و الأرض .

ولكلّ إنسان نصيب كامل من هذه العوالم مخصوص به ، وأغلب الناس غافلون عن عوالمهم المثلّية ، وغافلون عن غفلتهم أيضاً ، وكذلك عن عوالمهم الروحانيّة إلاّ من من الله عليه بمعرفة النفس ، و معرفة عالم المثلّ في طريق معرفة النفس ، لأنّ حقيقة النفس من عالم الأرواح ، فمن كوشف له حجاب المادّة عن وجهه وروحه ونفسه ورأى نفسه مجردة عنها في عالم المثلّ يسهل له الانتقال إلى حقيقة روحه المجردة عن الصورة أيضاً ، وهذه المعرفة للنفس هو المراد من قوله ﷺ : « من عرف نفسه

فقد عرف ربّه « ووجه ارتباط معرفة النفس بمعرفة الرب لا يعرفه إلا من وفق لهذه المعرفة ، وهذا المقدار من البيان كاف فيما نحن بصده من تعريف ما يزول به الانكار والاستبعاد ، لدرك حقيقة ليلة القدر للعاملين العابدين ، لأجل تحصيل الشوق اللازم للوصول ، هذا .

ومن مهمّات أعمال هذا الشهر إفطار الصائمين ، وقد سمعت أجرة ذلك في خطبة النبي ﷺ والأهم في ذلك أيضاً إخلاص النية والتأدّب بأدب الله جلّ جلاله ، وأن لا يكون باعته على ذلك إلا تحصيل رضاء ، لا إظهار شرف الدنيا ، ولا شرف الآخرة ، ولا التقليد ، ولا رسوم العادات ، ويهتم في تخليص عمله من هذه القصود ، ويختبرها ببعض الكواشف ، ولا يطمئن من تلبيس الهوى والشيطان ، ويكون في ذلك مستمداً من الله جلّ جلاله ، في أصل إفطاره ، وفي تعيين من يفطره من المؤمنين ، وفيما يفطر به من الطعام ، و كيفية معاملته مع ضيفه ، فإن ذلك كلّه يختلف كفيّات مع القصود ، ويعرف أهل اليقظة مداخل الشيطان فيها ، فيجتنب عمّا يوافق أمره ، ويتّبع ما يوافق لأمر مولاه ، ورضا مالك دينه ودنياه ، فيفوز بقبوله ومثوباته فوق آماله ومناه .

و هكذا يهتم في إخلاص قصده بقبول دعوة الغير للإفطار ويجتهد في ذلك ، وقد ينتفع المخلص من قبول دعوة مؤمن وحضور مجلسه وإفطاره معه بما لا ينتفع غيره من عبادة دهر من الدهور ، ولذا كانت همّة الأولياء على تخليص الأعمال لتكثيرها اعتباراً من عمل آدم وإبليس وقد ردّت من الخبيث عبادة آلاف سنين ، وقبل من آدم توبة واحدة مع الاخلاص ، وصارت سبباً لاجتبائه واصطفائه .

ثم إنّ من مهمّات الأعمال في هذا الشهر لأهل العلم أمر الإمامة والوعظ ، ومجمل القول فيهما أنّه إن كان العالم من الأقوياء والمجاهدين ، الذين جاهدوا أنفسهم مدّة ، وعرفوا بطول الجهاد خفايا مداخل الشيطان ، وتلبيسات الهوى ، فله أن لا يتركهما رأساً لما فيهما من اهتمام الشرع ، لاسيّما الوعظ فإنّه لا يفيد فائدته شيء

من الأعمال الحسنة ، بل لاشيء من الأعمال إلا وهو من نتائجه ، ولو تعرّضنا لاستقصاء فوائدهما ، و بسط القول فيهما ، لخرجنا عما يقتضيه الكتاب ، بل للعالم أن يجتهد جداً في إخلاص النية ، و الصدق في الاخلاص ، فان آفاتهما أيضاً لا يقصر في الكثرة عن فضائلهما و فوائدهما .

فان رأى بعد المراقبة الكاملة أن باعته خالص في أمر ديني فليعمل ، و إن رآه بالعكس أو مشوباً أولم يحرز الاخلاص و الرّيب ، فليترك و يشتغل بتحصيل الاخلاص والصدق ، ولو صدق في تحصيل الصدق في الاخلاص لهداه الله إليه بحكم : «ومن جاهد فينا لنهدينهم سبلنا» و من أراد أن يعلم أن إمامته خالصة لله ، فليختبر ذلك ببعض الكواشف .

ومن طريقه أن يلاحظ نفسه و ميله إلى الامامة ، هل هو من جهة حبّ الجاه و عزّة الامامة ؟ أو من جهة أمر الله ورضاه ؟ فان وجد ميله إلى الامامة في صورة قلّة المأمومين أو قلّة العالمين بامامته أنقص ، أو رأى أن رغبته إلى إمامة الأعيان والأشراف و السلاطين أزيد من غيرهم ، يعلم من ذلك أن قصده إمّا خالص في الجاه أو مشوب به ، و لو سوّل له نفسه و شيطانه و قال : إن ميلك إلى زيادة المأمومين من جهة زيادة الثواب ، و من جهة ترويح أمر الدين و تعظيم شعائر الله ، وهكذا رغبتك إلى كون المأمومين من الأشراف و السلاطين إنّما هو من جهة [ترويح] أمر الجماعة و تعظيم شعائر الله فلا تعتزّ بمجرّد هذه الوسوسة حتّى تلاحظ صدق قصدك في تحصيل زيادة الثواب .

ويعلم ذلك أيضاً بأن تفرض أن إمامتك لواحد واثنين إذا اتّفق كونها من جهات شتّى أقرب إلى رضا الله و أزيد ثواباً من إمامة ملاء من الناس ، فهل يزيد رغبتك و ميلك في هذه الصورة إلى هذه الجماعة القليلة على إمامة العامة أم لا ؟ وهكذا يعلم صدق قصدك إلى ترويح الدين و تعظيم الشعائر إذا فرضت أن ذلك يحصل بغيرك أزيد ممّا يحصل بك ، لاسيّما إذا فرضت ائتمامك به ، فهل يتفاوت رغبتك في الترويح و التعظيم ، مع ما فرضته بإمامتك أم لا ؟ .

ولو سؤل الوسواس في ذلك أيضاً بأن رغبته في الترويج بامامة نفسك من جهة رغبته في أن تفوز أنت بهذه العبادة لا غيرك لأن هذه العبادات مما يتسابق بها العابدون ، فالتطمئن فيه أيضاً حتى تختبر صدق ذلك أيضاً بأن تفرض أن ائتمامك بغيرك إذا صار سبباً لهذا التعظيم و الترويج فهل تزيد رغبته إلى الائتمام على الإمامة .
وبالجملة الأمر في الاخلاص والصدق فيه أدق من الشعر ، وقد يخفى على العاملين في مدة متمادية ثم يعرض أمر يصير سبباً لارشاده .

وحكي عن بعض سادة العلماء أنه كان يأتهم ثلاثين سنة لإمام في الصف الأول وعرض له بعد ثلاثين سنة مانع عن الصف الأول ، فقام في الصف الثاني و رأى في نفسه كأنه تخجل ممن يراه في الصف الثاني فتبين له بذلك أن مراقبته في هذه المدة الطويلة للصف الأول إنما كانت مشوبة بجهة المراياة فقضى صلوات هذه المدة كلها .

وانظر يا أخي إلى هذا العالم المجاهد ، وتأمل في رتبته من المجاهدة ، كيف لم تفت صلاة الجماعة والصف الأول عنه في هذه المدة الطويلة ، ولم يتصد للإمامة وانظر لقضائه صلوات ثلاثين سنة بهذه الشبهة ، وتقطعن من ذلك إلى عظمة الأمر و شدة اهتمام السلف في الاخلاص والمجاهدة .

ويعلم من ذلك حكم الوعظ أيضاً ويختص أمر الوعظ بآفات كثيرة دقيقة جداً وهي جل آفات اللسان التي عجز عن الاحتراز عنها العظماء ، فالتزموا السكوت . وحكموا بترجيح السكوت على الكلام مطلقاً مع أن الكلام أشرف منه قطعاً ، حيث إن بالكلام نزل الخير كله وثبت وتحقق ، وبالكلام يجري الخير في البرية .

و بالجملة ينبغي للمجاهد أن يراقب أولاً في موعظته كل ما أشرنا إليه في الإمامة من مراتب الاخلاص والصدق فيه ، ثم يراقب زيادة عليها في آفات كلامه حتى لا يقع في الكذب على الله ، والقول بغير علم ، و تزكية النفس ، وإيهام على الفضيلة ، وإغراء بالجهل ، وإثارة الفتنة ، وبعث على القتل والنهب والأسر ، و سائر وجوه المضار على المسلمين ، وإضلال في العقائد ، ولوبان يبين مثلاً شبهات إبليس

وجوابها ولا يعقل المستمع الجواب ، فيقع في الضلال فيكفر ، والتجاوز في التخويف والترجئه بما يحصل للمستمعين القنوط والغرور ، أو يذكر ما يقع به المستمع في الغلو ، أو يسيء عقيدته في الأنبياء والأئمة ، وهتك الأعراض لاسيما الخواص و غيبة السلف والافتراء على الأنبياء ، والأوصياء والعلماء ، وتبغيض الخير والشرع والعبادات والعلوم والعلماء والأنبياء والله جل جلاله على العباد بتشديد الأمر وتنفيرهم بحمل ما لا يتحملون ثقله وإثارة الشر بحكاية أفعال الفساق والأشرار ، وتعليم الناس بعض الحيل الشرعية المرجوحة ، والتدلل في المنابر لاسيما إذا كانت بمروءة ومسمع من النسوان والتصريح بالقبائح فعلا وقولا .

وقد سمع عن بعض الواعظين أنه: كان يعلم كيفية الاستبراء على المنبر بالفعل من فوق الثياب ، وعن بعضهم: يسب من يعمل المعاصي بالفحش القبيح، وهذه كلها من آفات الوعظ وفيه آفات كثيرة غير ذلك .

بل للواعظ أن يراقب بعد ذلك كله تكميل مراتب الاخلاص والصدق فيه . قوله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » .

وبالجملة يعظ أولا نفسه ويتعظ ثم يعظ الناس بالرفق والمداراة والحكمة ، وإن لم يكن للمستمعين خصوصية ، يزيد لهم جانب الترهيب والانذار ، وإن وجد فيهم من يضره ذلك ، فلا بد أن يمنع من الحضور أو يراقب حاله .

وقد حكى عن زكريا على نبينا وآله وعليه السلام أنه كان إذا حضر يحيى على نبينا وآله وعليه السلام في مجلس وعظه يترك ذكر النار والعذاب والانذار ، وهكذا قد يكون المستمعون من المنهمكين في المعاصي الذين يضرهم ذكر بعض أخبار الرجاء ، وعظيم كرمه ، وكثير حلمه ، فإن ذلك يهلكهم .

وبالجملة يكون حاله مع المستمعين حال الأب الحكيم ، في تربية أولاده بما يصلحهم ويقيمهم لا بما يضرهم ويهلكهم ثم إن المفيد والمؤثر من الوعظ ما يكون بالفعل والعمل ، لا بالقول المجرد ، وقد يكون شدة مخالفة عمل الواعظ مع قوله

سبباً لجرعة المستمع على المعاصي ، وموجباً لسلب اعتقادهم من العلماء ، بل الأنبياء عليهم السلام بحيث يخرجه من ذلك من الدين .

بل لا يذكر ما في بعض الأخبار من الثواب الكثير على العمل القليل الذي يعسر على العقل تصديقه إلا ويضم إليه من ذكر قدرة الله و ذكر لم هذا المقدار من الثواب على هذا العمل ما يزيل به إنكار العقل حتى لا يؤثر وعظه في إنكار الروايات أو إنكار الثواب والعقاب رأساً ، لا سيما في أمثال زماننا الذي كثر من الملاحظة إلقاء بعض الشبه والشكوك ، والإيرادات على عوام المسلمين لإخراجهم من الدين .

لا أقول لا يذكر رأساً بل أقول يضم إلى ذكره ما يرفع الاستبعاد العقلي ، مثلاً إذا حكى أن الله تعالى يعطي لمن صلى ركعتين بعدد كل حرف من قراءته قصرأ في الجنة من اللؤلؤ والزبرجد ، يقول معه في رفع الاستبعاد : انظروا إلى عالم الخيال الذي أعطي لكل إنسان من دون عمل وسؤال ، وجعله قادراً على أن يخلق في خياله في ساعة واحدة ألف مدينة من اللؤلؤ والله تعالى كما أنه قادر على خلق عالم الخيال كذلك قادر على أن يبدل ما في خياله بالأعيان الخارجية كما ورد ذلك في الأخبار لأهل الجنة من أنهم يوجدون كلما يريدون ، وليس ذلك إلا من قوة وجودهم وقدرتهم على جعل الصور أعياناً ، ولا استبعاد في إقدار الله عباده المؤمنين بذلك في عوالم الآخرة ، وقد جعل ذلك وأعطاه بعض عباده في الدنيا كما نراه في بعض أنبيائه وأوليائه عند إظهارهم .

أما سمعت تبديل الرضا صلوات الله وسلامه عليه صورة الأسد بالأسد الخارجي العيني وأمره له أن يأكل الخبيث وليس ذلك إلا من هذا القبيل .

و أما سمعت إقداره تعالى كلمه على تبديل العصا بالحية وإقداره روحه عيسى على إحياء الموتى وإقداره حبيبته نبيينا صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله و عليهم على شق القمر ، وإحياء الموتى ، وتكليم الحصى ، وشفاء المرضى ، وغير ذلك

من التصرف في الأكران بل الذي أنت عليه يا إنسان من القدره على خلق الصور الكثيرة والعظيمة في الدنيا في عالم النوم أو عالم الخيال لو دام و زال عنه بعض الموانع فهو بعينه نظير عالم الأعيان الخارجية .

ولو كان ماتراه في النوم دائماً وكان ما تراه في اليقظة أحياناً لا انعكس الأمر عندك وحكمت بما تراه في النوم بانها أعيان خارجية و لما تراه في اليقظة بانها أعيان خيالية ، فلا استبعاد من جهة القدرة ولا من جهة كرم الله تعالى بعد قدرته عليه بلا تكلف ، مع ما يرى من لطفه و كرمه مع خلقه من الكفار من العطايا والنعم الغير المحصورة واقعاً مع كفرهم و طول جحودهم وعنادهم معه و كيف بذلك لمن عرفه وآمن به وأطاعه .

وبالجملة إذا ضمّ الواعظ أمثال هذه المقدمات الى ما يصفه من هذه المثوبات ، يرتفع بذلك استبعاد العقول الضعيفة فلا يضرهم وعظه في دينهم .

وبالجملة فليقدّر الواعظ المستمعين مرضى بأمراض مختلفة روحانية ، ونفسه طبيباً معالجاً ، وأقواله و مواظبه أدوية و معاجين ، يريد معالجتهم بها ، فما يجب على الطبيب في علاج المرضى - لاسيماً إذا كانت أمراضهم كثيرة مختلفة صعبة العلاج مهلكة - من الاحتياط والمراقبة ؟ فليوجب على نفسه أزيد ممّا يجب على الأطباء في علاج الأمراض البدنية لأنّ أمر الرّوح أخفى وأشرف ، فهلاكها دائماً فخطره أعظم .

وله أن يذكر ذلك في تسليم نفسه وأعماله في يومه و ليلته على خفرائه من المعصومين عليهم السلام بالخصوص و يدعو الله في ذلك قبل شروعه مفصلاً ، ويستعين في أوّل شروعه بسم الله الرحمن الرحيم ويدعو بعد الحمد والصلاة إجمالاً ، ويتعوّذ من الشيطان والنفس ثمّ يشرع ويتحفّظ نفسه من الخطأ وإذا فعل ذلك وصدق في تسليم أمره إلى الله وأوليائه يحفظه الله يقيناً ، و يجعل كلامه وعظته نافعاً مؤثراً ونوراً وحكمة ، هذا .

و ليكن همّته في أن يحكم عقيدتهم في تعظيم أمر الدين ، و يحبب الله جلّ

جلاله وأنبياءه وأوليائه إلى قلوبهم ، ويكثر من نشر آلاء الله وتعظيم أمره ، وتشديد سخطه وشدّة عقابه ، ويعلم المستمعين حقّ أدب المراقبة مع الله جلّ جلاله وأنبيائه وأوليائه ، ويحدّثهم ويهديهم عن زهرة هذه الحياة الدنيا ، وزخرفها وزبرجها . ويكثر من ذكر أحوال المراقبين وخوفهم ، وعباداتهم ومراقباتهم ، وشوقهم إلى لقاء الله ، ومقام لطف الله بهم ، وشرف كراماته لهم وعظيم عطايه إياهم ، ويشير خلال كلماته إلى بعض مراتب المعارف من حقيقة العقائد الحقّة برفق وبيان سهل باصطلاح الأنبياء و يقرّ به إلى الأذهان بلطف البيان و ألفاظ معروفة في الدين مألوقة لأهله ، هذا .

و من مهامّ شهر رمضان ليلة القدر ، وهي ليلة هي خير من ألف شهر وقد ورد في الأخبار ما يدلّ على كونها خيراً من جهاد ألف شهر ، و كونها خيراً من سلطنة ألف شهر ، و كون عبادتها خيراً من عبادة ألف شهر .

وبالجملة هي ليلة شريفة يقدر فيها أرزاق العباد و آجالهم ، و سائر أمور الناس خيرهم وشرّهم ، وفيها نزل القرآن ، وهي ليلة مباركة بنص القرآن ، وفي أخبار أهل البيت عليه السلام أنّه ينزل الملائكة في ليلة القدر ، وينتشرون في الأرض ، ويمرّون على مجالس المؤمنين ، ويسلمون عليهم ، ويؤمنون على دعائهم إلى طلوع الفجر .

وروي أنّه لا يردّ في تلك الليلة دعاء أحد إلاّ دعاء عاقّ الوالدين ، وقاطع رحم ماسّة ، و شارب مسكر ، و من كان في قلبه عداوة مؤمن ، روى في الإقبال عن كنز البواقيت عن النبيّ ﷺ قال : قال موسى : الهي أريد قربك ، قال : قربي لمن استيقظ ليلة القدر ، قال : الهي أريد رحمتك ، قال : رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر ، قال : الهي أريد الجواز على الصراط قال : ذلك لمن تصدّق بصدقة في ليلة القدر ، قال : الهي أريد من أشجار الجنّة ، قال : ذلك لمن سبّح تسبيحة ليلة القدر قال : الهي أريد رضاك ، قال : رضي لمن صلى ركعتين في ليلة القدر .

وعن الكتاب المذكور عن النبيّ ﷺ أنّه قال : تفتح أبواب السماوات في ليلة

القدر ، فما من عبد يصلي فيها إلا كتب الله تعالى له بكل سجدة شجرة في الجنة ، لو يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، و بكل ركعة بيتاً في الجنة من در و ياقوت وزبرجد ولؤلؤ ، و بكل آية تاج من تيجان الجنة ، و بكل تسبيحة طائراً من طير الجنة ، و بكل جلسة درجة من درجات الجنة ، و بكل تشهد غرفة من غرفات الجنة ، و بكل تسليم حلة من حلل الجنة ، فإذا انفجر عمود الصبح أعطاه الله من الكواعب المؤلفات ، والجواري المهذبات ، والغلمان المخلدن ، والنجائب المطهرات والرياحين المعطرات ، والأ نهار الجاريات ، والنعم الراضيات ، والتحف والهدايا والخلع والكرامات ، وما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون .

ثم إن الذي يظهر من بعض الأخبار أن ليلة القدر مراتب ، واللييلة التي أشير إليها في القرآن ما يكون فيها آخر مراتب التقدير من الأمضاء الذي لا يغير ولا يبدل والذي يفهم منها أيضاً أن منها ليلة النصف من شعبان ، والتاسع عشر ، وإحدى وعشرين ، وثلاث وعشرين ، وأن الأخير أفضلها وهوليلة الجهنني ، وأنه الذي لا يبدل ما قد رفيها ، ويحتمل قوياً أن يكون السابع والعشرين أيضاً من ليالي القدر ، و الأقوى رواية وقولاً أن التي خير من ألف شهر ليلة الجهنني ، و من أراد الاحتياط فليجمع بين هذه الخمس ، وسائر الأقوال مرجوحة قولاً وسنداً فأعرضنا عن ذكرها لذلك .

ثم إن الذي ينبغي للمصدق بالدين ، وبنص القرآن المبين ، وأخبار حضرت سيد المرسلين ، وآله المعصومين عليهم السلام أن يجتهد في ليلة القدر بكل ما يقدر عليه من الوسائل ، و من الاجتهاد - طول سنته - أن يكثّر ويبالغ في الدعاء لتوفيقها ، وأن يرزق فيها أحب الأعمال إلى الله وأرضاها له ، وأن يجعلها له خيراً من ألف شهر ، وأن يقبلها منه كذلك ، و أن يكتبها في علمين ، ويربّيها له إلى يوم لقائه ، وأن يكتبه في هذه الليلة من المقرّبين ، وأن يكتب له معرفته ومحبتّه ، وقربه وجواره ، ورضاه وخيره مع عافيته ، وأن يرضى عنه رضا لا سخط عليه بعده أبداً ، وأن يرضى عنه نبيّه وأئمّته لاسيّما إمام زمانه عليه السلام وأن يجمع بينه وبينهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وأن

يوفقه للاجتهاد في طاعته وتحصيل رضاه ، وأن يختم له بقربه ورضاه .
ثم من الاجتهاد أن يعد له عدته لهذه الليلة من تحصيل مقدمات العبادة
مثلاً يحصل في خلال سنته مكاناً مناسباً ، ولباساً مناسباً ، وعطراً وما يتصدق به فيها
ومضامين لطيفة لمناجاة ربه ، وكلمات مهيجة لمخاطبة ساداته ، وخفرائه وحماته ،
وأضيافاً مخصوصين مناسيين لليلة ، وفقراء مخصوصين لصدفته .
وظنني أنه لو دعا واحد من سلاطين الدنيا أحداً إلى ضيافته في يوم مخصوص
وأرسل إليه رسولاً كريماً ، وتلطف في دعوته ببعض هذه التلطفات التي عاملك
بها ملك الملوك تعالى ، ووعده بحضوره في هذا الموسم - بمراسم أدب حضوره -
الخلع الفاخرة ، والأملاك الشريفة الواسعة ، و فرامين للملك والسلطان ، مع
الأعيان والأشراف ، والملوك والسلاطين ، وعرفه أنه كلما زاد هذا المدعو في
تلطيف معاملته في حضور مجلس السلطان من جزئيات المراقبات ، يزيد السلطان
في إكرامه وإعطائه وإحسانه فوق حد الإحصاء ، مات^(١) شوقاً إليه ، وبهلك نفسه في
التزين لمثل هذا المجلس الشريف ، والمقام المنيف ، بكل ما يقدر عليه من الاهتمام
ولا ينسى الجد في ذلك طول سنته في جميع حالاته ، و يجتهد في تحصيل العدة لهذا
المقام الكريم ، بما يعجز عنه المجتهدون ، ويحتال في تلطيف مراقبته بما يحارفيه اللبيب
ويختار لأدب هذا المجلس ما يتأدب منه الأديب ، ويرضاه الحبيب من الحبيب .
فكيف بك يا عاقل^(٢) وقد دعاك إلى هذه الضيافة ملك الملوك ، ورب الأرباب
وجبار السماوات والأرضين ، وقد أرسل إلى دعوتك الملائكة المكرمين ، والأنبياء
 والمرسلين ، وسيد الخلائق أجمعين ، وأكد ذلك بخلفائه المعصومين ، ثم أكرمك
بالملائكة الداعين ، في كل ليلة بدعوات خاصة ، وألطف ناصحة ، وكرامات
ماسة ، و وعدك على إخلاصك في ليلة واحدة من النعيم المقيم ، ما لا عين رأت ،
ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ومن النور والبهاء والسرور ، والسلطنة
والملك والحبور ، ما يكل عن تصوير جزء من أجزائه عقلك ، ويتحير فيه

وهمك ، ومن قرّبه وجواره وبهجة لقائه ما لا يحتمله عقول العقلاء ، و فهوم العلماء وأوهام الحكماء .

فهل لك يا أخي أن تجتهد في الاستعداد لهذا المجلس بقدر ما يليق به ، لتكون من الفائزين ، أو تقوّته بغفلتك فتكون من الخاسرين ، فاعلم يقيناً أنك إن غفلت عن مثل هذه الكرامة ، وضيعتها باهما لك ، و رأيت يوم القيامة ما نال منها المجتهدون ابتليت بحسرة يوم الحسرة التي تصغر عندها نار الجحيم ، والعذاب الأليم ، فتنادي في ذلك اليوم مع الخاسرين النادمين : « واحسرتنا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين » ولا ينفعك الندم ، وقد أغلقت أبواب التوبة والعلاج ، وظهرت آثار الأعمال والنتائج .

فعاتب نفسك في التضييع والاهمال قبل أن تعاطب ، و خاطبها في مثل هذا التهوين في كرامة الله ربّ العالمين من قبل أن تتخاطب ، و حاسبها فيما ضيعته من رأس مالك الذي لو بقي لنفّعك أنفع أرباح التجارات في يوم الضرّ و الحاجات قبل أن تحاسب ، فيحكم لك بالذلّ و الهوان ، بدل الكرامة والسلطان ، هذا .

و ينبغي أن يزيد في شوقه إلى الفوز بكرامات ما أعدّه في هذه الليلة من المحلّة العظمى ، والمقام الأسنى ، من مجلس حضور ربّ العالمين ، و تقدّيس جبار السماوات والأرضين ، إذا قرب وقته ، ويعيّن ليلته من الأعمال ما هو أنسب بحاله وإخلاصه وحضوره ورقّته وصفائه و رضا مولاه ، ويستمدّ في ذلك من الله جلّ جلاله ويستعين من خلفائه - صلوات الله عليهم .

فإن عرف الأنسب يعمل به ، وإن تحيّر بنى على الاستخارة ، ويجعل لفكره بعد الذكر وقتاً خالياً من غلبة النوم و ثقل الطعام و ألم الجوع و سائر الشواغل و يجتهد أن لا يشتغل في شيء من أجزاء ليلته عن الله ولو بالمباحات ، وفي صلواته و مناجاته بغيرهما ولو من المندوبات ، فإن شغل القلب في الصلاة مثلاً ببناء المسجد وتطهيره أو بالصدقة مثلاً من صفات الغافلين .

بل شغل القلب في القيام من الصلاة بالفكر في غيره أيضاً من الغفلة ، وإنما

يجتهد في أن لا يغفل قلبه عن حقيقة ما يعمل من الأفعال والأذكار حين اشتغاله به ويسهل ذلك بأن يتفكر إجمالاً قبل دخول العمل في العمل ثم يدخل فيه ، فان عرض له في أثناء القراءة والذكر غفلة عنه فليعهدهما .

مثلاً إذا أراد التوجه إلى القبلة يتفكر إجمالاً في معنى التوجه إليها ثم يتوجه ، وإذا أراد القيام يتفكر أولاً في حقيقة أنه قيام لحق العبودية وفي الاعتماد فيها على الرجلين إشارة إلى الخوف والرجاء عن قبول العبادة وهكذا احتسب القراءة والأذكار ، يتذكر قبل قراءة - بسم الله الرحمن الرحيم - مثلاً معناها إجمالاً ثم يقرأها فان عرض له غفلة في أثناء قراءة آية فليعهدها .

ولا بدّ لمثل هذا العامل في أوّل الليلة أن يبالغ في التوسّل والاستشفاع لخفير الليلة من المعصومين عليهم السلام ، ويذكر عند ذلك كلّ ما يحتاج إليه من التوفيق في أعماله وأحواله ، وأن يجدّ في تلطيف ألفاظ الاسترحام والاستشفاع بما يجلب الرحمة والرقّة ، ويهيّج العطوفة والكرامة ، ويستمطر سحائب الجود والكرم والنوال ، فانهم أهل ذلك كلّهم ومحلّه ، وأن يفوض عقله ونفسه وقلبه وصفاته وأعماله وكلّه إلى مولاه بيدهم ، ويراقب في آناء ليله أن لا يأتي بما يخالفه التفويض ، وإن قدر أن يفوض ذلك أيضاً فقد فاز ونال .

ولكن كثيراً ما يشتبه على الانسان عدم المراقبة والمبالاة بالتفويض ، فيغترّ به الخبيث ، ويهلكه بالجهل ، ولا يطمئن حتّى يستكشفه بالعلوم الربّانية ، ومن بعض هذه الكواشف السديدة أن يوافق حاله مراده فيما فوضه إليه فانّ من علائم صحّة التفويض قبوله ، ومن علائم القبول أن يتولّى الله جلّ جلاله تدبير أمره فيما فوضه إليه فوق آماله .

ثم إنّ من الأعمال المؤثّرة في تهيج الرقّة وإثارة الخشية والبكاء ، أن يغلّ يده إلى عنقه ، وأن يلبس المسوح ، وأن يثير التراب على رأسه ، وأن يخرّ على التراب ، وأن يمسح وجهه على التراب ، وأن يضع رأسه على الجدران ، وأن يمشي ويقف ، ويصيح ويسكت ، ويتمرّع في التراب ! ويفرض نفسه في المحشر ، ثم يعاتب

نفسه بماورد من عتاب أهل الجرائم .

ثمَّ ينظر نظرة عن يمينه ، ويتفكّر في أحوال أصحاب اليمين ، وصورهم ولباسهم وزيّهم ، ثمَّ ينظر عن شماله و يقدر نفسه مع أصحاب الشمال و يتصوّر أحوالهم المنكرة من سواد الوجه ، و زرق العين ، وغلّ الأيدي ، و الاقتران مع الشياطين ، و لبس القطران ، و مقطّعات النيران ، و الزبانية كلّهم حاضرون ، و إلى أمر ربّهم ناظرون ، ثمَّ يحذر من صدور الخطاب بقوله : «خذوه فغلّوه ✽ ثمَّ الجحيم صلّوه ✽ ثمَّ في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً فاسلكوه .

ثمَّ ينادي : يا أرحم الراحمين ، يا غياث المستغيثين ، أين رحمتك الواسعة ، أين عطايك الفاضلة ، أين فضلك العظيم ، أين منكّ الجسيم ، أين كرمك يا كريم ، ثمَّ يميكي و يذكر عظيم حلمه و كرمه ، و قديم فضله و إحسانه ، و عميم عفوه و غفرانه فان أتاه الخبيث و أراد أن يقتطّعه من رحمة ربّه ، و قال : أنت مع هذه الذنوب و العيوب لست أهلاً لرحمة الله ولنظر لطفه ، فأنّه قال : « و سأكتبها للمتّقين » و أنت لست من المتّقين ، فلا يقبل قوله ، و يعرض عن جوابه ، و يناجي ربّه في جوابه ، و يزيد في إظهار الرجاء ، و يقول : حاشا لوجهك الكريم ، أن يعرض عن مثلي من المحتاجين إلى عفوه و كرمه ، و المتوسّلين إليه بأوليائه ، و أن لا يرحم على عيني الباكية ، و قلبي الخاشع ، و بدني الذليل الخاضع .

ثمَّ يقوّي رجاءه ، و يبسط آماله ، و يستدعي كلّما يتصوّر و يتعقّل من المقامات العالية ، من المعرفة و المحبّة ، و القرب و الزلفى ، و العمل و التقوى ، و أكثر من قول : يا من يفعل ما يشاء و لا يفعل ما يشاء أحد غيره ، يا من لا يعظم عليه شيء من العطايا العظيمة ، و الكرامات الجليلة الجميلة ، يا من لا ينقصه الإحسان ، و لا يزيد به الحرمان .

ثمَّ يؤكّد هذا المعنى ويقول : الهي إن كنت غير متأهّل لما سألتك ، فكرمك أهل لذلك و لما فوقه ، الهي إن معرفتي التي و هبتني يحكم لي بأن أتمنّى عليك العظام ، لأنك لم تهب ما و هبته على من و هبته من أوليائك باستحقاق منهم ، إلّا

بأن وهبتهم الاستحقاق بفضلك ، فإنه لا يوجد الخير إلا منك ، فتفضل علي بما تفضلت به عليهم من الاستحقاق ، حتى أستحق إجابة ماسألتك .

الهي أنت الذي لا تسأل عن فعلك ، ولا تنازع في ملكك ، ولا يعترض عليك أحد في فعلك ، وأنت القادر الجواد ، وليس لقدرتك حد ، ولا لجودك منتهى ، فأهملني بقدرتك ، وجدلي بجودك ، يا أجوداً لجودين .

الهي إنك تجد من تعذب غيري من أعداء أوليائك ، ومعاندي حضرة جلالك وأنا لا أجد من يعطيني غيرك يا كريم ، أضيفني بعد كرمك ؟ فإنك لا تحتاج إلى عذابي ومنعي ، وأنا أحتاج إلى عفوك وكرمك .

الهي إن عدوك وعدوي جاءني ليحرمني من دعائك ، و يؤيسني من رحمتك الواسعة ، فبفضلك أعرضت عن قوله ، وخالفته فيما أمر به ، فانصرني عليه بتصديق رجائي وآمالي فيك ، الهي أنا مع قلة معرفتي بمبلغ جودك و كرمك ، و غناك و قدرتك ، لا أقطع بمنع عفوك و فضلك عن أحد من عبيدك حتى الكفار إلا أعداء أوليائك الذين ظلموهم وآذوهم ، وليس عقيدتي في عذاب غيرهم من الكفار إلا عن وجه التعبد لكتابتك ، و قول نبيك في وعيدك للكفار ، ولا يرى عقلي هذا الذي مننت به علي - أن يوجب عليك شيئاً من العذاب ، ولا الوفاء بالوعيد ، ولا أرى عدم الوفاء بالوعيد نقصاً في قدس صفاتك بحكم عقلي ، ولا أقطع شيئاً في ذلك إلا أن يكون ذلك أيضاً من باب التعبد ، الهي هذا حكم عقلي في الكفار والجاحدين ، فكيف بمن آمن بك ، وأحب أن يطيعك ، وأمل فضلك ، و تمنى قربك ، و رجا من كرمك العظائم ، وإن كان من العصيين والمذنبين .

الهي من العبد الذنب ، و من السيد العفو والكرم ، لا سيما إذا كان كريم العفو الهي هذا الذي تصوّرت من حكم عقلي في مطلق الأوقات و أمّا بالنسبة إلى هذه الأوقات التي خلقتها لكرمك ، و مننت بها على عبيدك ، و ندبت فيها عبادك المذنبين إلى مغفرتك و عفوك ، والسائلين إلى الإجابة والعتاء ، وفتحت فيها أبواب كرمك وجودك ، فلا حكم لعقولنا في ذلك إلا العفو و الكرم ، و تبديل السيئات

بالحسنات ، وإجابة الدعوات ، وعطاء المسؤولات ، والجود بالعظيمات من الكرامات وهذا ظننا بك وبكرمك ، وأنت أعلم بما بلغنا عن نبيك وآله صلواتك عليهم من معاملتك مع من يحسن ظنه بك .

و يصلّي الرّكعتين الواردتين في ليلة القدر بفاتحة الكتاب مرّة و الاخلاص سبع مرّات ، ويقول بعد الفراغ سبعين مرّة أستغفر الله وأتوب إليه ثم يدعو بحوائجه ثم يصلّي مائة ركعة ، ويدعو ما بينها بما ورد فيها من الدعوات ، فإن هذه الدعوات من أهمّ المهمّات ، لما فيها من المضامين العالية التي صدرت عن صدور العلماء بالله من أئمة الدين ، وفيها من العلوم الفاخرة التي لا يعلمها إلا من علّمه الله من الأنبياء والأوصياء : من العلم بالله ، وبصفات الله الجلالية والجمالية ، وأسماء الله الحسنى ومن مراتب فضله ، وحكم عدله ، وقضايا فعله ، وأدب مناجاته .

وليكن في قراءة هذه الأدعية حياءً وإن قدر أن يتأثر بما يقوله و يذكره في دعائه فبخّ و بخّ له ، لأنّه لو لم يفرض لهذه الأدعية ثواب و جزاء من الله تعالى إلا استجلاب هذه التأثيرات ، لكفى للعاقل أن يبذل روحه ومهجته في تحصيله ، وكيف وقد أعدّ الله لكل كلمة بل لكل حرف منها جواباً ونوراً يعجز عن تقويمه العالمون وإن لم يتأثر قلبه القاسي فلا محالة أن لا يقرؤها مثل قراءة المنظر .

وليتأمل في معاني ما يقولها ، يستفهم المعاني المودعة فيها ، فإن لم يسمح قلبه ونفسه لذلك أيضاً فلا ولي من قراءة هذه الدعوات أن يبكي على مصيبتيه ، وعقوبة الله عليه ، ويسترجع ويقول : إنا لله وإنا إليه راجعون مصيبة عظم رزؤها وجلّ عقابها و قد ورد في الحديث القدسيّ في صفة أهل الآخرة أن دعاءهم عند الله مرفوع و كلامهم عنده مسموع ، تفرح بهم الملائكة ، يدور دعائهم تحت الحجب ، يحبّ الرب أن يسمع دعاءهم كما يحبّ الوالدة ولدها .

فأنصف يا مسكين في دعائك الذي لا يكون معه قلبك ، أترضى أن يرفع إلى الله ويراك تدعوه بلسانك و قلبك يخاطب الدنيا التي ورد فيها أنّه عدوّ الله ولا ولياء الله ، ويشتاق إلى ما يبعّدك عن الله من زهرة هذه الدنيا الفانية ، فهل عند العاقل

مصيبة أعظم من ذلك .

ويقرأ دعاء نشر القرآن ، ويرفعه إلى رأسه ، وينوي برفعه على رأسه تقوية دماغه الذي هو مركب عقله ، وتكميله بعلوم القرآن ، و خضوع عقله للقرآن ، و ضمّ نور عقله بنور القرآن ، وغيرها مما يناسب من القصود المناسبة .

و يزور الحسين عليه السلام ببعض زياراته الواردة ، ولا يترك قراءة سورة الروم و العنكبوت و الدخان في الثالث و العشرين ، ويقرأ الدعوات الواردة في هذه الليالي لا سيما الدعاء الذي رواه السيّد عن بعض الكتب العتيقة ، و أوّلّه : اللهمّ إن كان الشكّ في أن ليلة القدر فيها أوفى ما تقدّمها واقع فأنّه فيك وفي وحدانيّتك وتزكيتك الأعمال زائل .

وإن قدر أن يستفهم معنى زوال الشكّ في الله و في وحدانيّته ، فهو يكفيه من جزاء عبادة اللّيلة ، ولا يترك الدعاء الصغير الذي رواه السيّد عن عليّ بن الحسين عليه السلام و أوّلّه : « يا باطنائيّ ظهوره » فهو أيضاً دعاء كامل في التوحيد ، ولعمري لو لم يكن لوجود الأئمة عليهم السلام نفع غير ما عرفونا و علّمونا من هذه البيانات الكشفية عن توحيد الله ، لكفى للمؤمن أن يبذل كلّ في شكر صنيعهم ثمّ يستقلّ ذلك ، و يرى نفسه قاصرة في أداء شكر نعمتهم ، هذا .

و ليجعل من ليلته ساعة للمراقبة خاصّة ، ويتحفّظ فيها علم ربّه بسوء حاله وقدرته على إنجائه ، و عظم فضله وجوده و كرمه ، ثمّ يمدّ عينه على باب جوده و كرمه بالرجاء ، وينتظر نفحات روحه و رحمته .

ثمّ إنّ عمل بما ذكرناه فهو و إلّا ، و إيّاه أن يترك العمل رأساً بتسويل الشيطان له بأنك متى لم تعمل بما ينبغي لك فلا ثمرة في هذا الجزئيّ الناقص و عدمه أولى من وجوده ، لأنّه إن أطاعه في ذلك سدّ عليه البار رأساً ، وأهلكه بغفلته وأمّا إن عمل بما يريده ، و لو كان عمله قليلاً يمكن أن ينفعه نور هذا العمل القليل نوراً آخر للعمل وتوفيق الزيادة ، فيوفّق كلّ التوفيق .

و بالجملة لا قصد للخبيث أبداً إلّا في منعه عن خدمة ربّه و عبادة مولاه

فان أطاعه يؤثّر طاعته في قلبه ظلمةً و تؤثّر هذه الظلمة خذلاناً و تركاً آخر للعبادة إلى أن يستحكم فيه الخذلان ، ويهلك هلاكاً دائماً ، أو يدركه عناية من الله فيجتنب طاعة الخبيث ، ويستنير قلبه من مخالفته ، ويصير سبباً للتوفيق الكامل .

وبالجملة للسالك أن لا يستقلّ من الخير ولو ذرّة فيتركه لأجل قلته فيخسر ولا يستكثر شيئاً منه فيعجب ، أو يتركه من جهة أنّه لا يقدر عليه ، بل يفعل منه كلّ ما قدر عليه ، ويستصغره بعد فعله في جنب الله ، وكلّ ما عمل به العبد واستصغره عظم عند الله ولعلّه وقع محلاً لقبول الله جلّ جلاله ، وإذا وقع القبول فلا عبرة بالقلّة لأنّ الله إذا قبل من عبده ولو شيئاً قليلاً لجزاه كثيراً وإذا لم يقبل منه لا ينفعه و لو كان كثيراً اعتباراً بآدم وإبليس ، حيث اصطفاه ﷺ ولعن إبليس .

فعلى العبد أن لا يستعظم عملاً ولو أتى بعبادة الثقلين ، لأنّه عجبٌ وإعجاب المرء بعمله محبط للعمل ، بل يبدّل نوره بالظلمة ، وأن لا يستحقّر القليل فيتركه لأنّه قد يتفّق كونه مقبولاً فيعظم .

ثم إنّ ما ذكرناه من المدافعة في مراتب الاخلاص و الصدق فيه إنّما هو لعمل الانسان في نفسه لئلا يكون قانعاً من نفسه إلاّ بالخالص الصادق في الاخلاص و يعدّ غير الخالص كالمعدوم ، بل يعامل معه معاملته المعصية و ليس له أن يعدّ ذلك عن غيره كالمعدوم ، ولا كالمعصية ، لأنّ معاملته بهذه المعاملة في أعمال غيره لا يثمر خيراً بل يصير سبباً لتركه و سدّ باب الصلاح و الخير ، فلا يحسن أن يعامل غيره بهذا الميزان ، بل له أن يعامل عباد الله بميزان ظواهر أعمالهم ، بل بميزان فضل الله و يظنّ في الأعمال الناقصة المشوبة من الناس ، القبول والرجحان ، و يرجو أن لا يحرموا من فضل الله وقبوله ، ولو كان أعمالهم غير خالصة وناقصة ، وعن غير حضور .

ولا يستبعد أن يجيب الله من عباده دعاءهم بمجرد صورة الدعاء ، ولو بقلقة اللسان ، و يعاملهم بكرم عفوه ، و إيّاه وإيّاه أن يقتطّ أحداً من رحمة الله أو يصير سبباً لأحد في ترك الأعمال ، و لو كان عملاً مغشوشاً مشوباً ببعض الأكدار ، ولعلّ الصورة إذا لم يترك قد تتفّق مع بعض النفحات الالهية ، فيفيضها روحاً و حقيقة

و يؤثّر في تنوير القلب بحيث ينقلب الأمر رأساً ، و يكون أغلب أعماله بل كلّها ناشئة عن ظهر القلب ، فيفوز مع الفائزين ، وبالجملة ولو أنّ لو طيّباً قال في سكره يا الله ، ما أظنّ أن يردّه الله ولا يجيبه .

ثمّ إنّه روي عن زيد بن عليّ أنّه قال : سمعت أبيّاً عليه السلام ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان يقول من أوّل الليل إلى آخره : « اللهمّ ارزقني التجاني عن دار الغرور و الانابة إلى دار الخلود ، و الاستعداد للموت ، قبل حلول القوت » .

أقول : لو عقلت معنى هذا الدعاء لاستكثرت منه و بيان ذلك أنّ الذي شهد عليه القرآن الكريم و أخبار آل محمد عليه السلام ، ومكاشفات أهل اليقين ، أنّ هذه الدّنيا دار غرور ، و ليس ما يرى فيها على ما يرى بل الذي يرى و يحسّ فيها من صفات موجودات هذا العالم ، نظير ما يتراعى من السراب ، ليست حقائقها كما ترى ، ولذلك سمّوها دار الغرور ، وإن عظم عليك تصديق ذلك فانظر فيما تعلمه بالعلم البتّيّ من موارد خطاء الحسّ وتأمّل فيها ، هل تجد بينها و بين سائر المحسوسات فرقاً ؟ فاذا فقد الفرق جاء الامكان بحكم التسوية ، فاذا ثبت الامكان ثبت الوقوع أيضاً بالأخبار الناصّة في خطأ الحسّ في هذه الدنيا ، و هي كثيرة .

منها الأخبار التي دلّت على نطق الجمادات ، والحسّ منكروه ، ومنها ماوردت في أحوال القبر من القيام و الصراخ و النّار و التكلّم و البستان و النّعم ، فانّ الحسّ ينكرها ، وما دلّت على وجود الملائكة وتصرفاتهم في هذا العالم ، وما دلّت على أن كلّ ما في هذا العالم من الجماد و النبات و الحيوان ، إنّما يجيىء أرزاقهم من عالم الملكوت ، و كلّ هذه الأخبار إنّما دلّت على وجود أشياء كثيرة ، وعوالم عديدة ينكرها الحسّ .

و كيف ما كان يسمّى هذا العالم دار غرور ، لأنّها غرّت أهلها بصور لا حقيقة لها ، وبحقائق لا صورة لها ، فانّ جواهرها كالأعراض ، وأعيانها كالسراب ، والأشياء التي ترى فيها قارّة سائلة على التحقيق ، و لأصل لما يحكم به أهلها

بحقائقها من الأحكام والصفات ، بل ما يوجد باقتضاء هذا العالم يحكم بامتناعه في غيره من العوالم واقعاً بل كل ما فيها غرور وهم و خيال ، و المؤمن الذي كشف عن بصيرته حجاب الناسوت ، يتجلى له حقائق الأشياء و يسمى رفع الحجاب تجافياً عن دار الغرور ، و تجلي الحقائق إنابة إلى دار الخلود .

ثم إن أمثال هذه الأوقات التي فتح الله فيها أبواب رحمته ، أزيد من سائر الأوقات و ندب عباده إلى ذكره و عبادته و دعائه ، و ضمن لهم ماضن من ألطافه الخاصة ، فحكمها أن يزيد العبد فيها جهة الرجاء ، و يبسط أكف آماله إلى كرم الله و مزيد نواله ، و للخبث في هذه الأوقات إصرار في ترجيح [. . . .] ليتطرق بذلك على الكسل في العمل .

ثم يختم ليلته بما مرّ مراراً ممّا يختم به الليالي الشريفة من التوسّل بالحماة المعصومين عليهم السلام و توديع العمل عندهم ، و عرضه على الله بأيديهم ، و أن يتضرّع إليهم في إصلاحه ، و أن يرغبوا إلى الله في قبوله و تبديله بالعمل الصالح و تربيته . ثم ليعلم أنّه ورد في أخبار الأئمة عليهم السلام أن شرافة الليالي و الأيام متلازمة بمعنى [أنّه] إذ اشرف اليوم تعدّت شرافتها إلى ليلتها و إذ اشرفت الليلة تعدّت شرافتها إلى يومها فيجب مراقبة أيام هذه الليالي أيضاً بالاخلاص في العبادات كما يجب في ليلاتها .



الفصل الحادى عشر

﴿ فيما يتعلق بالليلة الآخرة ﴾

و فيها مهمام لأهل اليقظة ، منها ما ورد لقبول أعمال شهر رمضان ، و هو عمل شريف وهو ما رواه السيد قدس سره في الاقبال عن جعفر بن محمد الدورى ، من كتاب الحسنى باسناده إلى النبي ﷺ قال : من صلى آخر ليلة من شهر رمضان عشر ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدة ، وقل هو الله أحد عشر مرات و يقول في ركوعه و سجوده عشر مرات : « سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر » و يتشهد في كل ركعتين ثم يسلم فاذا فرغ من آخر عشر ركعات قال بعد الفراغ من التسليم : أستغفر الله ، ألف مرة فاذا فرغ من الاستغفار سجد و يقول في سجوده : « يا حي يا قيوم يا ذا الجلال و الأكرام يا رحمن الدنيا و الآخرة و رحيمهما ، يا إله الأولين و الآخرين اغفر لنا ذنوبنا ، و تقبل منا صلواتنا ، و صيامنا و قيامنا » قال النبي ﷺ : و الذي بعثني بالحق نبياً إن جبرئيل أخبرني عن إسرافيل عن ربه تبارك و تعالى أنه لا يرفع رأسه من السجود حتى يغفر الله له ، و يتقبل منه شهر رمضان ، و يتجاوز عن ذنوبه ، وإن كان قد أذنب سبعين ذنباً كل ذنب أعظم من ذنوب العباد ، و يتقبل من جميع أهل الكورة التي هو فيها - إلى أن قال - : هذه هديّة لي خاصّه و لأمتي من الرجال و النساء ، ولم يعطها الله عزّ و جلّ أحداً ممن كان قبلي من الأنبياء و غيرهم .

أقول : ينبغي للمؤمن الذي له عناية على إصلاح الناس وله حظ من الرحمة الرحيمية أن لا يترك هذا العمل من جهة أن نفعه على العباد عظيم جداً كيف يمكن أن لا يهتم العالم الذي ينصب نفسه للموعظة طول الشهر لهداية الناس ، و تصحيح أعمالهم ، وهو يعلم علماً قطعياً أن وعظه لا ينفع لكل من يحضر مجلس وعظه ، فضلاً

عن أهل كورته ، وقد يزيد أهلها على كرو من المؤمنين ، و نفعهم أيضاً لا يبلغ معشار هذا النفع الذي ذكر في الرواية من المغفرة و قبول أعمال الشهر كلها بهذا العمل الذي لا مؤونة فيه بمقدار مؤونة وعظ يوم واحد .

فان قيل : إن الرواية ليست قطعية .

قلت : هب أنها ضعيفة يكفي للعامل أخبار التسامح .

فان قلت : هب أن أخبار التسامح جعلها بمنزلة الرواية القطعية فأين القطع بقبول هذا العمل ، ليقطع بالنفع المذكور .

قلت : هذا مشترك الورود على الوعظ و العمل ، و هو في العمل أهون من الوعظ لأن تصحيح النية في الوعظ أصعب من تصحيح نية العبادات من وجوه أظهرها كون الوعظ موافقاً لحب الجاه ، و الوعظ لا يكون إلا بملاء من الناس ، هذا .

و من المهمات أن يطالع ما روي عن سيّد العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام وما كان يفعله في هذه الليلة ، و يتفكر في مقامه و عباداته ، و جهده الشديد و عمله هذا ثم لينظر ما حققه أن يفعل مع سوء حاله ، و ذلّ مقامه ، و تقصيره في عبادة ربه .

روي سيّدنا قدّس الله سرّه العزيز في الاقبال باسناده إلى الشيخ أبي محمد

هارون بن موسى التلعكبري رضي الله عنه باسناده إلى محمد بن عجلان قال : سمعت

أبا عبد الله عليه السلام يقول : كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا دخل شهر رمضان لا يضرب

عبداً ولا أمة ، و كان إذا أذنب العبد أو الأمة يكتب عنده : أذنب فلان و أذنب فلانة

يوم كذا و كذا ولم يعاقبه ، فيجتمع عليهم الأذنب حتّى إذا كان آخر ليلة من شهر

رمضان دعاهم و جمعهم حوله ثم أظهر الكتاب ثم قال : يا فلان فعلت كذا و كذا

ولم أؤدّبك أتذكر ذلك ؟ فيقول : بلى يا بن رسول الله ، حتّى يأتي على آخرهم

و يقرّهم جميعاً ثم يقوم وسطهم و يقول لهم : ارفعوا أصواتكم و قولوا : يا عليّ

ابن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت كما أحصيت علينا كل ما

عملنا ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها ، وتجد كل ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً ، فاعف واصفح كما تـرجو من المليك أن يعفو عنك ، فاعف عنا تجده عفواً ، وبك رحيماً ، و لك غفوراً ، ولا يظلم ربك أحداً ، كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتينها إلا أحصاها فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل [وإنها إن تك مثقال ذرة من خردل] يأت بها يوم القيامة وكفى بالله حسيباً وشهيداً ، فاعف و اصفح يعف عنك المليك و يصفح ، فإنه يقول : « وليعفوا و ليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » . و هو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم وهم ينادون معه وهو واقف بينهم يبكي و ينوح و يقول : ربنا إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا فقد ظلمنا أنفسنا فنحن عفونا عمن ظلمنا كما أمرت ، فاعف عنا فانك أولى بذلك منا ومن المأمورين ، وأمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوابنا وقد أتيناك سوءاً لا و مساكين ، وقد أنخنا بفنائك و ببابك ، ونطلب نائلك و معروفك و عطاءك ، فامنن بذلك علينا ولا تخيبنا فانك أولى بذلك منا و من المأمورين ، الهى كرمت فأكرمني إذ كنت من سوء الك ، وجدت بالمعروف فأخلطني بأهل نوالك يا كريم .

ثم يقبل عليهم و يقول : قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني و مما كان مني إليكم من سوء ملكه فاني مليك سوء ، لئيم ، ظالم ، مملوك مليك كريم جواد عادل محسن متفضل ، فيقولون قد عفونا عنك يا سيدنا و ما أسأت ، فيقول لهم : قولوا : اللهم اغف عن علي بن الحسين كما عفا عنا فأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق فيقولون ذلك ، فيقول : اللهم آمين رب العالمين ، اذهبوا فقد عفوت عنكم و أعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتي ، فيعتقهم فاذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس وما من سنة إلا و كان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين نفساً إلى أقل أو أكثر .

و كان يقول : إن لله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان سبعين ألف ألف عتيق

من النار كلاً قد استوجب النار فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه وإنني لأحب أن يراني الله وقد أعتقت رقاباً في ملكي في دار الدنيا رجاء أن يعتق رقبتني من النار . و ما استخدم خادماً فوق حول كامل، إذا ملك عبداً في أول السنة أوفي وسط السنة إذا كان ليلة الفطر أعتق و استبدل سواهم في الحول الثاني ثم أعتق - كذلك كان يفعل حتى لحق بالله ، وكان يشتري السودان و ما به إليهم من حاجة فيأتي بهم عرفات ويسد بهم تلك الفرج و الخلال وإذا أفاض أمر بعنق رقابهم و جوائز لهم من المال .

أقول : فان قدر أن يشبه نفسه بامامه ، و يقتدي به في صورة هذا العمل الجليل ، فليفعل هنيئاً له ، و إن لم يقدر عليه فليفعل لا محالة بالقدر الميسور ، و أقله أن يحفظ ما يظلمه به أولاده و أهله و خادمه و أجيره ، و يتجاوز عنهم في آخر ليلة من شهر رمضان ، و الأولى أن يذكر ما حفظ واحداً بعد واحد و يناجي ربه بأن يقول : اللهم إن عبدك فلاناً ظلمني في الأمر الفلاني فصبرت ، و إن فلاناً ظلمني في الأمر الفلاني فصبرت ، و يذكرهم إلى آخرهم ثم يقول :

اللهم إنك تعلم أن عبادك هؤلاء ظلموني و ما منعني عن الانتقام منهم إلا خوفك ، وقد كففت عنهم يدي رجاء أن تكف عني بأسك ، و أنت أمرت عبادك بالعفو ، فلا تمنعهم ذلك لأنك أولى به من المأمورين .

اللهم إنك مننت علي بالعفو عمن ظلمني فلا تحرمني عفوك لأن منك علي بعفوي أعظم من عفوك عني ، فمتى سمحت بالأعظم فلا تمنع الأدون .

اللهم إن العبد لا يملك حقاً و الحق لمالكه ، فالحق لك علي من ظلمني فاذا أمرتني بالعفو عنه ، فقد عفوت عنه ، فاذا عفوت عنه فاعف عني .

اللهم إنك أمرت في جواب النحيّة بالأحسن و من الأحسن في قبال عفوي عن ظلمي لو جهك أن تعتق رقبتني من النار ، والرجاء لفضلك و كرم عفوك أن تبدل سيئاتي بعد عفوك بأضعافها من الحسنات ، و ترفع لي بذلك رفيع الدرجات ، فلا تخيب رجائي .

ثم اعلم أن مجرد قصد هذه المطالب بالقلب وإن كان مؤثراً في المقام إلا أن في ذكرها بالخصوص وإتيانها بالجوارح أثراً خاصاً من وجوه شتى :
أحدها أن العمل بالقلب كما أنه عبادة له فإجراء ما فيه على الجوارح أيضاً عبادة للجوارح ، فعند الاتيان بالجوارح يتحقق العبادة بها أيضاً .
وثانيها أنها تؤثر في القلب تأثيراً خاصاً ورقّة لا يؤثره مجرد الأمر القلبي
ويصير سبباً لعمل آخر مؤثر أيضاً فيمتدّ الفيض الدائم .

و ثالثها أن ظهورها على الجوارح يصير سبباً لتأثير الغير وتأسيه ، ويفيد فائدة السنة الحسنة والشاهد على ذلك أنه لو اكتفى الإمام عليه السلام في ذلك بالأمر القلبي لما نقل لنا ذلك ولم نعمل به ، وكيف كان للجوارح أيضاً حظ من نور العمل ، فيؤثر عملها في القلب نوراً زائداً على نور عمله .

و من المهمات أن يحاسب نفسه في عمل شهر رمضان كما يحاسب الشريك الشريك في آخر العمل ، ويلا حظ رأس ماله الذي هو عمره وإيمانه وبركات شهر رمضان وأنواره ، ويعتبر هل ازداد إيمانه بالله وبرسوله وكتابه وحججه واليوم الآخر من مقامات الدين ؟ .

و كيف أخلاقه الناشئة من المعارف المذكورة ؟ من الخوف والرجاء والصبر والزهد والتجرّد لذكر الله و الفكر المؤدّين إلى الأُنس ، والمعرفة المؤدّية إلى المحبة المتبوعة بالرضا والتوكل والتسليم والتوحيد ، وانسراح الصدر من نور المعرفة في مشاهدة الغيوب ، وانفساح القلب في احتمال البلايا وحفظ السرّ ، وكيف تجافيه عن دار الغرور ، وإنابته إلى دار الخلود ؟ هل لشهر رمضان وأعماله تأثير في ذلك أم بقي على ما كان عليه قبله ؟ .

ويحاسبها في أفعالها وحرّكات جوارحها هل بقيت على حالها أم ازدادت مراقبة أحكامه تعالى فيها ؟ لا سيّما بالنسبة إلى حرّكات لسانه في التكلم بما لا يعني ، والخوض في الباطل ، والكذب والغيبة والافتراء والتعرّض لأعراض المؤمنين والفحش والإيذاء

وغيرها ، فان رآها كلها على ما كان فليعلم أن ذلك من سوء عمله في هذا الشهر العظيم البركة ، وأن ظلمة ذنوبه قد فاقت على أنوار هذا الشهر النور المنير ، وإلا فلا يمكن أن لا يؤثر أنوار شهر رمضان ، وليالي القدر ، و هذه الدعوات الجليلة في تنوير قلبه و تطهيره من أرجاس الرذائل ، والقلب المستنير لا يجيء منه الشر .

وليخف هذا المغبون عن خطر دعاء رسول الله ﷺ حيث قال : « من انسلخ عنه شهر رمضان ولم يغفر له فلا يغفر الله له » فانه من أشد المصائب ، وأعظم الخطرات فليعمد على إصلاح حاله مستمداً من الله وملتجئاً إلى رحمته ، ومحترفاً إلى بابه ، قائلاً بلسان حاله « أم من يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف سوءه » و ليبك على خطاياہ وليكن عليه شواهد صدق الاعتراف ، قائلاً بلسان حاله : « لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين ».

ومن علامة [صلاح] الحال أن يكون عليه سمة مذلة الخاطئين ، و وجل قلوب المذنبين ويستغفر الله جل جلاله بقدر ذنوبه ، وإن لم يعنه نفسه العواد بالكسل عن إتيان حق الاستغفار ؛ فان قدر أن يأتي الله من الباب الذي أتاه إبليس ونال بمراده وهو باب عدم القنوط فليفعل ، و إن لم يمكنه ذلك أيضاً فليجر نفسه إلى مجلس القود كما فعله بعض التائبين ، فوقع منه بالقبول ، و بالجملة فعليه أن يستعجل في آخر الشهر كل ما أفسد من دينه ، حتى يستعدّ ليوم العيد ، والوفود فيه إلى الله ، لئلا يحرم عن فوائده فإن الحرمان في هذا اليوم خسران عظيم .

ومن المهمات أن يودّع شهر رمضان ، ويتأثر من مفارقتة ، وقد ورد في ذلك أدعية ومناجاة مع شهر الله الأعظم فآخرة جداً .

وإن أشكل عليك وداع الزمان الذي ليس من قبيل الحيوان الشاعر للصحبة والتوديع ، فانظر إلى جواب السيد قدس الله سره في الاقبال ، وإن لم تقنع به فاستمع لما يتلى عليك :

فاعلم أن الزمان و المكان و سائر الأشياء غير الحيوان و إن كانوا في عالمهم

هذا وبصورهم هذه غير شاعرين إلا أن كلهم في بعض العوالم العالية لها حياة وشعور وتنطق وبيان ، وحبٌ و بغض ، كما يكشف عن ذلك الأخبار الكثيرة الواردة في أحوال عوالم البرزخ و القيامة ، ومكاشفات أهل الكشف ، فإن لكل ما يوجد في هذا العالم وجوداً في عوالم أخرى هي سابقة على هذا العالم في الوجود ، وللموجودات في كل عالم صوراً وأحكاماً مخصوصة بعالمها ، يختلف مع الصور و الأحكام الكائنة في غير هذا العالم .

ومن أحكام بعض العوالم العالية أن كل ما يوجد فيها يكون ذا حياة وشعور لأن الدار دار حياة و حيوان ، كما دلّت الأخبار على أن الدار الآخرة كذلك و لعل في قول الله تعالى : « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان » أيضاً إشارة إلى ذلك حيث حكم على الدار بأنها هي الحيوان .

ومن الأخبار الدالة على حياة موجودات عالم الآخرة ، ماورد فيها من تكلمات الفواكه في الجنة ، وفرح السرير ، واستبشاره من تكمة^(١) المؤمن ، بل ومنها ما دلّت على تكلمات الأرض مع المؤمن و الكافر فأنها ليست بعالمها هذه ، ولذا لا يسمعها أهل هذا العالم ، بل بملكوته .

ومن هذا القبيل تكلم الحصافي يد رسول الله ﷺ حيث إن نطقها وتكلمها بملكوته ، و إعجاز رسول الله ﷺ إنما هو بإسماع نطق لسان ملكوتها إلى هذه الأسماع الدنيوية .

بل كل ما أظهر نبي أو ولي معجزاً من قبيل إنطاق جماد وإحيائه فهو من هذا الباب ، فإن عصاموسى و طير عيسى حياتهما إنما هي بملكوتهما ، وهي غيب عن أهل هذا العالم إلا إذا أظهره الله عليهم لحكمة في إظهاره ، فالزمان في بعض عوالمها حي وله شعور ، فلا بأس أن يودّع ويخاطب بعالمه هذا .

والأهم أن يكون العامل والمودع أهلاً للوداع معه ، وصادقاً فيما يظهره من الأحران عند التوديع ، لئلا يختم شهره بالكذب والتناق في مثل هذا المقام الفاخر

ولا يستقيم ذلك إلا لمن صاحبه شوقاً ومحبة ، لا كرهاً وتكلفاً ، وأيضاً لا يستقيم لمن صاحبه مخالفاً لمقتضاه لأن المخالف لم يكن مصاحباً في الحقيقة ليودّع صاحبه .
و كيف كان يشترط في حقيقة الوداع أن يكون المودّع محزوناً لفراق من يودّع ، ولا يكون محزوناً لفراقه إلا إذا أحب مصاحبته ، والمحبة لصاحبه لا يخالفه بل يراقبه ويطيعه في محابه و مراده ، فان كنت راضياً لمجيب شهر الصيام وصومه و عباداته ، و محباً له و مراقباً لآتيان الأعمال التي جاء بها شهر رمضان ، و مجدداً في ذلك ، و معتقداً لكرامته و فضله و نفعه كما هو حقّه ، فلا بد أن تحزن من فراقه ويعزّ عليك خروجه .

وحينئذ إذا قلت : « السلام عليك من قرين جلّ قدره موجوداً ، و أفجع فراقه مفقوداً » كنت صادقاً و هكذا لو ناجيت ربك و قلت مخاطباً لربك : « نحن مودّعوه وداع من عزّ فراقه فغمّنا ، وأوحش انصرافه عنّا فهمّنا » كنت صادقاً فيما تخاطب ربك في مناجاته وأما لو كنت و العياذ بالله متثاقلاً في صحبته ، و متكلفاً في قبول ما جاء به من الصيام والقيام ، و متبرّماً ببقائه ، و خاطبته بأمثال هذه الألفاظ أو أظهرت في مناجاة ربك ما ذكر و أمثاله وأجابك شهر رمضان بالردّ و التكذيب وقال : « أما تستحيي ممّا تقول ، وأنت لم تكن راضياً بصحبتني ، و كنت متثاقلاً عن جواربي ، و غير معتنٍ لما أتحتفت إليك من الخيرات ، و التحف والهدايا ، ولم تستقبلني بالشوق و الرغبة ، و لم تصاحبني بالأنس و المحبة ، بل كنت شائقاً بخروجي و مفارقتي ، والآن أنت فرح بمفارقتي بقلبك ، و مظهر الأحزان بلسانك » .

أو أعرض عنك [ربك] في جواب مناجاتك ، أو عاقبك بتهوينك جناب قدسه بمشافهة الكذب والفرية ، كيف يكون حالك يا مسكين و يا مغبون و يا خاسر و يا مهلك نفسه ، و مضيع نعمه ربّه ، إذا أخذك ربك بكذبك و نفاقك ، و عاقبك في وداعك بعقاب الكذب والفرية ، هل لك حجة في دفع هذا العقاب ؟ .

وبالجملة إن كنت عارفاً بحرمة شهر رمضان بقدر منزلته عند الله ، و بقدر

فضله ونعمته عليك ، و عاملته بمقدار حسن صنيعه بك ، و كريم معاملته معك .
و تعرف ذلك إن تقدّره مثل ضيف كريم شريف نزل بساحتك ، فعزّ بنزوله
مقامك و كثر نفعك ، بما ورد في أخبار أعمال شهر رمضان .

و إجمال ذلك أنّه صار سبباً لنجاتك من السجين ، و بلغ بك إلى ذروة التقريب
في أعلى عليين ، مع الأنبياء و الصديقين ، و أقعدك في مقعد صدق عند مليك مقتدر
مع الأنبياء و المرسلين ، و الملائكة المقربين ، كيف يكون حالك مع هذا الضيف ؟
و ابتهاجك بصحبته ؟ و كيف تراقبه و تقديه بنفسك و أهلك ، و كلّ ما يعزّ عليك ؟
و كيف يكون وحشتك من فراقه ؟ فعند ذلك تكون في وداعه على حال يظهر منك
ما ظهر من وداع سيّد الساجدين ، و يودّعك شهر رمضان أيضاً بمثل ما تودّعه ، بل
وأفضل ، و يظهر في فراقك فوق ما أظهرت ، لأنّ العناية من العالي أتمّ و أكمل ممّن
دونه .

ثمّ إنّك إن وجدت حالك مختلفاً في أوقات الشهر ، و رأيته في بعض الأوقات
و الحالات صاحباً موافقاً لشهر رمضان ، فرحاً لصحبته ، مستنيراً من أنواره ، مستفيضاً
من بركاته ، و مقدّس فيوضاته ، عارفاً لقوائده ، شاكراً لنعمه ، ذاكراً لمنه ، مجدداً
في مراقبته ، حائزاً لذخائره ، فائزاً لجليل مآثره ، و في بعض الأوقات غافلاً عن
ذلك ، أو مخالفاً أحياناً لمقتضاه ، فعليك أن تشمّر في آخر ليلة منه أن ترضيه بالاعتذار
الصادق ، و إظهار الندم و التوبة عن ظهر القلب ، لا عن لقلقة اللسان ، فإنّه ضيف
كريم أرسله إليك أكرم الأكرمين ، لينفعك لا ليضرّك ، يرضى عنك بتلطّف يسير
في الاعتذار .

و عالج مصيبتك التي أوردتها على نفسك في طول الشهر بصدق الندم ، و خالص
الاستعداد ، و من التلطّف أن تقول :

« اللهم إنّك أكرمتنا بهذا الشهر العظيم بكرامة عظيمة لا يقدر قدرها أحد
و قد ضيعناها ، و ظلمنا فيه أنفسنا بما أنت أعلم به من كلّ أحد ، و هذا الشهر
قد تصرّم لياليها و أيّامها ، فالآن أدر كني نعمة من نفحاتك فاستيقظت من نومة

غفلتي و أدركت عظيم مصيبتني ، و جليل جنايتي ، و قد أشرفت على الهلكة ، وها أنا ذابن يدك ، معترف باسأئي، وإضاعتي لهذه الكرامة الفاخرة ، و تعرّضني للهلكة الدائمة ، والحسرة العظيمة ، فالآن من عذابك من يستنقذني ؟ و عمّا لزق بقلبي من آثار أعمالني المردية من يخلّصني ؟ و أنا مع ما فيه من سوء حالي ، و مهوى هلكتي استشعرت من تنبيهك و تذكيرك إياي أنّك لم تكن لي إلى نفسي و غفلتي ، و لم تغلق باب التوبة عنّي ، فلا أياس من روحك ، فأنّه لا يياس من روحك إلا القوم الكافرون ، و لا أقنط من رحمتك ، لأنّه لا يقنط من رحمتك إلا القوم الخاسرون .

فأسألك برحمتك التي أنجيت بها كلّ هالك من عبادك ، و بقبولك الذي قبلت به سحرة فرعون ، و باجابتك التي أجبت بها فرعون ، و أجبت أبغض خلقك إبليس حيث استنظرك ، أن تنجيني من هلكتي ، و تقبلني بقبولك ، و تجيب دعوتي في هذه الليلة ، فتبدّل سيئاتي بأضعافها من الحسنات ، و تمحواسمي في هذا الشهر المبارك من ديوان الأشقياء في مهوى السجين ، و تكتبني في ديوان السعداء في أعلى عليين ، و تلحقني بأوليائك السابقين ، و أصفياك المقربين ، بمحمّد و آلّه الطيّبين الطاهرين صلواتك عليهم أجمعين .

اللهم إنّ ذنوبي وقلة حيايي قد سوّدت وجهي عندك ، فبوجوه آل محمد صلواتك عليهم أتوجه إليك في قبولي وإجارتني اللهم إنّ الشهر دار ضيافتك ، و أنت كرهت للمضيف أن يمنع ضيفه القرى ، و إن كان الضيف ممّن لا يهلكه المنع ، و المضيف ممّن ينقصه الاحسان ، و أنت إذا منعني قراك ، بتّ طاوياً في حماك ، و وصلت إلى الهلاك يا من لا يزيد إحسانه إلا في ملكه .

ثمّ راقب أن تختتم الشهر بالصدق في الانابة ، و أن لا ترجع إلى ما كنت فيه من مخالفة مراد ربك و مولاك .

ثمّ تعمد في أواخر نهار اليوم الآخر ، الذي هو يوم عرض أعمال الشهر ، إلى أن تناجي خفير يومك من المعصومين عليه السلام و تنسبط في مناجاته بأدب التواضع و التوسّل

وتنشىء، لذلك من النطق والبيان ، ما يهديج عليك إشفاقهم ، ويستمطر عليك سحاب رافتهم و كرامتهم ، وأن تقوِّض أعمال شهرك إليهم بالاعتذار ، والتضرُّع في السؤال والابتهاال ، أن يصلحوها بشفاعتهم و دعائهم ، ويرغبوا إلى الله أن يقبلها بكرم عفوه ويبدِّلها بأضعافها من الحسنات ، وإن كان ذلك آخر النهار في السجدة حتَّى تختتم شهرك ساجداً جائعاً و تدخل إلى ليلة العيد ساجداً جائعاً ، أرجو أن تنال فوق أملك من كرامة الله جلَّ جلاله .

﴿ الفصل الثاني عشر ﴾

﴿ في مراقبة ليلة الفطر (١) ﴾

اعلم أن العيد عبارة عن وقت اختاره الله جلَّ جلاله من بين الأيام ، لاطلاق الجوائز و الإِنعام على العباد ، ليجتمعوا على أخذ الخلع والعطايا ، وأُذِّن بالاذن للحضور بين يديه ، والاستكانة لديه ، بالاعتراف للعبودية ، و الاستغفار عن ذنوبهم و عرض حوائجهم ، وبسط آمالهم ، و وعدهم في ذلك كَلِّه الاجابة لهم ، و إعطائهم فوق آمالهم ، بل فوق ما خطر على قلوبهم ، و أحبُّ لهم في هذا اليوم أن يحسنوا ظنَّهم إلى ربِّهم ، وأن يرجِّحوا رجاءهم لقبوله ، ومغفرته وعطاءه ، على الخوف من رده وعذابه .

و الخائب الخاسر في مثل هذا اليوم من غفل عن معنى العيد ، و اشتغل فيه بالنزئِن للناس ، وتصفيق اليد ، وترجيل الشعر عن مهامَّ أمر الاستعطاف ، والاسترحام من حضرة القدس ، و رضي للاستئناس بأمثاله من العوامِّ كالأَنعام ، عن الأُنس بمجالس الأطهار ، من خواص ربِّ العالمين ، من الأنبياء والمرسلين ، والشهداء و الصديقين بل استبدل دركات السجِّين ، عن درجات العلَّيين ، بل اشترى الخلود على الأرض ومهوى عالم الطبيعة ، عن جوار الله - جلَّ جلاله - جِبار السماوات والأرضين ، فياله من خسران ما أعظمه وأقبحه وأفضحه .

وكيف كان جعل الله شهر رمضان مضماراً للسباق بعبادته ، و ندب عباده يوم العيد ليجتمعوا على أخذ الجوائز والعطايا . فالخارجون إلى العيد طوائف : طائفة لم يعرفوا الصوم إلاّ تكليفاً ، و تكلّفوا بمجرّد الامساك عن الطعام و الشراب والنساء ، ورأوا ذلك خدمة ، وتخيّلوه طاعة ومنّة ، ولم يراقبوا جوارحهم عن المعصية ، و نقضوا صومهم بالكذب و الغيبة ، و هدموه بالبهتان و القرية ، وفحش الخادم والأذية ، وركبوا مع ذلك مراكب دالّة^(١) المطيعين ، ورأوا في صومهم كأنّ لهم المنّة على ربّ العالمين ، فافتضحوا بمعصيتهم و جهلهم عند أولي الألباب ، ولم يقع صومهم موقع القبول عند ربّ الأرباب ، فان كان حضورهم للعيد بحسن الظنّ إلى عناية الله جلّ جلاله ، واستغفروا في مصالّهم ربّهم من ذنوبهم ، لعلّ الله يعمّهم عند إطلاق الجوائز بالمغفرة ، ويشيهم بفضل به بعض المثوبات .

وطائفة عرفوا أنّ المنّة لله تعالى عليهم في التكاليف ، وأنّ الصوم لا يكمل إلاّ بكفّ الجوارح ، ولكن صاموا بالتكلّف وراعوا جوارحهم أيضاً ولكن ربّما خالفوا في ذلك ، و ارتكبوا معصية مع خوف و رجاء ، و عملوا بالمندوبات أيضاً بقدر نشاطهم وتركوها بقدر كسلهم ، و خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً ، وحضروا عيدهم بخوف و خجل ، وحياء و رجاء ، أو تلك الذين وعدهم ربّهم بالمغفرة والثواب ، وتبدّل سيّئاتهم بالحسنات ، ويوفّيهم جزاء عباداتهم فوق آمالهم من العطايات .

وطائفة صاموا مع الغفلة على العادة ، و كانوا في شهر رمضان أيضاً كغيره من الأشهر على غفلتهم و معصيتهم ، وحضروا العيد أيضاً على العادة ، وهم مرجون لأمر الله إمّا أن يشملهم عناية الله فيغفر لهم بمجرّد حضورهم العيد ، أو من جهة كرامة بعض أعمال العاملين من أهل الله ، أو يخرجهم^(٢) سوء أعمالهم عن رحمة الله ، فيلحقوا بالخاسرين .

وطائفة منهم أجابوا في شهر رمضان لنداء الله جلّ جلاله بالصيام و القيام ، و اجتهدوا في مراقبة الملك العلّام بكلّ جهدهم ، ولم يرضوا في تحصيل مراد الله جلّ

(١) من الدلال لا الدلالة (٢) يجرهم خ .

جلاله بخير دون خير ، وجدوا أن يحرزوا (١) كل الخيرات ، وأتوا بما أتوا وقلوبهم وجلة من استشعار التقصير في شكر نعمة تشریف هذا النداء ، وعارفة بقدر منة الله جل جلاله عليهم في إذنه لهم بالتقرب إليه ، والخدمة و العبادة له ، فقبل الله جل جلاله منهم خدمتهم ، و شكر سعيهم ، و أثابهم بكراماته ، و فنون عناياته ، و أكرمهم بزيادة هداياته ، و كساهم من أنوار قربه ، و ألحقهم بخواص أوليائه من أصفائه .

وطائفة ذهب لدّة نداء الله جل جلاله لهم بعناء الجوع و السهر ، و استقبلوه بالشوق و الشكر ، بل الوجد و السكر ، و جدوا بالسير و الاستباق ، و لبّوا خطاب ربّ الأرباب ، بالأسرار و الألباب ، و همّوا ببذل النفوس و الأرواح في كشف الحجاب ، و نالوا من قربه بالمراد ، و اتّصلوا بربّ العباد ، فقبلهم ربهم بقبول حسن و قرّبهم و أدناهم و أقعدهم مقعد الصدق في جواره ، مع أوليائه و أهل اصطفائه ، و سقاهم بكأسه الأوفى ، و جذبهم إلى مقام أو أدنى ، و نالوا من البهاء و النور ، و البهجة و السرور ، بما لم يخطر على قلب بشر ، و لم ير منه عين و لم يحك منه أثر .

و اعلم أن وقت ظهور آثار أعمال شهر رمضان ، و إعطاء جزاء عباداتها يوم العيد فمن أحسن مراقبة الله جل جلاله في ليلة عيده ، و عالج تقصيره فيما يجب عليه في شهر رمضان في ليلة الفطر ، و استأهل نفسه للتعبد ، و خلط نفسه في عباد الله الصالحين يرجي له أن يقبل الله تعالى يوم عيده كما يقبلهم ، و لا يقنطه من خاصّة ألطافه ، و لا يدأقه بتقصيره في عباداته ، بعد اعترافه بالتقصير ، و استعلاجه من كرم عفوه ، و يخلطه بأهل نواله من عبادة المكرمين ، و الشهداء و الصديقين .

ثم إن أمر عبادة هذه الليلة عظيم جداً لما روي من الامام السجّاد عليه السلام أنّه كان يوصي أولاده في حق هذه الليلة ، ويقول : « ليس بدون الليلة » يريد ليلة القدر هذا نص منه عليه السلام بأن ليلة الفطر ليس دون ليلة القدر ، فيلزم على العامل أن يزيد جدّه في هذه الليلة على ليلة القدر ، لأنّها جمعت مع شرفها أنّها وقت الجزاء و آخر العمل ، فيحتاج إلى الجدّ الشديد أيضاً .

و أهمّ الأمور في هذه الليلة بعد الاستهلال ، وقراءة دعاء الهلال من الصحيفة السجّادية ، والغسل ، أن يبسط في السلام والتضرّع إلى خفير ليلته من المعصومين ، ويتوسّل إليهم بالجدّ في إصلاحهم أعمال شهره ، ويسلم إليهم أعمال شهر رمضان ، و نفسه و قلبه ، و روحه و سرّه ، و ظاهره و باطنه ، و كلّه و جزئه ، و يستشفع بهم إلى الله في توفيق سنته إلى شهر رمضان القابل ، ويلحق بذلك توفيق عمره كلّه .

و بالجملة يهتمّ أن يصلح في هذا التوسّل جميع مفاسد شهره و سنته و عمره ، و يكمل جميع نواقصه ، و يكثر جدّه في التملّق و تلطيف معاني التضرّع والتوسّل و التسليم ، و يظهر كمال رجائه بقبولهم ، و يشكر الله جلّ جلاله من جهتهم ، ثمّ يحيي هذه الليلة بما ذكرناه في ليلة القدر من كليّات الأعمال القلبيّة و البدنيّة ، إلّا في بعض الأعمال المخصوصة لكلّ منها .

و من الأعمال المخصوصة بليلة الفطر الغسل عند الغروب ، و أن يقول بعد نوافل المغرب رافعاً يديه : «يا ذا المنّ والطول ، يا مصطفيّ محمد و ناصره ، صلّ على محمد و آل محمد ، واغفر لي كلّ ذنب أحصيته ، وهو عندك في كتاب مبين » ثمّ يخترُ ساجداً ويقول في سجوده مائة مرّة : أتوب إلى الله ، ثمّ يسأل حاجته فتقضى إن شاء الله .

و أن يكبر بعد صلاة المغرب و العشاء وصلاة الفجر و صلاة العيد ، وصورته أن يقول : « الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله والله أكبر ، والله الحمد ، الله أكبر والحمد لله على ما هدانا » والأحوط أن لا يترك هذه التكبيرات عقب الصلوة المذكورات .

و يستحبّ أن يصلي بعد المغرب و نافلتها ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة الاخلاص مائة مرّة ، و في الثانية فاتحة الكتاب و الاخلاص مرّة واحدة ، ثمّ يقنت و ير كع و يسجد ، و يسلم ، ثمّ يخترُ ساجداً لله و يقول في سجوده : أتوب إلى الله مائة مرّة ، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : و الذي نفسي بيده لا يفعلها أحد فيسأل الله شيئاً إلّا أعطاه الله و لو أتاه بالذنوب مثل رمل رمل عالج .

و إن كان له نشاط على الصلاة و صلى ركعتين بألف مرّة قل هو الله أحد في الأولى ، و مرّة واحدة في الثانية ثمّ يخترُ بعد التسليم ، و يقول في سجوده مائة

مرة أتوب إلى الله ثم يقول : «يا ذا المنّ و الجود ، يا ذا المنّ و الطول ، يا مصطفى
مُحَمَّدٌ صلّى على مُحَمَّدٍ و آلِ مُحَمَّدٍ و افعَلْ بي كذا و كذا - و يذكّر حاجته - و يدعو بعدها
بالدعاء المرويّ في إقبال سيّدنا قدّس الله سرّه تقضى حاجته .

و إن لم ينشط على ذلك صلّى عشر ركعات بالحمد مرة و الاخلاص عشر
مرّات ، و يقول مكان ذكر الركوع والسجود عشر مرّات : سبحان الله والحمد لله
و لا إله إلا الله والله أكبر ، ويستغفر الله بعد الفراغ ألف مرّة و يقول في سجدة الشكر :
«يا حيّ يا قيوم ، يا ذا الجلال و الاكرام ، يارحمن الدنيا والآخرة و رحيمهما ، يا
أرحم الراحمين يا إله الأوّلين و الآخرين ، اغفر لي ذنوبي و تقبّل صومي و صلاتي» .
و روي أنّ من فعل ذلك لم يرفع رأسه من السجود حتّى يغفر له ، و يتقبّل
منه صومه ، و يتجاوز عن ذنوبه .

و إن ثقل عليه ذلك فليصلّ أربع عشر ركعة في كلّ ركعة فاتحة الكتاب
مرة ، و آية الكرسيّ و ثلاث مرّات قل هو الله أحد روي أنّه من صلّى ذلك أعطاه الله
بكلّ ركعة عبادة أربعين سنة ، و عبادة كلّ من صلّى و صام في هذا الشهر .
و إن كسل عن ذلك كلّ صلّى ستّ ركعات بخمس مرّات قل هو الله أحد
في كلّ ركعة ، روي أنّه من صلّى ذلك شفّع في أهل بيته و إن كانوا قد وجبت لهم
النار^(١) .

و من أعمال اللّيلة إخراج الفطرة ، و ورد فيها أنّ الصوم مردودٌ إن لم يخرج
الفطرة ، و روي أنّ الفطرة تمام لما نقص من زكاة المال ، و أنّها من تمام الصوم
و أنّها بمنزلة الصلوة على النبيّ في الصلاة فكما أنّه لاصلاة لمن لم يصلّ على النبيّ
في صلاته فكذلك لا صوم لمن تر كها متعمّداً .

و يستحبّ للمعسر ، و إن لم يجد إلّا ما يؤدّي عن نفسه يعطيها بعض عياله ،
و يعطيها البعض على الآخر ، و يردّ دونها بينهم فيكون فطرة عن الجميع كذا ورد
في الرواية و يحتمل أن يكون المراد أن يعطي آخرهم إلى الغير .

(١) في الاصل بعد ذلك [و من أهميات الاعمال زيارة الحسين عليه السلام] و كانه سهوا لما سيحيى .

و يجب على كل حرّ بالغ عاقل يجب عليه زكاة المال أو [من] ملك نصاباً أو قيمته أو يجد صاعاً زيادة على قوت يومه فيه أقوال و الأقرب كما في الصحيح أنه لا يجب على من يجوزله أخذ الزكاة و الأحوط أن لا يتركها من يجدها ، و يجب على الغني أن يخرجها عن نفسه و عن كل من يعوله ، ولا فرق في ذلك بين الصغير والكبير ، والحرّ والعبد ، والمسلم والكافر ، والضيف من العيال ، نعم اختلف في تفسيره والأحوط تعميمه على كل من صدق عليه الضيف عند هلال شوآل ، والأقوى الاقتصار على صدق العيلولة عرفاً إلا في الزوجة و المملوك ، إذا لم يكونا في عيال الغير ، فالأحوط حينئذ أن يخرجها الزوج والمالك ، ويخرجها الزوجة بل الأحوط ذلك فيما إذا كانت عيالاً للغير أيضاً .

و أمّا جنسها فيكفي الغلات الأربع الزكويّة أو قيمتها ، والأولى أن يخرج من قوته منها ، و التمر أفضل ، و الأقوى لمن يخرج القيمة كفاية كل ما يتقوّم بالقيمة ولو كان ثوباً إلا الجنس العالي من الأدون ممّا يكفيه عينه كأن يخرج قيمة الشعير حنطة أقلّ من صاع وكان ذلك من بدع عثمان .

و أمّا قدرها فصاع ، وما ورد من كفاية نصف الصاع فمحمول على التقيّة ، و في كفاية أربعة أرتال من اللبن خلاف ، و الأحوط عدم ،

و أمّا وقتها تجب بغروب الشمس من ليلة العيد و قيل بطلوع فجرها ، ولا دلالة في مستنده عليه ، و يمتدّ إلى ما قبل الخروج إلى العيد ، و قيل إلى ما قبل الصلاة ، و قيل إلى الزوال ، و قيل إلى آخر النهار ، و قيل ما دام العمر ، و قيل بوجوب قضائها بعد وقتها ، و الأحوط أن يقصد بعد الخروج القربة إلا إذا عزلها قبل الخروج ، و قيل أوّل وقتها دخول الشهر و قيل غروب الشمس ليلة العيد ، و الأحوط الثاني إلا أن يعطي قرضاً و يحاسب بها بعد دخول العيد قبل الخروج .

و أمّا مصرفها فالأحوط إن لم يكن أقوى أن يعطيها الفقير الغير الهاشمي إذا كان المعطي غير هاشمي و كذا الأحوط أن لا يعطي لكل نفس أقلّ من زكاة رأس

و كذا الأحوط إن لم يكن أقوى أن لا يخرجها من بلدها ، هذا .
و العمدة في مقصدنا في هذا المختصر أن يتفكر العاقل في جعل هذا الحكم بأن جعل لهذا البذل اليسير هذه الفوائد الجميلة الجمّة ، فيشكر الله تعالى ، ويرى أن البخل بذلك المال اليسير هل يمكن أن يجتمع مع التصديق بالدين ، وما أخبر عنه سيّد المرسلين ﷺ و سلامة العقل ؟

و كيف يمكن [مع] الايمان بأن يكون في بذل صاع من شعير فلاحاً لبأذله ، وأماناً من خطر الموت ، وتماميّة للصوم والزكاة ، وفي منعه خطر الموت ، وردّ الصوم كيف يمكن أن يبخل عنه صاحب العقل السليم ، بل ولا يمكن أن يترك فيه الاحتياط عاقل ، بل لولم يكن فيه دفع مضرة وجلب نفع لابد للعاقل أن يستحيي عن مالك دينه ودينه في بخل هذا المقدار اليسير بعد هذا التأكيد و الاخبار بفلاح الباذل في القرآن و تقديمها على الصلاة في قوله تعالى : « قد أفلح من تزكى » و ذكر اسم ربّه فصلّى » كيف و هذا الذي كلّفك ببذله ذرة من عطاياه الكثيرة الجليلة الحاضرة عندك ، و مع ذلك هوضاً من لرزقك ورزق عيالك ، و قادر على منعك من عطاياه ، إذا خالفت كتابه و حكمه ، و هو مع ذلك يعدك الفلاح ، وإتمام نقص الصوم و الزكاة ، و دفع خطر الموت الحاضر إلى تمام الأجل ، و لعمري إن هذا لا يكاد أن يكون إلا من ضعف الايمان و الاسلام مع لئامة ووقاحة ، أو خذلان خاص من الله عقوبةً لذنوب عظيم و العياذ بالله من جميع ذلك .

و من أهم^(١) أعمال اللّيلة زيارة الحسين ﷺ و ختمها بما يختم به اللّيلي الشريفة من تسليم الأعمال على خفير اللّيلة على ما ذكرناه في غيرها .

(١) في الاصل : [و من أهميات] .

﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

﴿ في [مراقبات] يوم العيد ﴾

روى في الفقيه أنّه نظر الحسن عليه السلام إلى الناس يوم العيد يضحكون ويلعبون فقال لأصحابه و التفت إليهم : « إِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ خلق شهر رمضان مضمّاراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته و رضوانه ، فسبق فيه قوم ففازوا ، و تخلّف آخرون فخابوا ، فالعجب كلّ العجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ، و يخسر فيه المقصّرون ، وإيم الله لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسيء باساءته » و [زاد] في رواية أخرى : - « عن ترجيل شعر و تصقيل ثوب » .

أقول : من الأهمّ التوسّل والاستشفاع من حامي اليوم وخفيّره أوّل الطليعة والمبالغة في ذلك بقدر خطر أمر اليوم فإنّ خطره بقدر جميع أوقاته وحالاته من شهر رمضان ، لأنّه وقت ظهور الثمرة ، وإعطاء الجوائز ، و كشف الحجاب عن وجه القبول و الردّ ، والرضا و السخط ، و القرب والبعد ، و السعادة والشقاوة ، فيمكن للعبد السعيد أن يحسن أدبه في حضور هذا المقام ، و يعالج كلّ ما احتطب على نفسه في أيّام شهره و لياليه من الذنوب ، و أن يصلح كلّ ما ضيّع من المكّرم الإلهيّة والألطف الرّبانيّة ، و المراحم الرحيميّة والرحمانيّة .

وبالجملة يمكن أن يتدارك بلطف أدب الساعة كلّ ما قصّر فيه من مهامّ شهر رمضان و يبدّل سيئاته بأضعافها من الحسنات ، وينال إلى رفيع الدرجات .

ويتأكّد الغسل وينبغي أن يكون في نهر ، وإن لم يمكن ففي الظلال و تحت الحائط استظهاراً للتستّر وأن يقول عنده : « اللّهمّ إيماناً بك ، و تصديقاً بكتابك ، واتباع سنّة نبيّك صلى الله عليه وآله » وأن يسمّي ويغتسل ويقول بعد الفراغ : « اللّهمّ اجعله كفّارة لذنوبي ، وطهر ديني ، وأذهب عني الدّن » .

ثمّ صلاة الفجر كما ينبغي ثمّ الشكر بعدها والدعاء بما روي عن الشيخ الجليل

محمد العمري قدس سره العزيز .

ثم للمؤمن القائل بامامة صاحب الزمان عليه الصلاة والسلام - حجة الله ، إمام العصر ، وناموس الدهر ، سلطان الأمم ، عدل الله التام ، شمس الظلام ، والبدر التمام فرج الله القريب ، آية الله الكبرى ، و خليفة الله الأعظم ، الإمام ابن الإمام ، ابن الأئمة ، ابن النبي ، ابن الأنبياء ، أرواح العالمين فداء ، والمصدق بما وعد الله به من نصرة الحق ، ونشر العدل ، و محو الجور ، و بسط الفضل ، وظهور سلطانه على السلاطين كلها ، ودينه على الأديان كلها ، والناظر اليوم إلى غيبته ، وغضب أعدائه سلطنته ، وشدة حال شيعته ورعيته في سلطان هؤلاء الكفرة والفجرة ، وما يصل إليهم من قتل النفوس ، وهتك الأعراض ، وغصب الأموال ، وسوء الحال ، و مقام الذل والابتذال ، أن يتبدل فرحه بالحزن الشديد ، وضحكه بالبكاء ، وعيده مأتماً ، ويقرأ دعاء الندبة ، ويبكي بكاء الشكلي ويدعو لفرجه .

وبالجملة إذا أراد التهيب للخروج ، يفطر بتمرة أو تمرات قبل الخروج ناوياً امتثال أمر الله في الافطار ، ويدعو بما ورد فيه من الدعاء فإن فيه أيضاً ذكر إمامه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه ، وليتأمل في مضمون الدعاء فإنه صريح في أن الخروج إلى الصلاة وفادة إلى الله جل جلاله فليكن عليه سمة وفده تعالى ، فإن قدر أن يتأدب حق أدب هذا المقام بقدر عظمة الله ، ومعرفة منة الله جل جلاله عليه في الاذن بالفادة ، بل الدعوة إلى هذه الكرامة ، فليفعل ، ولكن هيهات هيهات للمخلوق الضعيف أن يستطيع أداء حق هذا المجلس من التواضع والهيبة والشكر إلا أن يأتي بما يقدر مع الاعتراف بمقدار القصور .

وإن ضعف عن إتيان مقدار قدرته في عمله فلا محالة من أن لا يكون حضور هذا المجلس أهون عليه من حضور مجلس سلطان زمانه ، بأن لا يغفل عن السلطان لاسيما عند مخاطبته ، فلو علم سلطان من رعيته أن قلبه مشغول عنه إلى غيره فلا محالة من أن يطرده من مجلسه ، ويمنعه عن حضوره ، ويحرمه من عطايه ، ولا سيما إذا كان هذا الغير الذي هو مشغول به عدو السلطان ، وعند ذلك يأخذه بأشد غضبه ، وأنت إذ تأملت

فيما يشغلك عن ربك لرأيتك زهرة هذه الدنيا التي هي عدوة لله ولأوليائه أو شيئاً من متعلقاتها .

فاحذر من أن تهوّن هذا المجلس فأنه مقام كريم ، ومجلس عظيم ، حضّاره الملائكة المقرّبون ، والأنبياء والمرسلون ، والشهداء والصدّيقون ، وعباد الله الصالحون واخجل من أن يكون حضّار المجلس على أحسن الهيئات ، مطهّرين ، مقدّسين ، منيّين على رؤسهم تاج الكرامة من مراقبة الله جلّ جلاله ، وعلى أبدانهم خلع القبول من إقبال الله ، وقد ألبسوا قلوبهم شعار الاشتغال بالله ، وأبدانهم لباس العصمة عن معصية الله ، وزيّنوا أيديهم بخاتم الامساك عن بسطها في معصية الله ، وانتعلوا بالمنع عن المشي فيما حرّمه الله ، ورأسك مكشوف عن عمامة المراقبة ، وقلبك متدنّس بمحبّة عدوّ الله ، وبدنك عريان عن لباس الاعتصام عن مخالفة الله ، ويدك متختم بخاتم الظلم على عباد الله ، ورجلك حاف عن المشي إلى طاعة الله (١) .

و كيف بك لو كشف عن بصيرتك الحجاب ، ورأيت بدنك متلطّخاً بقاذورات المعاصي ، و حقيقتك مبتلاة بأنواع الأدواء المشوّهة المنفّرة ، و الصور القبيحة المنكرة ، والهيئة الفاضحة الخاسرة ، من البرص والجذام ، والزمانة والزرق وسائر الأسقام ، وهل تحضر وأنت بهذه الصفات و الهيئة موائد الأطهار الأشراف المقدّسين والأعيان الأبرار المطهّرين من كلّ شين ، وببالي أنك لو رأيت صورهم الباطنية ، و جمالهم الروحانية ، و جلالهم الربّانية ، لامتنت عن ملاقاتهم ، و تخفّيت عن مجالسهم ، فضلاً عن حضور موائدهم ، بل ولو ضربوك ألف خشبة لم ترض أن تريهم نفسك ، وأنت بهذه الكثافة والرجاسة .

فانظر يا أخي على سوء حالك ، ووزرك ووبالك ، وتحقّق اضطراك إلى ستره سوءتك ، وتغيّره مساويك إلى المحاسن ، فراجع باب كرم الحضرة الإلهية ، وناذه بيا أكرم الأكرمين ، ويا مجيب دعوه المضطّرين ، أرحم ذلّي وذلّتي ومهاتني ممّا فعلت بنفسي وأنت أرحم بي من نفسي لاسيما في مثل هذا اليوم الذي دعوتني فيه إلى الوفود عليك

(١) إلى بيوت الله .

وأنا ضيفك فلا ترض بافتضاحي بين أضيافك ، وأصلح شأني وقدّم لي من خلعتك على أهل ضيافتك ، ما أئسّرت به عن قبائحي وفضائحي وأتجمّل به مع المتجمّلين من نواقصي في ملابسي .

وإن راجع ربّه عن حقيقة الاضطراب فمحال أن لا يجيبه ، وقد أنزل في ذلك قرآناً وقال عزّ من قائل : « أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ » ولكنّ الكلام في تحقّق الموضوع ، لأنّ العامّة غالباً غافلون عمّا أوردوا على أنفسهم من الصفات الخبيثة ، والهيئات المنكرة ، وعمّا فيه أهل الفضائل والفواضل ، من الصفات الحسنة ، والهيئات الجليلة الجميلة البهيّة ، والأحوال السنيّة ، حتّى ينجسوا ويضطربوا عن وجه الحياء على ستر قبائحهم ، والتستّر عن فضائحهم ، وإن عملوا في ذلك شيئاً فعن اعتقاد ضعيف من مسموعات اتّفاقيّة وذلك لا تؤثّر في الخجل و الحياء مطلقاً فضلاً عن حياء مقتض للاضطراب

وبالجملة لو تحقّق الحياء الموجب للاضطراب ، تحقّقت الاجابة ، و كشفت السوء ، و علامته أن يكون في حضور عيده منكسر القلب ، خائفاً من الردّ ، و راجياً للعفو و الفضل ، يبسط رجاءه و آماله إلى كرم الربّ ، و يخلط نفسه في عباد الله الصالحين في توقّع رحمته و عنايته ، ويدفع خوفه بأنّ اليوم يوم إطلاق الجوائز وشمول الفضائل ، ولكن مع ذلك ينظر من طرف خفيّ إلى عظمة جلال الله وعظيم جنابته ، ويكون عليه سمة المقصّرين الالّاّذين بأذيال عفو كريم العفو ، و يكون كلّ جدّه و همّه في الاستغفار والاسترحام ، واستكشاف آثار القبول .

ويلتجئ إلى خفرائه وحماته من المعصومين عليهم السلام في الشفاعة ، ويقسم على الله بحقّهم و جاههم عند الله أن يكرمه بعفوه ، ولا يحرمه من خاصّ فضله ، ولا يعرض عنه بوجهه الكريم ، وأن يقبله بهم و يعامله معاملة حزّ بهم و مواليهم ، وإذا تحقّقت هذه الأحوال يكشف عن شمول الفيض الأقدس ^(١) فليحمد الله على النجاة و الخلاص

من خطر الهلاك ، وليحذر نفسه عن الغفلة والتعرض للهلاك الدائم فيما بعد بحول الله وقوته .

ثم إنّ هذا الذي ذكرت من الاضطراب إلى الستر ، لا يتحقق إلاّ فيمن يرى بعين البصيرة قذارة الذنوب على جوارحه ، ورجاسة عيوب القلوب على وجه روحه ونفسه ، حقيقة لا مجازاً ، ورأى هذه القذارات والأرجاس أفقر وأنجس وأخبث من قذارات عالم الحسّ ، وأنتن من هذه الجيف الدنيويّة ،

وليقدّر نفسه في حضرت سيّد المرسلين ، والأئمة الطاهرين ، والملائكة المقرّبين ، وسائر الأنبياء والمرسلين ، فكيف يكون حاله ؟ وببالي أنّ الإنسان إذا ابتلى بعشر هذا الافتضاح يودّ أن يخسف به الأرض ، ويخلص بذلك من هذه الفضيحة أما سمعت قول مريم الصديقة عند فرض الافتضاح بين هؤلاء العامة قالت مع طهارتها عند الله عزّ وجلّ وأهل الملأ الأعلى : « يا ليتني متّ قبل هذا و كنت نسياً منسياً » .

وكيف كان كلّنا مضطربون إلى ستر الله الجميل ولو هتك سترنا عنّا افتضحنا . ومن جملة ستره الجميل هذه الصورة الانسانيّة ، فلو كشفها ورأى الناس صورتنا الواقعيّة لخزينا ، فإنّ صور الأرواح إنّما تناسب الأخلاق والصفات ، فمن كان الغالب عليه صفة الغضب مثلاً فصوره روحه صورة الكلب ، وهذه الصورة الانسانيّة من جملة الأستار الإلهيّة على وجه روحه وحقيقته ، ستره عن أعين الناس لئلاّ يفتضح ، حتّى يعالج خلقه بدواء الحلم حتّى يصير الغضب شجاعة فيتغيّر صورة الكلب إلى صورة إنسان شجاع ، وهكذا ، ولذا كان السلف يتصفّحون كلّ يوم صورتهم بالمرآة وغيرها حتّى يطمئنّوا عن المسخ والتغيّر وبقاء ستر الله ، وهذه الصور الحقيقيّة قد يترأى لبعض الأولياء ويرون الناس على هذه الصور .

وقد روي أنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام كشف لبعض الرواة عن صور الحجّاج فما رأى فيهم على صورة إنسان إلاّ نفسين .

ثمّ إنك إذا أردت أن تخرج إلى الصلاة مع إمام أو كنت أنت إماماً للناس

فلك أن لاتغفل عَمَّا ورد عليك من المصيبة بغيبة إمامك حيث إن صلاة العيد من حقّه الخاصّ به وهي من مقاماته المعروفة .

إذا أسفرت في يوم عيد تزاحمت ☆ على حسنّها أبصار كل قبيلة
فأرواحهم تصبو لمعنى جمالها ☆ وأحداقهم من حسنّها في حديقة
وعندي عيدي كل يوم أرى به ☆ جمال محيّاها بعين قريرة
فانظر إلى ما صار الحال حتّى تبدّل الصلاة مع الامام ﷺ بالصلاة معك و
أمثالك وتفكّر في زمن حضوره ، و اجتماع المؤمنين لصلاته ، و صلاتهم معه ، و قدّر
في نفسك كيف كان حال المؤمن إذا كان الخطيب إمامه ، يزور جماله ، و يسمع كلامه
ويتلقّى من علومه .

ثمّ انظر إلى ماورد في الأخبار من بركات زمن حضوره وأنواره ، و نشر العدل ،
وطيّ الجور والبغي ، و عزّة الاسلام ، و حرمة القرآن ، و رواج الايمان ، و تكميل
العقول ، و تزكية القلوب ، و تحسين الأخلاق و رفع الشقاق ، و دفع النقاق ، فناده بعالي
صوتك ، و اعرض بلسان شوقك إلى مقدّس حضرته : « هل إليك يا بن أحمد سبيل فتلقني
متى يتّصل يومنا منك بغده فنحطى ، متى نرد مناهلك الرويّة فنروى ، متى ننتفع
من عذب مائك فقد طال الصدى ، مولاي يا سيّدي متى ترانا و نراك ، و قد نشرت
لواء النصر ترى ، مولاي ، متى ترانا و نراك فتقرّ عيوننا بزيارتك ، و نهتدي بهداك
فتخبرنا عمّا أشكل علينا من حقائق الأمور ، و تنحلّ بك العويصات ، و يرتفع بك
الجهالات ، و يتمّ بك الكمالات .

سيّدي و مولاي ، يا أُملي و رجائي ، ليت شعري إلى مَ تصير عاقبة أمرى ؟
أتقرّ عيني بنور جمالك ، و أروى من عذب وصالك ، أم أذهب بهذه الغصص إلى قبري
وأموت بغصّة بعد غصّة ، و بحسرة بعد حسرة ؟ سيّدي يميني طول فراقكم ، و
يحينني رجاء وصالكم ، و ما أخبرتكم به من علائم ظهوركم ، كيف؟ لولا هذه المواعيد
في الأخبار ، و ما نترقّب به ظهوركم من الآثار ، صلوات الله و سلامه على من أحيانا

بها وأخبرنا عنها لأنّها اليوم سبب حياة عبيدكم التائبين إليكم ، المشتاقين إلى
وصالكم ، ويقول لسان حال كلّ منّا .

أوعدوني أوعدوني واطلوا ☆ حكم دين الحبّ دين الحبّ لي
روح القلب بذكر المنحني ☆ وأعده عند سمعي يا أخي
سيّدي لو لا ما وصل إلينا أنّ الفرج بعد الشدّة لكانت هذه الشدائد أشدّ
على قلوبنا ونفوسنا من أن نتحمّلها ، ولكن من أجل أنّها من علائم الفرج يهون
علينا ، بل ربمانشتاق إليها لنصل بها إليكم .

سيّدي قد طالّت المدد ، ومدّ الأمد ، ننتظر أمركم ، ونحیی بذكركم ، و
نتصفّح^(١) آثار ظهوركم ، سيّدي ! اشتدّ الأمر ، وكثر الظلم والجور « ظهر الفساد
في البرّ والبحر » ولم يرمثل اليوم فساد في الأرض برّها وبحرها ، وانضمّ إليها
الهوى ، والتهمت نيران الأهوية ، وأحرقت العالم ، خربت منها البلاد ، وفنى
منها العمران ، وهلك الإنسان ، والحيوان والحيتان .

سيّدي ! عظم البلاء ، وبرح الخفاء ، وإليك المشتكى ، سيّدي ! فراقك وهجر
أعظم من جميع ذلك ، وإلّا والبلاء معك نعمة ، والأذى دونك راحة ، سيّدي !

وتلافي إن كان فيه ائتلافي ☆ بك عجل به جعلت فداك
وبماشتت في هواك اختبرني ☆ فاختياري ما كان فيه رضاك
فعلى كلّ حالة أنت منّي ☆ بي أولى إذ لم أكن لولاك

مولاي !

لك في الحيّ هالك بك حيّ ☆ في سبيل الهوى استلذّ الهلاك
عبد رقّ ما رقّ يوماً لعقّ ☆ لو تخلّيت عنه ما خلاك
بجمال حجبته بجلال ☆ هام واستعذب العذاب هناك

مولاي ! يا أملي :

ذاب قلبي فائذن له يتمنّى ————— اك فيه بقيّة لرجاك

أؤمر الغمض أن يمرَّ بجفني ☆ فكأنِّي به مطيعاً عصا
ففعسى في المنام يعرض لي الوهـــــــــــــــــــــم فيوحي سر إليُّ سراكا
باحبيبي :

وإذا لم تنعش بروح التمني ☆ رمقي و اقضى فنائي بقاكا
و حمت سنة الهوى سنة الغمض ☆ جفوني و حرمت لقيكا
أبق لي مقلة لعلّي يوماً ☆ قبل موتي أرى بها من رآكا
آه :

أَيْنَ مَنْيَّ مَا رَمَتْ هِيَهَاتَ بَلْ أَيْ-----نَ لِعَيْنِي بِالْجَفْنِ لَمْ تُرَاكَ
مولاي :

☆ فبشیری لو جاء منک بعطف
سیّدی ومولای! یا امامی :
وجودی فی قبضتی قلت ها کا

☆ بانكساري بذلتی بخضوعي
☆ بافتقاري بفاقتي بغنا كا
☆ لا تكلني إلى قوي جلد خا
☆ ن فانی أصبحت من ضعفا كا

سَيِّدِي إِذَا تَفَكَّرْتَ فِي وَصَالِكَ ، وَ لَذَّةَ لِقَائِكَ ، وَ تَأَمَّلْتَ فِي أَحْوَالِ مَنْ قَرَّبْتَهُمْ
مِنْ جِوَارِكَ ، وَ مَنَحْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِفْضَالِكَ ، وَ شَرَّفْتَهُمْ بِزِيَارَةِ جِهَالِكَ ، وَ أَكْرَمْتَهُمْ
بِتَعْلِيمِكَ ، وَ مَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بِسُقْيِ كَاسَاتِ التَّوْحِيدِ ، وَ شَرَّفْتَهُمْ بِمَقَامِ الْجَمْعِ مَعَ أَهْلِ
التَّوْحِيدِ ، كَادَ أَنْ يَنْصُدَعَ قَلْبِي مِنَ الْحَسْرَةِ ، وَ يَنْشَقُّ فُؤَادِي مِنَ الْغِيْرَةِ .
آه آه ، «أَيَا وَيْحَ قَلْبٍ مِنْ بِهِ مِثْلُ مَا بَيَا» .

ويا جلدی بعد النقا ست مسعدی ☆ ویا کبدی غیر اللقاء فلتفتت

سَيِّدِي ! ليس حال طالبي حضرتك كأحوال سائر المشتاقين ، لأنَّ جمالكَ لا يقاس بجمال سائر المعشوقين ، و جلالكَ ليس كسائر الجلالات ، إذ ليس غيركَ مطلوب و محبوب هو علَّةُ إيجاد محبَّه و طالبه ، محتاج إليه في كلِّ حاله في جميع شؤونه ، بل ليس في عالم الحسنِّ جمالٌ إلَّا و هو مظهر شيء من جمالك ، ولا جلالٌ إلَّا

وهو أثر من آثار جلالك .

ولو أن كل الحسن يكمل صورة ☆ وراك كان مهلاً ومكبراً
لأن جمالك مظهر جمال الله الجميل ، و جمال غيرك من مظاهر جمالك ، و
هكذا جلالك مظهر جلال [الله] الجليل ، و جلال غيرك مقتبس من جلالك ، وأنت
أصل كل جمال و جلال ، وأنت المراد بأبهى البهاء ، وأجمل الجمال ، وأجلّ الجلال
في دعاء السحر ، وأنت نور الله الأ نور ، وضياؤه الأ زهر .

وأيضاً ، ليس هجرك و قلاك مثل هجر غيرك من المطلوبين ، لأن مهجور
غيرك ينسب الهجر إلى المطلوب ولا ملام عليه في هجر محبوبه إياه ، و مهجورك ملام
في نفسه ، ولام عند الناس ، ولا سلوة له ، لأنه لا يمكن أن ينسب إليك أنك غير
و في ، أو أنك غير محب لمحبك ، و جميع محبيك يعتقدون أن حبك و وفاءك
أكثر من حبهم و وفائهم ، فاذا هجرتهم يكشف ذلك عن تقصيرهم ، و قصور حبهم
يكشف عن عدم تمييزهم ومعرفتهم ، فمهجورك أخسر الخاسرين إلا أن يسلي نفسه
بالتسويق ، و صلاح زيادة الثواب و لكن أي ثواب عندا لمحب أعظم من لقاءك .

مولاي ! فداك جميع من سواك ، بنفسي أنت من أثيل مجد لا يحاذى^(١) ، بنفسي
أنت من نصيف شرف لا يساوى ، إلى متى أحار فيك يا مولاي ؟ و إلى متى ؟ و أي
خطاب أصف فيك و أي نجوى ، عزيز علي أن أرى غيرك متصرفاً في مملكته ، و
حاكماً في رعيته ، بل في أهلك ، بمرئ منك و مسمع ، و هم يلودون و يستغيثون
بك فلا يجابون .

سيدي ! هذا ممالكنا دخلت بها الكفار من غير إذننا ، يحكمون فينا و في
أنفسنا و أموالنا بما يريدون ، و هذا سلطاننا فهو كالأسير الممتن ، فيالله من هذه
المصائب العجيبة ، و الشدائد المهلكة ، فانالله وإننا إليه راجعون ، من مصيبة فقدك
وطول غيبتك ، و قد صار حال شيعتك كقطائع غنم غاب عنها راعيها ، و شدت عليها
الذئاب من كل جانب ، تأخذ منها ما تريد أكله ، و تقتل^(٢) الباقي لما بعدها .

سيدي ! هذه مصائبنا و الذي يصل إليك منها أو جمع لنفوسنا ، وأولم لقلوبنا
مما يصل إلينا ، لأننا نعلم رأفتكم لشيعتكم ، و غيرتكم ورقة قلوبكم ، أليس جدك
أمير المؤمنين يشكو مما أخذه عسكر معاوية ابن أبي سفيان من خلخال الذميمة و
يقول : «لومات المسلم من هذا الأمر لم يكن عندي ملاماً». فكيف بكم إذا علمتم ما
يفعل بالمسلمات من السبي ، وقطع الشعر والثدي ، ساعد الله قلبك يا مولاي ، وإلى
الله المشتكى ، وإلى سيد الورى محمد المصطفى وإلى علي المرتضى ، و سيدة النساء
وإلى آبائك الطاهرين أئمة الهدى ، وليوث الوغا ، وإلى حمزة سيد الشهداء ، وإلى
الطيّار في الملاء الأعلى ، من هذا الخطب العظيم ، والشأن الفظيع .

فأغث يا غياث المستغيثين ، عبيدك المبطلين ، و أرهم سيدهم يا أرحم الراحمين
و أزل عنهم به ظلم الظالمين ، و سلطان الكافرين ، و كيد المخالفين ، و عجل فرجهم
بفرج وليك سلطان السلاطين ، سيد الخلائق أجمعين ، و املا الأرض قسطاً وعدلاً
وقد ملئت ظلماً وجوراً .

و أقر عيون المؤمنين بجمال ولي الدين ، و أوفر نصيبهم بظهور جلاله في
العالمين ، و أظهر عدلك الأعظم ، و سلطانك الأجل الأفخم ، فأقم به الحق وأدحض
[به] الباطل ، و أدل به أوليائك ، و أذل به أعدائك ، و انتقم به من ظالمي أوليائك ، و
معاندي أصفياك ، و عجل باظهار ما وعدته من نصر المؤمنين ، و عاقبة المتقين ، يا
أصدق الصادقين ، و يا أقدر القادرين .

و بالجملة إذا غاص السالك في هذا البحر ، و اهتم بهذا الأمر ، و تضرّع من هذه
الضواجر ، لا بد أن يتغيّر حاله ، و يتبدّل فرجه بالحزن ، و عيده بالمأتم ، و يحضر
المصلّى مع حسرة و انكسار ، و الله تعالى عند القلوب المنكسرة ، و إذا انضم إليها
حسرة الجهات السابقة ، من جهة استشعار النواقص الباطنية ، و الأكدار الروحانية
و خرج من بيته إلى المصلّى مشغولاً بالدعاء المأثور في الطريق ، تم له عند ذلك
أسباب الالتجاء ، إلى باب الفضل و الكرم و الجود ، من مالك النفوس و الأرواح
و الوجود .

ويجعل صلاته تحت السماء ناوياً بذلك استظلاله في ظلّ عناية الله ، ويقعد على التراب ناوياً بذلك التذلل لربّ الأرباب ، و الانتقال من المعصية إلى الطاعة ، ومن التكبر إلى التواضع ، و من رؤية النفس إلى مقام الفناء ، ليكمل عند ذلك روح التوجّه في الصلاة لأنّ التوجّه و الاستقبال عبارة عن الانقطاع الكلّيّ عن الكلّ والتوجّه بالكلّ إلى وليّ الكلّ ، و مالك الكلّ ، و خالق الكلّ ، ويستقيم معنى القيام على القدمين أيضاً من الخوف والرجاء ، والرغبة والرغبة .

فليجتهد في تحصيل روح التكبير فانّ صلاة العيد فيها زيادة اهتمام لأمر التكبير ، ولا تنس ما قاله الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة من قوله: فانّ الله إذا اطّلع على قلب العبد و هو يكبر ، و في قلبه عارض عن حقيقة تكبيره ، فقال : يا كذاب أتخدعني ! و عزّتي و جلالتي لأحرمنك حلاوة ذكرى ، و لأحجبك عن قربي والمسرة بمناجاتي .

ثمّ إنّّه من مهمّات ^(١) هذه الصلاة و هذا الخروج أن يكون الخارج عارفاً بما أريد منه من هذا الخروج ، و من هذه الصلاة ، و ما يناسب أن يكون عليه من الأحوال و المراقبات مع الله جلّ جلاله ، و ذلك أنّ التكليف بالصلاة كلّها و إن كان من باب العناية و اللطف و إحضار العبيد لمقام الحضور إلّا أنّ بعضها تختصّ بزيادة جهة الرهبة ، و بعضها لمحض إنجاز الرغبة ، مثلاً صلاة الآيات أيضاً شرّعت بالعناية و اللطف و لكن في مقام خوف الغضب و نزول البلاء ، لتحصيل الأمن من شمول البلاء ، و دفعها بالصلاة ، و صلاة العيد ليس إلّا لأخذ الجوائز ، و تكميل النواقص ، و إعطاء المواهب .

و بالجملة أصل بناء هذا المقام و تشريع العيد والخروج إلى الصلاة من أجل إظهار الرأفة و الرحمة ، و بسط الجود و الكرم و الافضال للرعيّة ، و الاذن العامّ في هذا المقام يقتضي طيّ بساط القهر و الغضب ، و نشر ألوية ألطاف الربّ ، و لا يناسبه الخوف و الرهبة ، و إن كان على العبد ذنوب العالمين ، و يحسن في هذا الموقف إحسان

(١) في الاصل [من أهميات] .

الظن بالله ، و الرجاء لعظيم منح الله ، و كريم عطاياه ، فبقدر حسن الظن بالله ، و اللطف في الاستعطاف ، والتأدب بأدب الثقة بمواعيد الله تعالى ، يزداد فيه الجوائز ، و يستمطر سحائب الجود ، و يظهر اسم السعود .

وليس في أمثال المقام للعبد مظنة خوف و غضب إلا لمن أساء ظنه بمواعيد الله و لم يقو رجاءه بفضل الله ، و احتمل أن ينقص شمول أطفاف الله مثله ، فهذه الأمور في هذه المواقف مظنة الحرمان ، و الاعراض عنه بالعطف و الاحسان .

فيجب بحكم العقل والأدب والايمان ، أن يكون رجاء العبد إلى الصفح والعتو والافضال ، و بلوغ الأماني والآمال ، أقوى من خوف الأخذ والخزي والنكال ، و يخلط نفسه في عباد الله الصالحين ، و إن لم يكن منهم ، و يتوجه إلى حضرة القدس بوجوه أوليائه المتشرفة عنده و إن كان وجهه خلقاً مظلماً من ظلم المعاصي ، فانه تعالى لا يناقش في هذا اليوم في ذلك ، لأن تعميم الاحسان في أمثال المقام لا يخالف الحكمة ، فلأمانع من شمول النوال ، وبسط الجود و الافضال .

و بالجملة يحضر المصلّي بعد هذه التأثيرات ، مع الاستحياء ، و عظيم الرجاء و ينظر من طرف خفي من الحياء ، و عين ممدودة بالرجاء ، و يصلّي بآدابها و شروطها إن شاء جماعة و إن شاء فرادى ، بما يقتضيه حاله برعاية الاخلاص ، و إن قدر على الجماعة فهي أولى و إن صلى فرادى يختار أن يصلّي ركعتين ، أو أربع ركعات يقرأ في الأولى تسبيح اسم و الشمس و في الأخيرتين و الضحى و قل هو الله أحد ، و يكبّر في الأولى سبع تكبيرات : تكبيرة الاحرام ، و خمس بعد القراءة يقرأ بعد كل منها الدعاء المعروف : « اللهم أهل الكبرياء » الخ فيكبر للركوع ، و إن شاء غيره من الدعاء و إذا فرغ من الصلاة كبر بالتكبير المذكور ، و سبح تسبيح الزهراء صلوات الله عليها ، و دعا بالدعاء الذي رواه عقيب الصلاة و هودعاء جامع جداً .

ثم يراقب اليوم بذكر و دعاء ، و يكثّر منه ، لارسال الشياطين الذين كانوا في شهر رمضان محبوسين مغلولين عن إغرائه و إغوائه ، ولعله يتخلص منهم بالدعاء

و التضرّع إلى الله جلّ جلاله في حفظه عن شرّهم .
ثم يقرأ دعاء الندبة عن حضور القلب فإنّ فيه من علم معاملته جلّ جلاله مع
أنبيائه وأوليائه ، و أدب معاملة الرعيّة مع الامام ، حظاً كاملاً لأهل اليقظة .
ثم يختم يومه بما ختم به الأيام الشريفة من التوسّل والاستشفاع ، والتفويض
بخير يومه من المعصومين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ولا يسامح في ذلك فإنّه
من مهام الأمور .

﴿الفصل الرابع عشر﴾

﴿في ذكر شهر شوال﴾

عن النبي ﷺ : سمّي شوالاً لأنّ فيه شالت ذنوب المؤمنين ، أي ارتفعت .
في الاقبال: «إنّ الدخول في شهر شوال فهو كما قدّ مناه من الدخول في [شهر]
رجب ، فإن ظفرت به ففيه بلاغ في المقال ، فإن لم تظفر بما أشرنا إليه فليكن دخولك
في شهر شوال دخول المصدّقين ، فإنّه شهر حرام ، له حقّ التعظيم بالمقال والفعال ،
كمن دخل في دروب مكّة إلى مسجدّها الأعظم ، فلا بدّ أن يكون لدخوله كيفة
على قدر تصديقه صاحب المسجد المعظم ، فاجتهد أن يكون قلبك و عقلك مصاحباً
له بالتعظيم ، و جوارحك محافظة على سلوك السبيل المستقيم ، فمن عادة المملوك
المؤدّب الكامل أن يكون موافقاً لما لكه في سائر مسالكه » . انتهى .

نقلناه بطوله لما فيه من الفوائد ، ولكن ما فيه من كون شوال شهر حرام
خلاف المشهور بل الذي يفهم من كلمات بعض الأعلام عدم وجود القائل به ، حيث
ذكر في قبال القول المشهور القول بأنّ أشهر الحرم من عشر ذي الحجة إلى عشر
من ربيع الآخر .

نعم روى في الوسائل ما فيه عدّ شوال من [أشهر] الحرم وإخراج محرّم منها ، و
يحتمل بعيداً أن يكون عبارة السيّد «فإنّه شهر إحرار» و كيف كان يكفي في لزوم تعظيمه

كونه شهر إحرام لزيارة بيت الله لأنه لا بد أن يكون له خاصّة اقتضت كونه من أشهر الحجّ و وقتاً لتشريع نسك الحجّ والزيارة فيه ، وهذا الأمر من مهامّ الأمور عند العبد المراقب في معاملة موله .

ثمّ إنّه ورد في الأخبار صوم ستّة أيّام بعد العيد ، ولكن في أخبار آخر أنّه لاصيام ثلاثة أيّام بعد العيدين فيحمل هذه الستّ إلى ما بعد ثلاثة أيّام .
و روي أيضاً أن صوم شهر رمضان وشوّال و كلّ أربعاء وخميسين ، بدل صوم الدهر ، و من صامها دخل الجنّة .

﴿ الفصل الخامس عشر ﴾

﴿ في [مراقبات] شهر ذي القعدة الحرام ﴾

أقول : هذا أوّل أشهر الحرم الّتي حرّم فيها القتال مع الكفّار ، و العاقل يتنبّه من ذلك [إلى] حكم المحاربة و المخالفة مع الله جلّ جلاله ، فاجتهدى يا نفس في حفظ قلبك وبدنك في هذه الأشهر زيادة على ما يجب في سائر الشهور ، من مخالفة الله جلّ جلاله ، في شيء من أحكامه ، بل في الرضا على قضائه ، فيما يقتضيه لك من البلاء يا و المصائب ، فإنّه شهر حرام يزايد حرمة على سائر الشهور بما منع الله تعالى فيه المحاربة مع الكفّار ، فليكن حفظك بحرمة من قبيل ترك المخالفة و بسط الرضا معه حلّ جلاله فإنّه ربّ شكور يشكر لرضاك برضا عنك ، و إن علمت شرف رضا ، رضيت في تحصيله أن تقتل و تقطّع أعضائك إرباً إرباً ولا يفوتك هذا الشرف .

و أحدث في ذلك توبة صادقة عمّا كنت عليه قبل دخول هذا الشهر فان عملت بما روي من عمل التوبة في يوم الأحد من الشّهر المذكور تنال ما فيه من الفضل المذخور ، وذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنّه خرج يوم الأحد في شهر ذي القعدة فقال : يا أيّها النّاس من كان منكم يريد التّوبة ؟ قال الراوي : قلنا كلّنا نريد

التوبة يارسول الله ، فقال : ﷺ اغتسلوا وتوضّأوا وصلّوا أربع ركعات و اقرؤوا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرّة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرّات والمعوذتين مرّة ثم استغفروا سبعين مرّة ، ثم اختتموا بالاحول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم ، ثم قولوا : «يا عزيز يا غفار اغفر لي ذنوبي و ذنوب جميع المؤمنين و المؤمنات فانه لا يغفر الذنوب إلّا أنت» .

ثم قال ﷺ : ما من عبد من أمّتي فعل ذلك إلّا نودي من السماء : يا عبد الله استأنف العمل فانك مقبول التوبة ، مغفور الذنب . و ينادي ملك من تحت العرش : أيّها العبد بورك عليك ، و على أهلك و ذريّتك ، و ينادي مناد آخر : أيّها العبد ترضي خصماؤك يوم القيامة . و ينادي ملك آخر : أيّها العبد تموت على الايمان ولا يسلب منك الدين ، و يفسح في قبرك وينوّر فيه ، و ينادي مناد آخر : أيّها العبد يرضى أبواك و إن كانا ساخطين ، و يغفر لأبويك و لك و لذرّيّتك ، و أنت في سعة من الرزق في الدنيا و الآخرة ، و ينادي جبرئيل ﷺ : أنا الذي آتيتك مع ملك الموت و أمره أن يرفق بك ، لا يخذشك أثر الموت إنّما يخرج الروح من جسدك سلا : قلنا : يارسول الله ﷺ لو أن عبداً يقول هذا في غيرها فقال ﷺ مثل ما و صفت ، إنّما علّمني جبرئيل هذه الكلمات أيّام أسرى بي .

أقول : قال الباقر ﷺ : إنّ الله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها ، هذا .

وعن أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال لقائل [قال] بحضرته : أستغفر الله : ثكلتك أمّك ، أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العليّين ، وهو اسم واقع على ستّة معان **أولها** الندم على ما مضى **والثاني** العزم على ترك العود عليه **أبدأ الثالث** أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة **الرابع** أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها تؤدّي حقّها و **الخامس** أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السمحت فتذيبه بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد **السادس**

أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أدقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول : أستغفر الله .
أقول : شرح حقيقة التوبة و تفصيل ما عنه التوبة و كيفية طلبها يطلب من محلها
ويكفي هنا ما أشرنا إليه ،

ثم من خصائص أشهر الحرم ماروي عن المفيد عليه الرحمة أنه قال رسول الله
ﷺ : من صام من شهر حرام ثلاثة أيّام الخميس والجمعة والسبت ، كتب الله له عبادة
سنة وروي تسعمائة سنة صيام نهارها وقيام ليلها .

أقول : هذه الرواية لاتنفي رواية ثلاثة أيّام الشهور : الخميسان والأربعاء نعم
لوصام خمسين وأربعاء وجمعة لايبعد أن يكفي في العمل بهما ، هذا .

ومن مهام هذا الشهر عمل ليلة النصف منه روى سيّدنا قدّس الله سرّه العزيز
في الاقبال عن أحمد بن جعفر بن شاذان قال : روي عن النبي ﷺ أن في ذي القعدة ليلة
مباركة وهي ليلة خمس عشرة ، ينظر الله إلى عباده المؤمنين فيها بالرحمة ، أجر العامل
فيها بطاعة الله أجر مائة سائح لم يعص الله طرفة عين ، فاذا كان نصف الليل فخذ في العمل
بطاعة الله و الصلاة و طلب الحوائج ، فقد روي أنه لا يبقى أحد سأل الله فيها حاجة
إلا أعطاه .

أقول : لو أخبر إنسان عن إنسان بمثل هذه المواعيد لأحد ، لأظن أن
يهمله ، لاسيما إذا ظن للواعد أمثال هذه الكرامات ، بل يكفي الاحتمال لخطر الأمر
كيف ولو قدّر العبد أجر مائة سائح لم يعص الله طرفة عين ، لوجده أمراً عظيماً لا يقاس
بشيء من ملك هذه الدنيا ، و سعاداتها و بهجاتها ، بل ولا يخطر على قلب أهل
هذا العالم ، ما فيه من الكرامة ، والسرور و الجبرور ، و إذا عظم الخطر يحكم العقل
بالبعث ولو بالاحتمال الضعيف ؛ كيف وأخبار التسامح يكفي في اعتبار العمل بهذه
الرواية .

فانظر إلى شوقك و رغبتك في تحصيل عروض هذه الدنيا الدنيّة التي لا بقاء
لها ، مشوبة بالأكدار ، وموانعة عن الأنوار ، كيف جدك في الوصول إليها واقتنائها

تترك باحتمال ماوطنك وراحتك ، وتسافر عن الأوطان ، و تهاجر الأولاد و النسوان و تقطع الفيافي ، وترك البحار ، و تسير في الأشجار ، وغاية أمك أن تنتفع مثلاً من هذه الأسفار ألف دينار وأنت مبتلى في نيل هذا الأمل باحتمالات كثيرة حاكمة بعدم الوصول إلى المأمول ، بل الوقوع في المحذور ، من هلاك المال ، و سوء الحال بل ، وتلف النفس وضياع العرض و أنت مع ذلك كله لاتجوز القعود عن تحصيل المطلوب ، و الجد في السعي بهذه المعاذير .

و كيف لاترغب في تحصيل النعم الأخرى الباقية ، الخالصة عن الأكدار ، الخالية عن الاحتمالات المذكورة ، لاسيما بعد ورود أخبار التسامح ؟ فلا يبقى عند من جهة عدم اعتبار الأخبار الواردة في ثواب الأعمال وليس غير ذلك احتمال آخر لتخلف النعم الأخرى إلا من جهة العامل ، وعدم جدّه في تصحيح عمله ، وهو أمر بيده ، فلا تخلف حقيقة في العمل للأخرة عن مثوباتها ، و هل بقي لترك العمل علة إلا ضعف الإيمان ، أو مرض القلب من حب الدنيا .

وبالجملة العمل في هذه الليلة من جهة قلّة العامل به لعدم اشتهاه ، له خصوصية ليس في غيره من أعمال الليالي المشهورة ، وهذه من المهمات ^(١) عند المراقبين لأنّ الذكر عند غفلة العامة من مهامّ المراقبات ، وأسرع للإجابة ، و أقرب للقبول ، و أزيد في الأجر ، وأعظم عند الله ، فبادر إلى إجابة المنادي إلى كرامة الله جلّ جلاله بكمال الجدّ والشوق ، واغتنم الفرصة واستيقظ عن نومتك ، فسيأتيك عن قريب داهية الموت الذي لاتقدر بعدها إلى تحصيل شيء يسير من هذه الفوائد الجليلة ، و تستيقظ عند معاينة ناصية ملك الموت ، و تستمهله سنة ويقول لك قد فنيت السنين ، وتقول : يوماً ، ويقول فنيت الأيام ، وترضى بساعة ولايمهلك ، وتموت بحسرة بعد حسرة ، عن تقوية أيام الفرصة ، و تضيع زمان المهلة ، فيالها حسرة ما أعظمها و غصة ما أشدّها ، هذا .

(١) في الاصل : [من الاهميات] :

و العمدة في هذا الشهر العلم بما أنعم الله به على البشر يوم دحو الأرض ،
فإنَّ العلم بالنعمة و مقدارها كمّاً و كيفاً أوّل مراتب شكرها ، كما ورد به النصّ
وحقّق في علم السرّ .

وقد ورد في الأخبار الكثيرة أنّ [في] الخامس و العشرين من ذي القعدة نصبت
الكعبة ، ودحيت فيه الأرض ، وهبط فيه آدم ، وولد فيه الخليل و عيسى عليهما السلام ، و
نشرت فيه الرحمة .

ومنها عن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: أوّل رحمة نزلت من السماء إلى
الأرض في خمس و عشرين من ذي القعدة . ومن صام ذلك اليوم و قام تلك الليلة
فله عبادة مائة سنة صام نهارها و قام ليلها ، وأيّمّا جماعة اجتمعت ذلك اليوم في ذكر
ربّهم عزّ وجلّ لم يتفرّقوا حتّى يعطوا سؤلهم ، وينزل في ذلك اليوم ألف ألف رحمة
[يصنع] منها تسعة و تسعون [ألف] في خلق الذاكرين و الصائمين في ذلك اليوم و
القائمين تلك الليلة .

وروي أنّه يصلّي في هذا اليوم ركعتين عند الضحى بالحمد مرّة ، والشّمس
وضحيها خمس مرّات ، ويقول بعد التسليم : لاحول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم
و يدعو و يقول: «يامقيل العشرات أقلني عشرين ، يا مجيب الدعوات أجب دعوتي ،
يا سامع الأصوات اسمع صوتي ، و ارحمني وتجاوز عن سيّئاتي وما عندي يا ذا الجلال
والاكرام» ويستحبّ أن يقرأ بما روي فيه من الدعاء الذي أوّلّه : يا داحي الكعبة .

وأما معرفة نصب الكعبة ، و دحو الأرض ، اعلم أنّ لهذه النعمة صورة و
حقيقة أمّا صورتها فهي [ما] أشار إليها في الاقبال أنّ الله تبارك و تعالى بنى في هذا
اليوم الأرض لسكنى بني آدم و عيشه ، و الأرض و ما فيها من النعم حتّى أبداننا
و أرزاقنا كلّها قد انتشرت ممّا نزل في هذا اليوم من الرحمة فكلّ نعمة في الدنيا
على أجناسها و أنواعها و أصنافها التي لا يقدر على إحصائها أحد إنّما نزلها و انتشارها
في هذا اليوم .

فعلى العبد المراقب ملولاه ، المرید لشكر نعمه ، أن يتفكر فيما ينتهي إليه فطنته من نعمه العظيمة الفاخرة ، و التي أنعم بها عليه بخلق الأرض وما عليها .
مثلاً يتفكر أولاً في داخل بدنه من نعم الله تعالى ، وهي من كثرتها و لطفها لا يبلغها علمه قطعاً و من أراد تصديق ذلك فليراجع إلى علم التشريح ، و قد رأيت من تأليفات متأخري الأفرنج ما تحتوي لعكوس تشريحات الأعضاء ، و كان فيها عكوس ما في حجب كل عضو عضو مصبوغاً بألوان يبين العروق و السواقي الدقيقة و رأيت فيها من كثرة المدارات و السواقي و العروق و سائر الأجزاء ما يبهز عقل اللبيب والطبيب ، حيث يرى لكل ذلك دخلاً في صحة مزاج ذلك العضو بلا واسطة أو بوسائط ، و بواسطتها في صحة مزاج الانسان ، فالحسوس منها يزيد على الكرورات و يعلم منها أن غير المحسوس أزيد من المحسوس .

هذا كله صنف واحد من النعم البدنية ، ولها أصناف أخرى لعلها أكثر عدداً و أعجب أمر من ذلك .

منها القوى الغير المرئية التي هي عمالة في هذه الأجزاء باحداث وتحريك ، و تصوير ، و تغذية ، و تنمية ، و هضم ، و دفع ، و غيرها من ضروريات التأثيرات الخارجية .

ومنها كليات عوالم ملكوت هذه القوى ، و ما تحتها من جنودها ، و سياسة تدابيرها في بروز تأثيراتها في أفعالها ، و نتائجها المقدرة بكم خاص ، و كيف مخصوص يناسب مواردها باختلاف الأزمنة و الأمكنة ، و الواردات الداخلية المنبعثة من الحركات المزاجية ، و الأخلاقية الطبيعية ، و المكتسبة و الخارجية التي لا يعلم عدد أجناسها و أنواعها و أصنافها إلا رب العالمين ، أو من علمه ، فضلاً عن إحصاء أفرادها ، و لو عرف الانسان كيفية ارتباط العوالم بعضها ببعض ، ظهر له أن لجميع هذه العوالم دخلاً في كمال صحة كل عضو من أعضاء البدن ، بل كل جزء من أجزاء ذلك العضو ، فيصح عنده أن المنعم تعالى إنما أنعم عليه في نعمة جزئية واحدة بهذه التفاصيل الغير المحصورة كلها .

ثمَّ إذا أراد أن يتفكّر في النعم الخارجيّة من مآكله و مشاربه و ملابسه ، و ما يتصرّف فيه أعضاء بدنه ، و حواسّه الظاهرة و الباطنة من العوالم آمن بقوله تعالى : « وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها » و قوله تعالى : « و لا يعلم جنود ربّك إلّا هو » إيماناً حقيقياً فإنّ من جزئيات ما يتصرّف فيه الانسان من العوالم بخياله عالم المثال ، وسعته خارجه عن حدّ إحصاء كلّ البشر ، فضلاً عمّا يتصرّف فيه بعالم عقله المحيط بهذه العوالم كلّها ، أين أنت يا مسكين يا غافل عن الاحاطة بتفاصيل أمر واحد من أمور عالم واحد من العوالم التي يتصرّف فيها عقلك ، فانظر في أمرك واقض بعقلك ، ما يجب عليك في شكر هذه النعم ؟ .

ثمَّ هذا كلّّه في تصوير انتشار ظواهر النعم التي و هبها خالق الأرض بدحو الأرض ، وإذا تأملت فيما وهبها مالك الدنيا و الآخرة بخلق الأرض ، و عرفت ما في حقيقة ذلك لزيد حيرتك .

و إجمال هذا التفصيل أنّ الذي يفهمه أهل الحقّ والكشف ، ويشير إليه أخبار أهل بيت الوحي ﷺ أنّ الله تبارك و تعالى إنّما خلق آدم و جعله في عالم المثال الذي يعبر عنه في لسان الأخبار بالجنة ، و في بعضها بمدينة جابلقا ، و هي جنة آدم التي نزل منها إلى الأرض ثمَّ أهبته إلى الأرض ليستفيد من هذا السفر كلّ ما أعدّ له في عالم البرزخ من النعم المثاليّة ، وهذا العالم بحذاء جنة آدم ويسمّى بجابلسا ، وفي عالم الآخرة في جنّات الخلد .

ولو لم ينزل آدم إلى هذا العالم لم ينل بنعم دار الآخرة ، و كلّ ما وعد الله النبيين و الأولياء و المؤمنين من نعم الآخرة ، فهو من فوائد سفر هذا العالم ، و هذا العالم منزل من منازل سفر الآخرة ، بل من جهة منشأ نعيمها ، و أصل نعيمها ، ولذلك سمّي في الأخبار بمزرعة الآخرة ولعلّ إلى ذلك أشير أيضاً في قوله تعالى : « هذا الذي رزقنا من قبل و أتوا به متشابهاً » .

فجميع ما في عوالم البرزخ و القيامة ، و دار ثواب الله من النعم الباقية ، التي لا زوال لها ولا اضمحلال ، التي لا نسبة بينها و بين نعم هذه الدنيا الدنيّة ، التي ما

نظر إليها خالقها مذكّلها ، ولم يرضها لعباده في هذه الدنيا ، التي ليست بدارثواب منشأها و أصلها من هذا العالم ، فالعارف المراقب يرى ليوم دحو الأرض على نفسه شكراً بازاء هذه النعم كلّها .

وحينئذ يعتقد عن حقيقة قلبه بأنّه لا يقدر على أداء حقّ شيء حقير من أجزاء جزء يسير منها ، ولو استعان في ذلك بجميع العابدين الشاكرين ، و اشتغلوا بالشكر أبد الآبدين لا من جهة أنّ شكرهم أيضاً من نعم الله فهو أيضاً يقتضي شكراً آخر بل من كثرتها و عظمتها ولطفها ، وإذا اهتدى العبد إلى هذه المعارف من مراتب نعم المنعم تعالى ، يكون عليه سمة العارفين بحقيقة عجزه و قصوره و تقصيره عن شكره تعالى ، و استحيا عن عدّ جهده -بلغ ما بلغ- شكراً و عرف قدر منّة الله تعالى عليه في قبول هذا الحقير اليسير لشكر هذه النعم ، وشكره تعالى لهذا الشكر ، وعرف معنى اسمه الشكور ببعض المعرفة و إن كان معرفة كنه أسمائه تعالى محالاً ، هذا .

و من عظام تلك النعم جعل الكعبة بيتاً لنفسه ، و إذنه للناس أن يقصدوا زيارته ، و قبوله منهم ذلك لزيادته في الأجر و القبول و الرضا ، ولعمري إنّ هذا غاية اللطف والرفق و الكرم ، فإنّ البصير إذا تأمّل في معاني نسك الحجّ ، يهتدي بذلك إلى عظيم لطفه تعالى ، بل و محبته إلى عناية المؤمنين ، وغاية عنايته في جذبهم إلى بابه ، و دعوتهم إلى قربه و جواره ، و عرف قدر نعمة وجود هذا النبي الكريم الذي هدانا به إلى هذه العوالم العزيزة ، و عرفنا أسرار هذه المقامات الشريفة الكريمة ، وأحيا هذه القلوب المهيّئة بروح الايمان ، وهدى عماها بنور الايقان .

وإجمال هذا التفصيل أنّه سبحانه وتعالى خلق بني آدم من التراب ، و دعاهم إلى لقائه و جواره ، و قربه و جواره إنّما هو أعلى عليّين ، و مقام الرّؤحانيين ، و من أجل أنّه لا يصل إلى هذه العوالم العالية في أوائل أمره من جهة توغّله في ظلمات عوالم الطبيعة وإسارته في مهوى كرة الأرض بين الماء و الطين ، جعل لهم بلطفه من عالمهم [محلاً] و عمراناً ، و سمّاه بيتاً له ، و جعله مطافاً لزوّاره ، و مريدي حضرته ليطوفوا حوله و يزوروه ، و يستأنسوا برّبهم على حسب حالهم ، و يستعدّوا بذلك

لما فوَّقه من عوالم القدس ، و ربوة التقريب ، و جعل لهذه الزيارة نسكاً كلّها مثار للترقي من عالم الملك إلى عوالم الملكوت والجبروت و اللاهوت .
و بعبارة أخرى هذه النسك معدّة للعامل بها إلى زيارة الكعبة الحقيقية التي ورد فيها أنّه لا يسعني أرضي و سمائي بل يسعني قلب عبدي المؤمن .
و بعبارة أخرى هي مورثة لمعرفة النفس التي فيها معرفة الربّ كما أشار إليه في المناجات الشعبانية بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « و أنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النور ، فتصل إلى معدن العظمة ، وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك » .

فإنّ الإنسان محتجب عن الوصول إلى معدن العظمة بحجب ظلمانية و نورانية [الحجب] الظلمانية عبارة عن عالم الطبيعة التي هي من عالم الحسّ والشهادة ، بل و بعض عوالم المثل أيضاً يلحق بالحجب الظلمانية و الحجب النورانية بعد الترقّي عن عوالم الطبيعة بإلقاء المادّة و الصورة فحينئذ يرى نفسه مجرّدة عنهما ، و يتجلّى له نفسه و حقيقته مجرّدة عن قشور المادّة و الصورة ، و يرى نفسه أمراً عظيماً ، و يبقى الحجب النورانية و عند ذلك يفتح له باب المعارف الكشفية .

فكلّما طالع الحجب ، و تفكّر في العوالم النورية ، انكشف له العلم بالمبدء و المعاد ، و حقائق المقامات الدينية التي جمعها قوله تعالى : « و من يؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر » الخ حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة ، و عند ذلك يحصل له مقام القرب ، و يفوز بتجليات الأسماء و الصفات ، و يعدّ من زوّار الله و جيرانه ، و بالجملة قد جعل الله بلطفه لأهل هذا العالم بيتاً من جنس عالمهم حتّى لا يحرموا من فيض زيارته ، و جعل لهذا البيت نسكاً مؤثّرة في إعداد الزائر و تأهيله لزيارة بيته الحقيقي .

ولا بأس بالإشارة إلى بعض ما تبين لنا من أخبار آل محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أسرار نسك الحجّ الموصلة إلى الزيارة الحقيقية الباطنية فنقول :

الأولى أن نتبرك في ذلك أولاً بما روي عن الإمام سيّد الساجدين عليه السلام من أسرار النسك ، وفسّر في هذه الرواية المقصود الحقيقي من كلّ واحد من أعمال الحج برواية الشبليّ وقال : لولم تأت هذه الأعمال بهذه القصور كأنك لم تأت بها أصلاً وأوّل نزول الميقات بالانخلاع عن المعصية ، ولبس ثوب الطاعة ، و نزع الثياب بالتجرّد من الرياء و النفاق ، و الغسل بالتطهير من الخطايا و الذنوب ، و التنظّف بالنورة بالتوبة الخالصة لله .

و الإحرام بتحريم كلّ ما حرّمه الله ، والعقد على الحجّ بتحليل عقد غير الله ، والدخول على الميقات بعد الإحرام بقصد زيادة الله و الصلاة عند ذلك بالتقرّب إلى الله ، و التلبية بالنطق بالله تعالى لكلّ طاعة ، والصون عن كلّ معصية ، والدخول إلى الحرم بقصد تحريم كلّ غيبة لأهل ملة الاسلام ، و رؤية البيت برؤية بيت الله ، و قصد الله سبحانه ، و القطع عن غير الله ، والسعي إلى الهرب إلى الله تعالى ، والاستلام بالحجر بالمصافحة بالله .

و الوقوف على مقام إبراهيم بالوقوف على كلّ طاعة ، و التخلّف عن كلّ معصية ، و الصلاة في المقام بقصد صلاة إبراهيم الخليل عليه السلام و لعلّ فيه إشارة إلى الوصول بالخلة ، والإشراف على زمزم والشرب منها على الإشراف بالطاعة والغضّ عن المعصية ، والمشّي بين الصفا والمروة بالكون بين الخوف والرجاء ، والخروج إلى منى بتأمين الناس من اللسان والقلب واليد .

و الوقوف على عرفة بمعرفة الله واطّلاع الله على السرائر والقلب ، والطلوع إلى جبل الرحمة باعتقاد أنّ الله يرحم كلّ مؤمن و مؤمنة ، و المشّي إلى المزدلفة و النقاط الحصى برفع كلّ معصية وجهل ، وإثبات كلّ علم وعمل ، و إلى المشعر بتشعير القلب شعائر أهل التقوى و الخوف ، و الوصول في امنى و رمي الجمار بالبلوغ للمقصود وقضاء الحوائج ، و حلق الرأس بالتطهير من الأدناس والخروج من الذنوب و تبعات بني آدم ، و مسجد الخيف بعدم الخوف إلا من الله و عدم الرجاء إلا منه

والذبح بذبح الطمع والاقتداء بخليل الرحمن في ذبح ولده ، و الرجوع إلى مكة و طواف الإفاضة بالإفاضة برحمة الله والرجوع إلى طاعة الله والتقرب إلى الله تعالى .
أقول : و من أجل أن المقصود الأصلي من جعل الحج و كذا سائر العبادات تقوية جانب الروحانية ، حتى يكون الانسان بشراً روحانياً ، و يترقى من عوالم الجسمانيين إلى عوالم الروحانيين ، فيحصل له معرفة الله وحبّه وأنسه ، و يجتمع مع أوليائه في دار كرامته ، و حسن أولئك رفيقاً .

ولأنّ دلّ إنسان إلا ما شدّ وندر ، قد كمل فيه الحيوانية قبل البلوغ لفقدان العقل والعلم والعمل ، حتى قويت فيه الصفات الحيوانية من السبعية ، والبهيمية و الشيطانية ، و ضعفت فيه قوّته العقلانية و الروحانية ، و صار موجوداً بما هو حيوان ، فكأنّه في إهابه كلب و خنزير و شيطان بالفعل ، و إنسان ضعيف بالقوّة .

اقتضى لطفه تعالى أن لا يتركهم على ما هم عليه ، حتى بعث الأنبياء ، و شرّع لهم الشرائع ، و العبادات و النسك ، حتى يردّوهم عن جسمانيّتهم إلى الروحانية ، و عن عماهم إلى الهدى ، و عن حيوانيّتهم إلى الانسانية ، و عن ظلمتهم إلى النور ، و عن بعدهم إلى القرب ، و جعل لهم تكاليف و عبادات تنفع بعضها في دفع الظلمة و رفعها ، و بعضها في جلب النور و إثباتها ،

و بعبارة أخرى بعضها تؤثّر في التخلية و بعضها في التحلية و بعضها جامع لكلا الأمرين ، و الحجّ من القسم الأخير لأنّه معجون إلهي مركّب من أجزاء نافعة جدّاً لجميع أمراض القلوب ، العائقة لها من عالم النور ، وقد اُشير في الرواية السالفة إلى أنواعها ، و مثل ما فيه من علاج البخل مثلاً ببذل المال ، و علاج الاستكبار بالخضوع والذلّ في أفعال الحجّ و الطواف و الصلاة ، لا سيّما بما لا يعلم سرّه من أفعالها مثل الهرولة في موضع خاصّ ، و علاج الكسل بتحمّل مشاقّ أعماله إلى غير ذلك .

فاذاً يلزم على المكلف العاقل أن يكون همته في حجّه ، وكذا سائر عباداته على تأديته ، بحيث يحصل منه مقصود شارع وجاعله اللطيف ، وهذا لا يتسرّ بالضرورة إلا بمعرفة المقصود من حقائق ما أمر به ، ليوقعه على وجهه ولا يفوته النتيجة .

أقول : كفى في ذلك ما في رواية الشبليّ من حكم تفاصيل جزئيات الأعمال ثمّ العمل بما عرفه ، والمراقبة في أن لا يفوته هذه الفوائد ، وليعلم أن المراد من قوله عليه السلام في تضاعيف هذه الكلمات : فنويت من العمل الفلانيّ المعنى الفلانيّ ؟ أن يتحقّق بحقيقة ما ذكر مثلاً [معنى] قوله عليه السلام : «هل نويت بالنجرّد عن الثياب أنك خلعت ثوب المعصية» أن ينخلع واقعاً عن المعاصي الحاضرة بالفعل ، وعن الآتية بالعزم الصحيح ، وهكذا ، لأنّ النية لا يصحّ من المرتكب بالخلاف ، بل يكون الاخطار بالضمير مع الارتكاب الفعليّ استنزاءً و غفلة لا نية .

و بالجملة المراد من النية التحقّق بحقيقة المنويّ لا إخطاره بالبال ، و لو مع الاتّصاف بضدّه مثلاً قال عليه السلام : « فنويت بالسعي بين الصفا والمرّة أنك بين الخوف والرجاء ؟ » مقصوده عليه السلام أن يكون مردّداً بين الصفا والمرّة ، بالرجاء والخوف حقيقة ، كالمتردّد في فناء دار السلطان ، المشرف إلى لقاءه ، كيف يرجو منه فضله وقبوله ، و يخاف من ردّه وأخذه وعقابه ، ويتردّد مشغول بهمّ بين هذين الأمرين ، بل يكون الرغبة والرغبة هما المحرّك له في نفس هذه الحركة .

و إذ قد تبيّن ذلك ، فاعلم أن أوّل ما يجب على كلّ مكلف في كلّ عبادة تصحيح النية وإخلاصها صادقاً ، وإجماله في المقام أن يكون باعته لا تيان الحجّ المعرفة السابقة المذكورة ، من كون الحجّ معداً لرفع الحجب بينه وبين الربّ وموصلاً لزيارة الله ، ولا يدخل في قصده لحاظ غيره ، و يعرف ذلك ببعض الكواشف .

ومن جملتها أن يكون حاله بحيث لو علم بعد تجهيز السفر وشيوع خبره بين الناس أن مقصوده يحصل بصرف مؤونته إلى غيره ، بحيث لا يعلم أحد ، وأنّ ذلك أثر عند الله من حجّه ، ترك الحجّ ولا يكون ترك الحجّ عنده ثقيلًا ، ولا يستحيي عن الناس ، بل يكون وجود الناس وعلمهم واعتقادهم في حقّه بالطاعة و

المعصية سواءً ، و أن لا يقل في قلبه تسوية الناس له في المعاملات مع غير الحاج وبهذا المقدار يعرف أنه قصد بحجته القربة و أنه أخلص في كونه لله و أمّا أنه قصد به خصوص مقام القرب والزيارة ، فيعرف ذلك أيضاً بسمه طالبي القرب و اللقاء من الجدّ في السعي و الاهتمام و الشوق و خفة المشاق ، بل ارتفاع المشقة من البين ، و الاستظهار بكل القدرة في رفع الموانع .

روي في تفسير قوله تعالى حكاية عن الكلبي : «وعجلت إليك رب لترضى» أنه ما أكل ولا شرب ولا نام أربعين يوماً شوقاً إلى لقاء الله ، وثانياً أن يعمل بلوازم هذا القصد ، ولعمري إن هذا القصد إذا تحقّق إنّما يكفي في البعث على لوائمه ، ولا يحتاج زيادة تنبيه وتعليم ، لأنّ تعليم طرق النياحة على الثكلى غلط ، ومن البديهيّات أن كلّ ما يشغله عن الله من المحرّمات والمكروهات والمباحات ، إنّما هي مانعة عن الوصول إلى المأمول ، فلا بدّ له من قطع علاقة الشهوات والمرادات ، كلّها إلا إرادة الوصول إلى الله .

وبالجملة لا بدّ لمن دخل هذا الميدان أن يتهيأ بكمال جدّه ومبلغ استطاعته مستمداً من النفحات الإلهية الرحيمية ، و الجذبات الربّانية اللطيفة ، لتحصيل عُدّة حضور ربّ العالمين جلّ شأنه ، والعمدة في ذلك تحصيل الشوق ، والأولى في ذلك أن نذكر ما في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام في وصف المشتاق وهو قوله عليه السلام : «المشتاق لا يشتهي طعاماً ، ولا يلتذّ شراباً ، ولا يستطيع رقداً ، و لا يأنس حميماً ، ولا يأوى داراً ، ولا يسكن عمراناً ، ولا يلبس ثياباً ، ولا يقرّ قراراً ، و يعبد الله ليلاً ونهاراً ، راجياً بأن يصل إلى ما يشاق إليه ، ويناجيه بلسان الشوق معبراً عمّا في سريره ، كما أخبر الله تعالى عن موسى في ميقات ربّه «وعجلت إليك ربّ لترضى» وفسّر النبي صلى الله عليه وآله عن حاله أنه ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه و مجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربّه ، فاذا دخلت ميدان الشوق فكبّر على نفسك و مرادك من الدنيا ، ودع جميع المألوفات ، و اصرفه عن سوى

مشوقك و لبّ بين حياتك وموتك [بقولك] لبّيك اللهم لبّيك ، هذا .
 و ببالي أنّ أغلب الناس مثلي ليس لهم هذه الهمة ، فالأولى أن نعرض عن
 تفصيل هذا النمط فنقول : إن لم تكن من أهل المحبة والشوق ، فلاحالمن أن تكون
 من المتوسّطين من أهل اليمين ، الخائفين من افتضاح حضور مجلس الروحانيين
 فبادر إلى توبة صادقة واجبة على كلّ واحد من المكلفين لأقول : توبة الأولياء و
 الأصفياء والخواصّ بل توبة العوامّ التي تجب على كلّ عامّي أن يتوب من الذنوب
 والكبائر الفقهية فيما يأتي ويستعلاج بما يقدر عليه ما مضى من تدارك ما فات من
 الواجبات والكفّارات وردّ الحقوق والمظالم على ما قرّر في محله .

و الأولى أن يأتي بالعمل الوارد في شهر ذي القعدة من الغسل والصلاة والدعاء
 لمريد التوبة و يدبّر بقدر تكليفه أموره في وطنه وأهله ، وأمانات ربّه ، بحيث يفرغ
 قلبه عن الشغل بفكرها ، ويوصي وصيّة و يفرض أنّه لا يرجع عن سفره هذا .
 ولكن يكون تدبيره في ذلك لمحض أمر الله ، وبقدر أمر الله ، وأمّا في قلبه وسرّه
 فيوكل أمر كلّ ما يتعلّق به في وطنه وأهله و جميع علاقته إلى ربّه ، و يفوض
 أمرهم و أمر نفسه وما معه في سفره إلى ربّ البيت ، و يحسن رجاءه بحسن خلافته
 تعالى فيما خلفه ، وحسن صحابته وجواره - في طريق زيارته ودار وفادته - في نفسه و
 مامعه ، فأنّه نعم الخليفة ، ونعم صاحب ، ونعم المزور .

و أيضاً ينبغي أن لا يحمل في سفره ما يشتت فكره ، و يفرّق خياله و همّه
 من العلائق ، من النسوان والأولاد والرفيق الغير الموافق ، والأسباب الغير اللازمة
 أو ترك الأسباب اللازمة و لا يكون رفيقه إلّا مثله في الحسب و المقدرة ، لئلا يذلّ
 المؤمن ، ولا يذلّ نفسه ، ولا يكون كلاً على غيره ، وينبغي أن يكون رفيقه أعلم و
 أتقى منه ليستفيد من صحبته ، ويستكمل نفسه بتقليده ، و يتذكّر بذكره .

وبالجملة يودّ عبقليه جميع ما خلفه كلاً حتّى لا يشغل همّه عن التوجّه التام
 إلى ما قصده ، ولا يستصحب معه شيئاً شاغلاً عن ذكر ربّه ، وهمّ زيارته ، و التقرب

إليه بتحصيل رضاه ، ليكون همّه همّاً واحداً ، وحاله في خدمته سرمداً ، حتّى يكون زائراً مقصوداً لهمّ في زيارة حبيبه ، و عبداً شاخصاً في خدمة مولاه ، وإذا كان كذلك فلا بدّ أن يحسن خلقه مع رفقائه ، ويعذب معاملته معهم ، ويجب صلّتهم و خدمتهم ، والتحمّل عنهم ، ويلتذّن منهم ، ويستأنس بهم ، حتّى الحمّالين والأكرّة بل المراكب و المنازل كما قيل :

أمر على الدّيار ديار ليلي ☆ أقبل ذا الجدار و ذا الجدار
فما حبّ الدّيار شغفن قلبي ☆ ولكن حبّ من سكن الدّيار
و كما قال الشاعر :

جمال كعبه چنان میدواندم بنشاط ☆ که خاهاى مغیلان حریر میآید
و لعلّ من هذا الباب ما روي عن السيّد السجّاد و إمام الزهّاد أنّه كان يستصحب في زاد سفر الحجّ لوزاً و سكّراً و غير ذلك من الحلويّات ، فلا بدّ أن يكون ذلك منه عليه السلام ليصرفها في الحجّاج ، وينفق في سبيل الله لزوّار الله أحسن النفقات ، ولأنّ ما يصرفه في هذا الطريق مصروف في الحبيب ، وهو بعين الحبيب . و حينئذ لا يتصور أن يثقل عليه ما يتلف منه ، أو يصرفه باختياره من ماله ، ويبدله من جاهه و قوته ، ولا يثقل عليه جفاء الخادم و الرفيق ، بل يحلو عنده مرّه أذاهم ، و يقابلهم من سوء المعاملة بالرفق و الاحسان ، و من الأذية بالشكر و الامتنان ، لأنّ رضا الخالق في جفاء المخلوق كما أشار إليه في الحديث القدسيّ . ثمّ إنّّه ينبغي أن يقدّر سيره في الطريق سيراً إلى الله و تقرباً إليه و بالجملة كلّما سار بدنه إلى البيت يسير قلبه إلى ربّ البيت و يراعي في هذا السير الروحانيّ أيضاً زاده الذي هو التقوى ، و راحلته التي هي بدنه ، و رفيقه الذي هو أهل التقوى من المؤمنين ، و دليله الذي هو من يهديه إلى ربّه من أهل العلم و اليقين ، و أمير الحاجّ الذي هو إمامه عليه السلام .

و مراعاة التقوى أن يجاهد نفسه في تحصيلها بمراتبها و أوّل مراتبها التقوى

من المحرمات ، ووسطها التقوى من الشبهات ، و آخرها التقوى من كل ما يشغله عن الله حتى المباحات .

و مراعاة بدنه بتدبير أمره بحيث يحمله في سفره إلى الله ، و يحمل زاده ، و يطيعه في الحمل و قطع الطريق ، و لا يعصيه في ذلك إلا عن الضعف و لاعن الجموح .
و أمّا مراعاة الرفيق وهو أن يتخذ لنفسه إخوان الصفا ، و يحذر عن مصاحبة إخوان المكشرة ، و يجتهد في اتحاد قلبه و عمله مع إخوانه ، في تحصيل معرفة الله و محبته ، و في التعاون على ذلك كله ، فإن للاتحاد القلوب و الهمم تأثيراً خاصاً في نيل المقصود .

و أمّا مراعاة الدليل و هو المقلد في المسائل الفقهية ، و معلم الخير في تهذيب الأخلاق ، و العارف الكامل في المراتب العرفانية ، فمراعاته الاقتداء به ، و الاستئانة بنوره ، و الاستهداء بهداه .

و أمّا مراعاة أمير الحاج وهو خليفة نبيه ﷺ و إمام زمانه عليه السلام ، و مراعاته معرفته و ولايته و طاعته ، و هذا أهم الأمور و أوجبها ، و لا يتيسر السير إلى الله بغير ذلك ، وهو من الضروريّات ، و لم يدع إلى شيء مثله في هذا الطريق ، و من تخلف عن أمير الحاج انقطع عن الطريق ، و يهلك مع الهالكين ، و يلحق بحزب الشياطين .
و بالجملة معرفة الامام و ولايته شرط في صحة العمل و قبوله ، فلو أن عبداً صام دهره و قام تمام عمره بصلاة و عبادة و حج ، و تصدّق بجميع ماله ، لم يتقبل منه إذا لم يعرف إمام زمانه ، أولم يواله ، و لم يكن ذلك بدلالته .

و كيف كان يكون جدّه و همته في إصلاح نفسه ، و الاستخلاص من عوالم الطبيعة ، إلى عوالم النور ، بحيث يستعدّ قلبه و روحه لمشاهدة أنوار الجمال ، و كشف سبحات الجلال عند زيارة البيت ، رزقنا الله و جميع أوليائه مثل هذا الحج .

لا يقال : إن ما ذكر لا يتيسر إلا للأنبياء و خواصّ الأولياء ، بمجاهدات صعبة ، و تحمّل مشاق كثيرة ، في مدّة سنين ، و أمّا أمثالنا فلا يمكن نيلنا بذلك ، و إن فرضنا الامكان أيضاً لا ينال إلا بمجاهدات أعمار طويلة ، و أمّا في مدّة سفر الحج

التي لا تريد على شهرين أو ثلاثة أشهر ، فلا مطمع لأحد في الوصول إلى مثل هذا الأمر الجليل العزيز الوقوع .

لأننا نقول : إن هذه الخطرة إنما هو من الخبيث ليسد عليه الباب ، فان تبعها فقد سد الباب وأضله عن الطريق ، وإن ردّها بأن الله تعالى إنما دعا عباده المؤمنين لنيل هذا المراد ، فلو كان محالاً لما دعاهم إلى ذلك ، وأنه إن كان ذلك بحولنا و قوتنا فما قلته حق لا ريب فيه ، إلا أنه لا يختص في الطمع لذلك المرام بل هو مشترك بالنسبة إلى جميع الخيرات ، بل جميع الأمور لأنه لا يوجد الخير إلا من عنده ولا حول ولا قوة بل ولا إرادة ولا وجود لأحد إلا بالله و من الله .

وإن كان بحوله وقوته ، ونفحات فضله و كرمه ، فهو أقدر الأقدارين ، وأكرم الأكرمين ، و أجود الأجودين ، وقد أخبر عنه و سائط فضله ، و وسائل عبادته إليه أنهم متنازعون بأن الراحل إليه قريب المسافة ، و أنه لا يحتجب عن خلقه ، إلا أن تحجبهم الأعمال السيئة دونه ، هذا .

و إذا فقه الحاج معنى الحج و اشتاق إليه ، و عرف عدته الظاهرة والباطنة فليقصد عند إتيان كل ما يفعله في حجه من اللوازم العادية والعبادية ما يناسبه من أحوال حجه الحقيقي الواقعي و ليراقب في صحة أفعال حجه الظاهري .

مثلاً إذا قصد إلى مهاجرة الأهل و الأولاد و الأوطان قصد بذلك مهاجرة الشهوات والمعاصي ، و كل ما كره الله ، بل كل ما يشغله عن الله ، ويعامل فيما خلفه برضا الله ، و يقدر في نفسه أن الله تعالى سيسأله عما خلف ، كيف خلف ؟ و أنه لا يعود إليهم ولا يلاقهم إلا يوم القيامة ، وأن يسترضي ويستحل عن كل من يعرفه .

وليتذكر بسفره هذا سفر آخرته ، و إذا قصد حمل الزاد أوجب على نفسه حمل زاد سفر الآخرة و هو التقوى ، ويداق في حلّ زاده ، و يستكثر من الزادين للسفرين ، و قصد باتخاذ الراحلة أنه يحتاج في سفر الآخرة أيضاً إلى الراحلة ، و أن مطيعة سفر الآخرة بدنه ، ويجب مراعاته وتعاهده كما يتعاهد المطايا في السفر ،

و يعلفه بما يلزمه من التقوية ، و يمنعه عما يزيد على ذلك ، ولا يبعثه على الجموح و يسوقه بما يتقوى عليه ، و يحمل عليه ما يحتمله ، ويراعي حقوق كلتا المطيبتين بما استرعاه الله .

و أمّا قطع البوادي ، و السير في الفيافي ، و نزول العقبات ، فيتذكر بذلك عقبات سفر الآخرة من حين الموت إلى حين نزول دار الثواب ، فإن فيها عقبات كؤودة لا يجوزها إلا البكاؤون في الدنيا من مخافة الله ، و أيسرها الموت ، و ما بعد الموت أعظم و أدهى .

و أمّا لبس ثوبي الاحرام فليقصد بخروجه عن أثوابه خروجه عما يخالف إرادة الله ، و بلبس ثوبي الاحرام لبس لباس التقوى ، و لباس التقوى هو خير ، و يتذكر به كفته الذي يشبهه وأنه سيلف به .

و أمّا نفس الاحرام و التلبية فهو بمنزلة إجابة الله حيث دعاه بلسان خليله على نبيّنا وآله و عليه السلام فليكن على خشية ورجاء من الردّ والقبول .

و ليتذكر ماروي عن سيّد الساجدين عليه السلام أنه غشي عليه حين أحرم و لبس و لم يفق حتّى قضى حجّه و سئل عن ذلك قال : خشيت أن يقال : لا لبّيك ولا سعديك و روي أن حجّ من غير حلّه ثم لبس قال الله عزّ وجلّ : « لا لبّيك ولا سعديك ، حتّى تردّ ما في يديك » وليكن على ذكر من نداء الله الخلائق للحشر بنفخ الصور وازدحامهم على العرصات .

و أمّا دخول الحرم ، فليقو رجاءه على كرم الله و فضله عنده ، و ليأمن من سخط الله و غضبه مع خوفٍ ما عن الرّدّ و الاستدراج ، فلا يأت من مكر الله ، و لكن يكون رجاءه أغلب لأنّ شرف البيت عظيم ، و ربّ البيت أكرم و أرحم ، و حقّ الزائر مرعيّ و ذمام المستجير عليه غير مضيع ، و الكريم يسامح مع الوافدين ما لا يتسامح مع غيرهم ، و ليكن عليه سمة العبوديّة و الخشوع و النذلّ كما ورد في الأخبار من أخذ إحدى نعليه بيده .

و بالجملة كلّ ما قدر عليه من الجدّ في إظهار الخشوع والتذلل فليأت به ، ويكون مثل حاله مثل ما يروى من أحوال العصاة يوم القيامة إذا ظهر سلطان الله ، و أشير إليه في القرآن الكريم ، بقوله : « وينظرون من طرف خفيّ » ولكن مختلطاً بسكر الحبّ ، و هيجان الشوق ، وليكن نظره إلى أرض الحرم وسكك مكّة ، و دورها لاسيّما إلى البيت نظر هيبة و محبة وليكن يقوّي جهة المحبة .

و يكثر من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر و إن ساعده التوفيق أن يتجلّى له عند التسبيح سبحات الجلال ، و عند الحمد أنوار الجمال ، و عند التهليل صفة التوحيد ، و يلقي عند التكبير جيل الأنا نيّة ، و يكبّر على ما سوى الله فقد فاز ونال .

و أمّا الطواف فهو من وظائف عين الزيارة بعد الوصول ، كما شبهه رسول الله ﷺ بالصلاة ، و الصلاة الزيارة كما فسّر خليفته و وصيه أمير المؤمنين عليه السلام « قد قامت الصلاة » بقوله : أي حان و قت الزيارة .

و أمّا الاستلام فيقصد به البيعة لله بالطاعة و نفي الاختيار ، و يقصد بالتعلّق بالأستار والالتزام ، الالتجاء للقبول و العصمة والتبرّك بالمماسّة .

و أمّا السعي فمثله كمثّل من يتردّد بين الخوف و الرجاء بعد الوفود على السلطان ، المنتظر لاستعلام آثار القبول المتردّد في فناء بابه .

و أمّا الوقوف بعرفة فتشمرّ بجدّك أن تنال فيه بكمال المعرفة .

واعلم أنّ اجتماع الحجّاج في الدعاء في صعيد واحد لاسيّما بلحاظ حضور الصلحاء وأهل الباطن من الأبدال و الأوتاد ، أو غيرهم من الكاملين الذين لا يخلو الحجّاج من بعضهم لاحالة ، مع اجتماع القلوب والهمم ، لاستئصال الرحمة ، واستمطار سحائب الجود والكرم ، بمدّ الأعناق ، و شخوص الأبصار ، و التضرّع و البكاء ، و الابتهاال ، كاد أن يكون علّة تامة للإجابة ، فإنّ لاجتماع القلوب و الهمم تأثيراً خاصاً في نجح المقاصد ، والوصول إلى المطالب ، ولذا قيل : إنّ من أعظم الذنوب أن يحضر أحد عرفات ، ويظنّ أنّ الله تعالى لم يغفر له .

وأما الوقوف بالمنى فيقصد به المصافات والتأمين بعباد الله من المضادة والخلاف في طريق الوداد ، وبالتقاط الحصى رفع كل خلاف ومعصية لله عز وجل ، وإثبات كل علم وعمل ، وبرمي الجمار بالبلوغ للمقصود ، وقضاء الحوائج ، وبالذبح [قطع] الطمع عن غير الله ، والاقتداء بخليل الله ، وبالرجوع إلى مكة ، وطواف الافاضة ، الافاضة برحمة الله والرجوع إلى قرب الله .

وأما آداب الزيارة للنبي ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام ففيها أمور مهمة نشير إلى إجمالها .

أولها معرفة حرمة المزور ، ومعرفة حقه عليك ، فنقول في ذلك : إن الذي عليه عقيدة أهل الاسلام كافة أن نبينا صلوات الله وسلامه عليه وآله أشرف خلق الله كافة ، وأنه سيد خلق الله ، وأنه حبيب الله ، وورد في المعتمدة عنه ﷺ أنه أول خلق الله ، وأنه دنا في معراج من ربه مقاماً لم يقدر جبرئيل أن يصاحبه ، وأنه دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى دنواً واقتراباً من العليّ الأعلى ، وأنه اسم الله الأعظم ، وأنه صاحب الوسيلة والحوض ، والشفاعة الكبرى ، وأنه المثل الأعلى وأنه واسطة بين الله تعالى وجميع الممكنات ، وأنه الحجاب الأقرب ، وطرف الممكن .

وبالجملة يعرف أنه من الله تعالى بمكانة يغبطه بها الأولون والآخرون ، من الأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين ، وأنه لا يمكننا أن نصل إلى كنه معرفته وأما معرفة حقه فيكفي في ذلك حديث لولاك ، وأنه علّة غائيّة لجميع الخليقة ، وأنه رحمة للعالمين ، هذا بالنسبة إلى عامة الممكنات ، وأما خصوص أمته فيزداد لهم حقوق هدايته الخاصة ، وتحمل ما وصل إليه من الأذى في ذلك ، حتى نطق بقوله : « ما أؤذي نبي مثلي » وهو ما ينطق عن الهوى بتصديق الله جلّ جلاله في كتابه .

وإذا عرفت جلالته وحقه وعلمت أنه حيّ عند ربه ينظر إلى زواره ويسمع

سلامهم ، ويعرف ضميرهم ، ويستغفر لذنوبهم ، ويشفع في حوائجهم ، فعند ذلك تنوره كأنه حي يراك ويشافئك ، ولا يشغلك شيء عن التوجه إليه ، وتتوجه بشرائير وجودك إلى حضرته ، مع هيبة ومحبة ، وتملق وحياء ، وتراقب أدب حضوره ، ولا تسأم عن طول مناجاته ، وعرض حوائجك عليه ، ولا تكلم أحداً في حرمه ، بل ولا تنظر إلى شيء يشغلك عن مراقبتك علمه بك ، ونظره إليك ، وتستعجل لجميع أمراضك وحوائجك باستجلاب عطوفته ، واستمطار سحائب جوده ورأفته .

واعلم علماً يقيناً أنه ﷺ أكرم جميع الخلائق ، وأجود من كل جواد كريم جواد عطوف ، شفيق رفيق ، ودود رؤوف ، وقد وصفه الله عز وجل في كتابه العزيز بخلق عظيم ، ولا تسامح في الاسترحام والسؤال ، والتضرع والابتهال ، فإن الكريم لا يضيع حرمة الوافدين ، ويتسامح في تقصيراتهم وزلاتهم ويصفح عن عمدتهم وخطائهم . وتذكر معاملته مع قاتل عمه حمزة رضي الله عنه حيث قبل توبته ، وتفكر فيما ناله منك من الجفاء والإيذاء ، حيث يعرض عليه أعمالك ، ويرى معاصيك وذنوبك ، ويتأذى بذلك ، وكم من أذية ومكره قد أوصلت إلى قلبه الشريف بسوء عملك ، وأوجعت صدره العزيز بقبيح أعمالك .

وليكن عليك سمة الحياء عند زيارتك ، واعتذر إلى كريم فنائه وجنابه لاحالة عن ذلك ، ولا تضن عن الاعتذار بقدر جنائتك ، فإن لكل جناية اعتذاراً يليق بها ويناسبها ، وتلطّف في الشكر والثناء بقدر نعمه عليك .

ولعمري إنك لا تؤدّي حقّ اعتذار جنایاتك ، ولو نظقت بجميع جوارحك طول عمرك بالاعتذار ، ولا تأتي بحقّ شكره ولو شكرته مدى الأعمار والأعصار ، لأنّ الجناية الحقيرة تعظم مع عظمة المجني عليه ، ومع لحاظ إحسانه إلى الجاني فإذا جاوز العظمة عن الحدّ ، وكثر الإحسان فوق حدّ الإحصاء ، قصرت الألسن عن أداء حقّه ، والأعمار عن بلوغ غايته .

وهكذا حقّ الشكر إنّما يتزايد بزيادة جلاله المنعم ، وكثرة النعم وجزالتها وليس لحقّ نعمة الوجود ولا الهداية غاية ، ولا لجلالة رسول الله ﷺ منتهى ،

حتى يقدر أحد من أمته على أداء حق شكره ، فيجب بحكم قاعدة الميسور أن يبذل طاقته في أداء الاعتذار ، ويجتهد بكل قدرته في الشكر ، ويعترف بقصوره عن أداء حقهما .

و إذ قد سمعت هذه الأمور فلا عليك أن تجتهد بكل جهدك ومقدورك في زيارته ﷺ فانك إن أحكمت مباني معرفته ، ومعرفة حقوقه وفوائده ومراحله وكنت على يقين من ذلك فلا بد أن تبعث هذه المعرفة في قلبك شوقاً إلى زيارته لاسيما بلحاظ ما ورد في فضل زيارته ، والمشتاق لا يحتاج إلى تعليم مراسم الوداد ولا يمتنع عن الجهد والاجتهاد ، في الوصول إلى مشوقه ورضاه ، وعرض الشوق والملق والاستكانة بما لا يخطر على ضمير غيره ، بل يسير في طريق زيارته برأسه لا برجله كما حكى عن البسطامي والرابعة العدوية أنهما صليا في طريق مكة المشرفة في كل قدمين ركعتين ، فلا بد للزائر المشتاق أن يعامل في طريق زيارته مع كل ما يتعلق بهذا الطريق ومع كل من يتعلق ، معاملة المحب فيرفق بالزوار والأكره والخداع والدواب ويتحمل أذاهم ويخدمهم ، بل ولا يرى إيذاءهم أذية ، وينفق عليهم ويكرمهم حتى يقرب من بلد المزور ، فيزداد شوقه ويجد في السير يخاطب الطريق ويسلم على الديار ويحن إلى رؤية سواد البلد ، وآثار المشهد .

وإذا شرف برؤيته يخر ساجداً لله ويقوم مسلماً وباكياً باظهار الشوق والملق ويقدر في نفسه زمن حياته ﷺ وأنه كان يتوطن في هذه البلدة ، ويمشي في سككها ، ويسكن في دورها ، وأن هذه المحال مواضع أقدامه الشريفة ، ومواطن جسده المبارك .

ويتبرك بدخول البلد ، ويتناقل عن المشي فيها بالأقدام ، لاسيما مع النعل ويقبل جدرانها وترايبها ، ويمس وجهه بأرضها محبة ويقول :

أمر على الديار ديار ليلي ☆ أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ☆ ولكن حب من سكن الديارا

ويهاب من دخوله ويدعو الله عنده بالتوفيق والاذن ، ويستأذن من حضرت رسول الله ﷺ ويعرض إلى جنبه شوقه إلى زيارة وجهه المبارك ، ويشتهي من فراقه وغيبته وما بلغ به الأمر بعد وفاته ، من كيد المنافقين ، وغشم الظالمين ، حيث غصبوا الخلافة وتأمروا على الناس ، وأضلوا الأنام ، ووثبوا لظلم آل البررة الكرام ، ومنعوا إرث سيّدة نساء العالمين ، إجمالاً .

ثمَّ يغتسل ويلبس أنظف ثيابه ، ويتطيّب بما يقدر عليه ، ويقصد حرمة على سكيّنة ووقار ، ويمشي إليه ويقرّب بين خطاه ، مسبحاً ، حامداً ، مهللاً مكبراً مصلياً ، ويقدر أنّه بمرئى منه صلوات الله عليه وآله ، يراه وينظر إلى حرّكاته ، وخطرات ضميره ويشاهد مراتب أشواقه ، وحسرات قلبه وأحزانه ،

ويتوجّه بكلّه إليه ويهتم أن لا يخطر غيره - صلوات الله وسلامه عليه وآله - بقلبه ولا ينظر في طريق زيارته إلى أحد بل إلى شيء من الأشياء ليشغله عن حضور قلبه . وإذا وصلت إلى باب الحرم فاعلم أنّك قصدت ملكاً عظيماً لا يطأ بساطه إلاّ المطهّرون ، ولا يؤذن لزيارته إلاّ الصديقون وأنّك أردت حرماً لا يدخله إلاّ أنبياء والمرسلون ، والملائكة المقرّبون بغير إذن ، فاستأذن بقلبك ولسانك الله جلّ جلاله ثمّ استأذن حضرت رسول الله ﷺ ثمّ خلفاءه وأوصيائه لا سيّما باب مدينة علمه والبقية من خلفائه ، ثمّ استأذن ملائكة الله الموكّلين بحرمة الشريف ، وهب القدوم إلى بساط خدمته ، وحضور مجلسه ، فإنّك على خطر عظيم إن غفلت .

واعلم أنّه قادر بالله جلّ جلاله على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك فان عطف عليك بكرمه وفضله ، وقبلك وقبل زيارتك ، وأجاب سلامك ، واستمع إلى كلامك ، طوبى لك ، ثمّ طوبى لك ، فإنّك فزت لزيارة الله جلّ جلاله ، وشاركت في ذلك الملائكة المقرّبين ، والأنبياء والمرسلين ، وحسن أولئك رفيقاً .

وإنّ طالبك باستحقاقه ما يجب عليك من الصدق والخلوص ، والاخلاص والوفاء ، والأدب والصفا ، وحجبك وردّك ، فويل لك ، ثمّ ويل لك ، وقد خسرت خسراناً مبيناً .

واعترف بعجزك وتقصيرك ، وانكسارك وفقرك ، بين يديه ، فانك قد توجهت
لزيارته ومؤانسته ، فاعرض حالك وسرك عليه ، واطلب الهمّة منه بالتوسّل إليه ، و
الالتجاء إلى باب فضله وكرمه ، والاستشفاع بعترته وذريّته ، فانه يعلم باعلام الله
وإخباره كلّ ما منح بخاطرك ، وخطر ببالك في ذلك ، وكن كأدون عبده ببابه ، و
انظر من أيّ ديوان يخرج اسمك .

فان رقّ قلبك ، ودرّت عينك ، وهاج شوقك ، ووجدت في قلبك حلاوة
مناجاته ، ولذّة مخاطبته ، وشربت بكأس كرامته ، من حسن إقباله عليك وقبوله
فادخل فلك الاذن والأمان ، واللطف والاحسان ، وإلاّ فقّف وقوف من انتقطع منه
الحيل ، وقصر عنه الأمل ، والتجىء إلى الله جلّ جلاله التجاء المضطّرين في استعطاف
قلبه الشريف ، واستدراار لطفه المنيف .

فان علم الله من قلبك صحّة الاضطرار ، وصدق الالتجاء إليه ، نظر إليك بعين
الرحمة والرأفة ، وعطف عليك قلب حبيبته بالكرامة والعطوفة ، ووفّقك لما تحبّ
وترضى ، فانه كريم يحبّ الكرامة لعباده المضطّرين إليه ، المحترفين على بابه
طلب رضاه ، وقد أنزل في كتابه «أم من يجيب المضطّرّ إذا دعاه ويكشف السوء» .

وقبل عتبته الشريفة ، وادخل قائلاً : « بسم الله وبالله ، وفي سبيل الله ، وعلى
ملة رسول الله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » ثمّ
امش بسكينة وخشوع وذكر حتّى تقف قبال الضريح المقدّس وقبله وسلّم عليه
بحقيقة السلام وعلى آله وآبائه وعترته على التفصيل والترتيب ، وبالغ في عرض
التسليم والتصلة .

واعلم أنّ السلام من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ، ليستعملوا معناه في معاملاتهم
فمن لم يقدر على أن يستعمل معنى السلام مع نبيّه فهو لا يقدر أن يستعمله مع أحد
من الناس ، واستعماله مع رسول الله ﷺ أن يعامله معاملة لا تؤذيه ولا تسيئه لاحالة
وهل ترى أن يرى رسول الله ﷺ - مع ما فيه من الشفقة على أمته - معاصيك الكبيرة
ولا يسيئه ذلك ، ولا يتألّم منها ، فأين السلام ؟

وبالجملة فلك أن تقدّر حضوره - صلوات الله عليه - بين يديك ، وهو متوجّه إليك ، مقبل عليك ، يرى ويسمع كل ما تفعله في ظاهرك وباطنك ، وهو مطلع على سرائرك ، وخفايا أمورك وأعمالك .

إذاً كيف يكون حالك لو كنت متلبساً فعلاً بما نهى عنه من لباس بدنك أو حرّمه من تملك مال غيرك ، أو عدم ردّ حقوق عترته ، و ذرّيّته ، أو الفقراء من أمّته ، أو شيء من حقوق الله جلّ جلاله و أنت قائل في زيارته : « أنا محلّ حلالك ، محرّم حرامك » أو قائل : « زرتك يا رسول الله ﷺ مستبصراً بضلالة من خالفك » ألسنت أنت هذا المخالف الضالّ ؟ أو تستثني نفسك من المخالفين .

أو ما تقول في زيارته : « بأبي أنت وأمي ونفسي ومالي وولدي » و كيف تقديه بذلك كلّهُ و أنت تخالف أمره و نهيه في مقدار قليل من المال ، ولو قال لك : « يا كاذب أتخدعني » ما ذا جوابك ؟ و احذر أن تكذب في دعواك بحضرته ، و هو قد حرّم الكذب ، و اعلم أن الكذب مع من يعلم الكذب أنّه يعلم كذبه ، قد يكون استهزاء ، والعياذ بالله من هذه الأخطار .

و بالجملة زيارته - صلوات الله عليه - أمر عظيم و قد روي في ذلك أنّه يزور زائره مرّتين ، و لكن خطره أيضاً عظيم جدّاً ، فاحذر أن تقع فيه بجدّك ، و لا تحسبه هيئناً وهو عند الله عظيم .

والأهمّ أن تستحكم معرفته و عظّمته و علمه بحالك و سرائرك ، وأن تعرف آفات قولك و عملك ، و حقائق دعواك ، فإذا إن لم تقدر على إصلاح قلبك و عملك فلا محالة من أن تعترف بتقصيرك ، ويكون عليك حياء المقصّرين ، مع خوف و خضوع و تذلل بقدر جنائتك ، فإذا لا ترى حيلة إلا التوسّل إليه ، و الالتجاء إلى باب كرمه و صفحه ، مع اضطراب القلب ، من الأخذ بالجنابة والردّ واللّعن ، والخسران المبين والهلاك الدائم ، أو الصفح و العفو ، و الكرم و الفضل ، و [أن] يشغلك خطر هذه الأحوال لا محالة من دالّة^(١) المطيعين .

(١) من دلال المطيعين ظ .

ولو كان قلبك متأثراً من هذه الأحوال ، فلا محالة من أن تظهر بعض أثراتها في ظاهرك ، فإن الخائف من الردّ والأخذ ، ترتعد جوارحه ، ويتغيّر لونه ، أما سمعت أن الإمام السجّاد عليه السلام مع عظّمته وعبادته ، كيف تغيّر لونه عند قوله : « لبيك اللهم لبيك » وغشي عليه وسئل عن ذلك وقال عليه السلام - بنفسه هو وروحي وأرواح جميع العابدين المراقبين :- خشيت أن يقال في جوابي لا لبيك .

و انظر يا مسكين هذا الامام حجة الله المعصوم من الزلل ، والمطهر من الاثم كيف يتأثر من هيبة العظمة ، فكيف بنا لانخاف أن يقال في جواب سلامنا لعليك السلام ، أو يقال و عليك اللعنة والعذاب .

و بالجملة يجب على الزائر بحكم العدل أن لا يحضر هذا المحضر العظيم إلا بعد توبة صادقة مطهرة له لا محالة من المخالفة الفعلية ، حتّى يأمن من الردّ وينجو من ورطة العتاب ، فان لم يوفق لذلك ، فله أن يدخل من غيرها من الأبواب التي دخل منه غيره من المقيدين في أسر الهوى ، و المكبّلين المنهمكين في الردى فظفروا بالتجاوز والصفح الجميل ، والفضل النبيل ، من أبواب الاعتراف ، والاعتذار و الحياء ، والتوسّل والاستغفار ، و الالتجاء والاضطرار ، فان لم يسمح نفسه العواد بالاهمال ، باحتمال لوازم هذه الأبواب ، فلا محالة من أن يدخل من باب عدم القنوط من الاجابة .

و تدعو الله جلّ جلاله بالرجاء في استعطاف قلب رسول الله صلى الله عليه وآله عليك فان إبليس دخل من هذا الباب وظفر بالمراد ، و لتقل في دعائك : « اللهم يا من أجاب لأبغض خلقه إبليس ، حيث استنظره ، فاستجب لي كما استجبت له ، فانه دعاك و هو عاص ، وأنا أدعوك وأنا عاص ، فكما أن إجابتك شملته حيث دعاك ولم يقنط من رحمتك ، فلتشملني وأنا أدعوك وأرجو إجابتك .

وإذا دخلت من هذا الباب لا يقنطك ربك ، وهو عند حسن ظن عبده به ، كيف وهو الذي أنزل في كتابه [وإذا سألك عبادي عنّي فأنّي قريبٌ مُجيبٌ دعوة الداع

إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون] واسألوا الله من فضله». «إن الله كان بكم رحيماً» .

وإذا رغب الله جلَّ جلاله في عطفه عليك ، يقبل عليك رسول الله ﷺ بالقبول والاجابة ، والعطف والرحمة ، و يضمك إلى كنف رأفته وحنانه ، و يكون عليك كالأب العطوف ، والامم الرووف، يلبيك بالجواب ، و يجيبك عن الخطاب ، فتظفر بالمراد و فوق المراد ، و تفلح أبد الآباد .

و إذا راقبت هذه الخصال و أتيت بهذه الأحوال ، وتمشلت بين يديه للزيارة و علمت إقباله عليك ، فلك أن تناجيه بلطيف مناجاتك ، و تبث في حضرته حوائجك و تشكو لديه ما نالك من هجره و فراقه ، و ما بلغ به الحال من مصائب ذريته ، و غصب حقوقهم ، و تأمر المنافقين عليهم ، و مانا لهم من القتل و الأسر و الهوان ، و ما بدل بعده من الأحكام ، و غير من شرائع الاسلام ، و تشتكي عنده من سوء حالك و شدة بلواك .

و تذاكر ما كان عليه من حسن الحال أصحابه ، و المقتبسين من أنواره ، و المستمتعين بوعظه و برهانه و بركات زمانه ؛ و ما فازوا به من العيش في ظلال عطفه و نالوا به من فضله و كرامته .

وقل : « يارسول الله ﷺ كنت زمن حياتك في الدنيا علماً للدين ، و مناراً للهدى ، حالاً للمشكلات ، و مبيناً للمعضلات ، مخبراً عن الله وصفاته و رضاه ، يرجع إليك من استشكل عليه الأمور في الدين و الدنيا ، فتكشف عنهم ظلم الأستار ، و تهديهم إلى جلائل الأنوار ، و كنت كهفاً للأرامل ، و أباً للأيتام ، و كنزاً للفقراء و المساكين ، و ملاذاً لذوي الضرر و الحاجات ، و كان التقوى بك سهلاً لأهل الدين و السير إلى الله منهاً عذباً للسالكين » .

« و قد خلقت في الأمة من يقوم مقامك لهذه الخصال ، و قد كان بعدك ما قد كان ، حتى آل الأمر إلى غصب الخلافة ، و قتل الذريّة ، و اختفاء الخليفة ، و

غيبة البقية، وضلال الامة، وابتلاء المسلمين بالمشكلات، وتحييرهم في المعضلات وبقيت الأراذل في البلوى بلا كهف، والأيتام بلا أب، و الفقراء بلا شيء، و ذوي الحاجات بالاملاذ، وعسر التقوى في الدين، وصعب الطريق إلى الله من تغلب المتأمرين على المسلمين، وبقينا بعدك في تيه الضلالة، بلانور ولا هداية، وكثر الظلم، وانتشر الجور، و طوي بساط العدل، و ضعفت أعلام الدين، و انطمست آثار الاسلام، و تفرقت كلمة المسلمين، واختلفت أهواؤهم، وذهلت العقول، و اندرست العلوم، و لم يبق شيء إلى عود الجاهلية الأولى».

«يارسول الله ﷺ لولا ما يلوح لنا من أثرات أنوار الولاية، من تحت سحائب العماية، و يظهر من بركات أنوار شمس الخلافة، من غيب أستار الضلالة والغواية، لم يبق من الاسلام اسم، و من الايمان رسم، عاد الاسلام كفراً، والعقل جهلاً، والوصل هجراً، عبد الأصنام والأحجار، وصار المسلمون كفاراً، وقد صرنا بفقدك و غيبة خليفتك كأيتام بلا أولياء، وأسرار بلا خفراء، و رعية بلا حماة، و أغنام غاب عنها الرعاة، فارحمنا وترحم علينا يارحمة للعالمين».

«ومر سبطك الامام، وخليفتك على الأنام، بالظهور و سطوع النور، في طخياء الديجور، لحماية الاسلام، و إحياء القرآن، و إحكام الايمان، و تقوية الأحلام و نشر العدل، و طي الجور، و حفظ دماء المؤمنين، و أعراض المسلمين، و تربية العالمين».

«وارغب إلى رب العباد والبلاد، في إنجاز الميعاد، و نصر العباد، و قد ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، نشكوا إليك - ولا مشتكى سواك - فقد إمامنا، و غيبة سيّدنا، و شدّة الفتن بنا، و تظاهر الزمان علينا، و كثرة الأعداء، و شوكة الكفار، و غلبة الفجار، والطغاة الأشرار، و قد عظم البلاء، و برح الخفاء، و ضاقت الأرض والسماء».

و بالجملة تناجيه صلى الله عليه وآله و تبث لديه أشواقك إلى زمن حضوره

إشراق نوره ، وتشتكى إليه من هجره ومما نالك من البلى العامة والخاصة ، ثم تقرر عنده بأسرافك على نفسك ، و تقصيرك في عبادة ربك ، و تسأله أن يستغفر لك الله ، وأن يعالج داءك بدوائه ، ويكمل عقلك ، ويتم نورك بدعائه ، ويلحقك بأوليائه ، ويقبلك لجواره ، فإنه أكرم الخلائق لا يرد وافته و زائره و ضيفه إلا بقضاء حوائجه ومزيد فضله .

واعلم يقيناً أنه ﷺ رحمة الله للعالمين ، فان حرمت من فيضه الأقدس ، ومن نوره الأزهر ، فذلك لما منع من جهتك ، ولا يمنع من ذلك الذنوب وإن كثرت حتى يوجد خلل من جهة الإيمان ، فجدد إيمانك ، و استعذ بالله من الكفر و الشرك الجلي .

و لكن قد يكون ظلمة المعاصي مانعة من درك فيوضات زيارته الشاملة لك وتعمى من مشاهدة أنواره الواصلة إليك ، فان كان لك قلب و فطنة ، لا بد من درك ذلك ، والعلم ببعض آثاره لاحالة ، فان شفقتك ﷺ لأمتة المؤمنين الموالين لعترته معلومة و إن كانوا عصاة ، كيف و شفاعته للعصاة ، و للزائر الوافد المسلم عليه المناجي معه ، والمشتكى استكانته لديه ، حقوق زائدة لاتضيع لديه ، يعرف ذلك كل من أخبر عن أخلاقه الكريمة في حال حياته ، ومعاملته مع عموم المسلمين ، وخصوص الوافدين ، والرافعين إليه حوائجهم ، وحال وفاته أولى بذلك من حال الحياة لزيادة القرب من منبع الفيض والنور ، وهل يظن أحد من أمتة أن يقصده مسلم مؤمن من مسافة بعيدة ، ويأتيه من شقة بعيدة ، شوقاً إلى زيارته ، وراجياً قبوله ونواله ، منقرّباً إلى الله جل جلاله بولايته و ولاية عترته ، يرجع خائباً من نواله ، و محروماً من جوده و كرمه ، ولا يظن ذلك لأعراب البوادي ، فكيف لأكرم الخلائق كلهم ، و مظهر رحمة الله ، والمتخلق بأخلاق الله .

و كيف كان يجب على زواره - صلوات الله عليه وآله - أن يظنوا بفضلهم و كرمه و إفاضته كل الظن ، ويستمدوا من فيض زيارته ، و أنوار إقباله ، ويستضيؤوا من

إشراق إقبال وجهه ، فأنّه يضيء كل ظلمة ، ويفيض لكل الخليقة ، ويكفي للعالمين لأنّه نور الله الأ نور ، وضياءه الأزهر ، وفيضه الأقدس .

وأطل الوقوف بحضرته ، ولا تملّ منه لأنّ العاقل لا يملّ من الانتفاع ، وزرّ في ضريحه المقدّس قبر سيّدة النساء عليها السلام ، واعمل في زيارتها مثل ما مرّ في زيارته ، فأنّها بضعة منه كريمته و حبيبته .

واقصد بعد زيارتهما زيارة أئمة البقيع نحو ما قصدت زيارته ، وزرهم كما مضى في زيارته ، فأنهم بمنزلة نفسه ، من أطاعهم فقد أطاعه ، ومن أحبهم فقد أحبّه ، ومن خضع لهم فقد خضع له ، لا فرق بينهم وبينه ، فأنهم خلفاؤه وذريّته وكلهم نور واحد .

وجدّ حتّى لا ترجع من حضرته إلّا بعد ظهور آثار الاذن ، كما دخلت بعد ظهور آثاره ، وإذا أردت الانصراف فارجع القهقري قليلاً ثمّ ارجع إلى مكانك وسلّم عليه ، وقف قليلاً ، وكرّر ذلك وإذا خرجت من الحرم قبل العتبة .

وليكن الراجع بدنك وأنت مع قلبك وروحك وفكرك مقيم على حضرته وغير مفارق خدمته ، وكلّما انتهيت إلى آخر السكك ، وأردت أن تدخل سكة أخرى فارجع إلى ما وراءك ، وأشر إلى حضرته بالسلام حتّى تدخل منزلك .

واستقص أيّام وقوفك بالمدينة المشرفة زيارة المواضع الشريفة التي روي وقوفه بها ودخوله عليها ، ومشاهد أهل بيته .

وإذا كان أوان وداعك ، حصّل في قلبك وروحك وعقلك وكلّك حالاً يصلح لوداعه ، ولتكن في وداعك قبره كمن يودّع روحه وحياته ، وأنشيء لوداعه دعاءً وسلاماً أبلغ ممّا أنشأ السجّاد عليه السلام في وداع شهر رمضان ، فإنّ حقوق شهر رمضان وإن عظمت ، ولكنّه قليل عند حقوقه عليه السلام ، بل هو أيضاً جزء من أجزاء حقوقه الكثيرة الواجبة .

وودّع سيّدة النساء وأئمة البقيع عليهم السلام كما تودّع ، وودّع المدينة المشرفة

وهكذا تزور كل واحد من الأئمة ، وتناجي مع كل واحد منهم بما يناسبه .
و تزيد في زيارة [سيد] الشهداء أنك لا تجد مطعمك و مشربك مادام في الطريق وفي كربلاء وتأكل دوناً و تلبس دوناً و تكون أشعث أغبر ، وتترك الملاذ مادام كنت ثاوياً في كربلاء ، و يكون عليك سمة أهل العزاء ، و تذكر عنده مصائبه و تبكي و تظهر الأحران ، و تذكر كل واحد من أهله و أصحابه ، و تذكر ما أصابهم ، و تظهر الأسف الشديد من حرمانك الشهادة بين يديه ، وفدائك روحك دونه ، هذا .

و لتفصيل أسرار زيارتهم عليهم السلام محلاً آخر لا يسعه هذا المختصر ، و لعل الله يوفّقني بعد ذلك باظهار تفاصيلها .

﴿ الفصل السادس عشر ﴾

﴿ في أسرار مراقبات شهر ذى الحجة ﴾

فعلى المراقب أن يهتم لا ستهلاله حتّى يكون على يقين من مقامات أوقاته الخاصة ، بل على المراقب أن يجعل ذلك من حوائجه المهمة التي يذكرها في أوقات دعائه ، ثمّ الدعاء عند رؤية الهلال ببعض ما ورد في الأخبار من الدعاء المطلق للرؤية و في الدعاء الذي أنشأه السيّد قدّس سرّه أيضاً مضامين عالية لأهل الذكر من المراقبين ، فجزاه الله عنّا خير جزاء المرشدين .

ثمّ من مهمّات ^(١) أهل المراقبة معرفة حال هذا المنزل الشريف شرفاً وفضلاً و معرفة شرف مقاماته الكريمة و معرفة فوائدها .

اعلم أن شهر رمضان وإن ورد فيه أنّه أفضل الشهور ، و أيامه أفضل الأيام وساعاته أفضل الساعات ، إلّا أن هذا الشهر أيضاً ورد لبعض أيامها من الفضل ما يزيد على شهر رمضان ، ويمكن الجمع بأنّ لشهر رمضان فضلاً على سائر الشهور بالذات

(١) في الاصل [من أهميات] .

وليوم الغدير مثلاً فضلاً من حيث ما ظهر فيه من أمر الولاية ، وإكمال الدين ، وإتمام النعمة ، أو أن يخصّص أخبار شهر رمضان بأخبار الغدير أو أن يكون كلُّ منهما أفضل من جهة لا من جميع الجهات .

و بالجملة أمر هذا الشهر عظيم جداً وللمراقبين في هذا المنزل مواقف يجب بحكم العبوديّة و حقّ المراقبة أن لا يدخلوها مع الغفلة ، فيضيعوا حرمتها ، بل عليهم أن يراقبوها قبل حلولها ، ويعدّوها و الهاعدّتها قبل حضورها ، فانّها مشاهد للأبرار و الأطهار ، و أهل القدس و الأنوار .

و ينبغي لمن طمع في حضور مشهد هؤلاء الملوك و الأعيان أن يتشبه بهم في زيّهم و هيئاتهم ، لئلاّ يرغبوا عن مجالسته ، و يشمئزّوا عن مرافقته ، فلينظر العبد المرید لهذا المجلس الكريم أن يتكلّف في التشبّه بهم في أخلاقهم و صفاتهم ، فانّ لهم نفوساً زكيّة ، و قلوباً زاكية طاهرة ، و أخلاقاً حسنة ، و أعمالاً صالحة ، وإنّهم علماء حلماء ، برة أتقياء ، عرفاء حكماء ، حفظة أزكيا ، صائمون قائمون ، ذاكرون متوكلون ، مسلمون راضون ، مسبحون حامدون ، مهللون مكبّرون ، موحّدون صادقون مخلصون .

فان كنت منهم فهنيئاً لك و طوبى ، و إن لم تكن فتكلّف أن تتشبه بهم فيما هم عليه ، و إن لم تقدر فتوسّل إلى كرمهم في قبولك لخدمتهم ، وضع نفسك موضع خدّ امهم و عبيدهم مع خجل و اعتذار ، ولكن لا تقصّر في مقدورك من التشبّه و تحصيل العدّة ، و تنافس في حضور هذه المشاهد العظيمة و المواقف الكريمة ، ببذل حياتك و روحك ، فانّ هؤلاء الأَشهاد من أهل الكرم و الجود لا يخسر من عاملهم ، ولا يهلك من تابعهم ، و يفلاح من خالطهم ، و يعزّ من جالسهم ، والله تعالى هو الذي أدّبهم بالكرم ، و هو لا يناقش في تبعثهم بل يحبّهم كما أنزل في كتابه : « قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله » و يقرب من قرّبوه ، و يكرم من أكرموه .

و كيف كان فمن جملة المواقف العشر الأوّل منه ، وهي المراد من الأيام المعلومات في قوله تعالى : « و اذكروا الله في أيام معلومات » و الذّكر لا يجتمع مع الغفلة ،

فاحذر عن أن تدنس قلبك بالفضلات في هذا الشهر ، لاسيما بالمعصية ، و[من] تمام الذكر أن تكون بعقلك و روحك وقلبك وقلبك ذا كراً لله جلّ جلاله ، فان لكل منها ذكراً خاصة .

واغتنم إذن الله لك في ذكره وقد ربّعك ذلك من النعم العظيمة التي لا تقدر على أداء شكرها طول عمرك ، وأحضر روحك في مقام الحضور كأنتك حاضر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وأقبل بقلبك على عبوديته و شكر نعمته التي لا تحصى ، و اشغل بجميع جوارحك بما يخصها من العبادات و القربات ، فاذا ذكرته كذلك فابشر أنه علامة ذكره عزّ و جلّ لك في كلّ بكلك وأنته يذكرك ثانياً في جميع ذلك جزاءً لذكرك بها ، فأنه تعالى يذكرك ذا كرية مرتين فسبحانه من متفضل ما أفضله ، و من شكورما أشكره .

و تفكر فيما ورد في فضيلة هذه الأيام عن النبي ﷺ من قوله : « ما من أيام أزكى عند الله تعالى ولا أعظم أجراً من عشر الأضحى ، قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه و ماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء » وما ورد من قوله : « ما من أيام ، العمل الصالح فيها أحب إلى الله عزّ و جلّ من أيام العشر يعني عشر ذي الحجة ، قالوا : يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه و ماله فلم يرجع » .

فانظر إلى هاتين الروايتين ، لاسيما الرواية الثانية ، وعظم ما عظم الله ، و تشرعن ساق الجدّ وادخل هذا الميدان بكمال النشاط والشوق ، والدعاء والتوسّل إلى خفراء الأمة لاسيما الليلة الأولى ، وزدني التضرع إلى باب كرمهم أن يدخلوك في همهم و حزبهم ، و دعائهم و حمايتهم ، و ولايتهم و شفاعتهم و شيعتهم ، و يرغبوا إلى الله جلّ جلاله في توفيقك و قبولك و رضاه عنك ، و تأييدك و تسديدك ، و كل خيرك لدينك و دنياك و آخرتك ، لنفسك و أهلّك و إخوانك في الله ، و جيرانك و ذوي حقوقك .

وصل في كل ليلة منها بين المغرب والعشاء ركعتين تقرأ في كل ركعة منهما فاتحة الكتاب والاخلاص ، وقوله تعالى : « واعدنا موسى ثلاثين ليلة و أتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين » وإذا فعلت هذا شاركت الحاج في ثوابهم وإن لم تحج . وتذكر عند قراءة الآية الشريفة أنه ما هذه المواعيد ؟ وزد حسرة و شوقاً إلى لقاء الله ، ولاتكن من الخاسرين «الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألاساء ما يزررون» .

و تفكر فيما روي عن النبي ﷺ في وصف شوق الكليم إلى هذا الميقات حيث قال : ما أكل و ما شرب وما نام في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى لقاء الله . و صم أول يوم منه فإنه روى في الفقيه : «أن من صام أول يوم من عشر ذي الحجة كتب الله له صوم ثمانين شهراً» .

وروى الشيخ أنه اليوم الذي ولد فيه الخليل ، وفيه اتخذ الله إبراهيم خليلاً وأنه بعث فيه النبي ﷺ سورة براءة مع أبي بكر ثم نزل على النبي ﷺ أنه لا يؤذيها عنك إلا أنت أو رجل منك ، فأنفذ النبي ﷺ علياً عليه السلام حتى لحق أبا بكر فأخذها منه ، وردّه . وتقطن ما في هذه الحكايات من الاشارات ، وفيه تفصيل طويلاً ذكره ومن أراد راجع إقبال سيدنا قدس سره .

ومن عمل هذا اليوم الأول أنه يستحب فيه صلاة فاطمة الزهراء سلام الله عليها ، وهي أربع ركعات بالحمد مرة وخمسين مرة قل هو الله أحد ، ويسبح عقيبها تسبيح الزهراء سلام الله عليها ويقال : « سبحان الله ذي العز الشامخ المنيف ، سبحان الله ذي الجلال الباذخ العظيم ، سبحان الله ذي الملك الفاخر القديم ، سبحان من يرى أثر النملة في الصفا ، سبحان من يرى وقع الطير في الهواء ، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره » ويستحب في هذه الأيام كلها الدعاء الذي أوله : « اللهم إن هذه الأيام التي فضلتها على غيرها » بعد صلاة الصبح والمغرب .

و من أهمّ ما ينبغي أن يفعل في هذا العشر ما روي عن المفيد قدّس سرّه
باسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله أهدى إلى عيسى بن مريم على نبينا و
آله و عليهما السلام خمس دعوات ، جاء بها جبرئيل عليه السلام في أيام العشر ، فقال :
يا عيسى ادع بهذه الخمس الدعوات ، فإنّه ليس عبادة أحبّ إلى الله تعالى من عبادته
في أيام العشر يعني عشر ذي الحجة .

أوّلهنّ : «أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير
وهو على كلّ شيء قدير» .

و الثانية : «أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له أحداً صمداً لم يتخذ
صاحبة ولا ولداً» .

و الثالثة : «أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له أحداً صمداً لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفواً أحد» .

و الرابعة : «أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي
و يميت وهو حيّ لا يموت بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير» .

و الخامسة : «حسبي الله و كفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى أشهد الله
بمادعا ، وأنّه بريء ممن تبرء و أن الله الآخرة و الأولى» .

قال الحواريني لعيسى [على نبينا و آله و] عليه السلام : يا روح الله ما ثواب
من قال هؤلاء الكلمات ؟ قال :

أمّا من قال الأولى مائة مرّة لا يكون لأهل الأرض عمل أفضل من عمله ذلك
اليوم ، وكان أكثر العباد حسنات يوم القيامة .

و من قال الثانية مائة مرّة فكأنّما قرأ التوراة والإنجيل اثني عشر مرّة و
أعطى ثوابها قال عيسى عليه السلام : يا جبرئيل وما ثوابها ؟ قال لا يطيق أن يحمل حرفاً
واحداً من التوراة و الإنجيل من في السماوات السبع من الملائكة حتّى أبعث أنا
و إسرافيل لأنّه أوّل عبد قال لا حول ولا قوة إلاّ بالله .

ومن قال الثالثة مائة مرة كتب الله له [بها] عشرة ألف حسنة ، ومحا عنه بها عشرة ألف سيئة ، ورفع له بها عشرة ألف درجة ، ونزل سبعون ألف ملك من السماء رافعي أيديهم يصلّون على من قالها ، فقال عيسى عليه السلام : يا جبرئيل هل يصلي الملائكة إلا على الأنبياء ؟ قال جبرئيل : من آمن بما جاء به الأنبياء من جانب الله ، ولم يبدل أطي ثواب الأنبياء .

و من قال الرابعة مائة مرة تلقّاها ملك يصعد بين يدي الجبار عز وجل فينظر الله عز وجل إلى قائمها ، ومن نظر الله تعالى إليه فلا يشقى .
قال عيسى عليه السلام : يا جبرئيل ما ثواب الخامسة ؟ فقال هي دعوتي ولم يؤذن لي أن أفسرها لك .

أقول : ليت شعري أهذه المثوبات لمجرد القراءة أولها شرط ؟ روي أنه قال أبو الحسن الرضا عليه السلام في مسيره إلى طوس : من قال لا إله إلا الله وجبت له الجنة ، ثم قال بشرطها وشروطها وأنا من شرروطها ، ولا بد أن يكون له شروط ومن الشرط المقتوعة أن يكون معتقداً لا محالة لما يقول وأنا أشرح معناها فانظر هل تعتقد به أم لا ؟

فأقول : معنى « أله » : فزع ، فالأله بمعنى المفزع ، ومعنى الشهادة الحضور ، فمعنى « أشهد أن لا إله إلا الله » أنا شاهد أن لا مفزع في الوجود إلا الله « له الملك وله الحمد » أي لا ملك لأحد إلا الله ولا خير ولا نعمة ولا فضيلة إلا لله وفي الله ، يعني العالم كله ملك الله ، ولا خير ولا فائدة من أحد إلا الله .

فمن اعتقد أن لا مفزع إلا الله ، كيف يفزع إلى غير الله في أموره ولا يفزع إلى الله ؟ ومن فزع في مهماته إلى أبيه مثلاً أو إلى شيء من عروض الدنيا ، وكان اطمئنانه وسكون قلبه إلى مال الدنيا أكثر من وعد الله في كتابه بعد تأكده بالقسم فهل يجتمع ذلك مع اعتقاد أن لا مفزع إلا الله .

ثم أقول : من اعتقد أن الملك كله لله كيف يتصرف فيه بغير إذنه ؟ وكيف يتوقع تملكه من غيره ؟ وكيف يثقل عليه أن يصرف ملك الله في عياله .

ثم أقول : من اعتقد أن الحول والقوة والعزة والقدرة كلها لله ، كيف يرغب لأحد في مطمع ؟ وكيف يخاف من أحد في محذور ؟ كيف يرى غير الله ضاراً نافعاً ؟ وكيف يخالف مراد الله في ملاحظة المخلوق .

و بالجملة من اعتقد بمضمون هذه الشهادة الموجودة في هذا الدعاء لا يرى في أحد نفعاً ولا ضرراً ، و يكون الناس عنده كالجماد ، و إذا رأى ظاهراً خيراً من أحد لا يشكر إلا الله ، و إذا رأى من أحد ضرراً أو محذوراً يعلم أنه عقاب من الله ، ولم ينله ذلك من الله إلا من جهته ، جزاء لسوء عمله .

و أما من يرى الخير في عروض هذه الدنيا ، ولا يطمئن لحوائجه إلا بها ، و يرى الخير والسعادة في الملوك الأغنياء ، ويتملق للأغنياء و الملوك طمعاً في دنياهم ، و يخالف أمر الله ونهيه في كسب الجاه والمال ، و يحزن بفقد المال ، و يفرح بوجوده و يفرح في الشدائد و النوائب إلى غير الله ، ولا يطمئن بوعده الله لرزقه مع قسمه ، و يأمل غير الله في نوائبه ، فهو كالمنافق في شهادته هذا ، والله يشهد أنه لكاذب ، و يعجبني أن لا أترك ذكر مارواه في [الكاف] في هذا الباب من الحديث القدسي .

روى ثقة الاسلام فيه عن أبي عبد الله عليه السلام عن الحسين بن علوان قال : كنا في مجلس نطلب فيه العلم ، ولقد فقدت نفقتي في بعض الأسفار فقال لي بعض أصحابنا من تؤمل لما قد نزل بك ؟ فقلت فلاناً ، فقال : إذا لاتسعف حاجتك ، ولا يبلغ أملك ولا ينجح طلبتك ، قلت وما علمك رحمك الله ؟ قال : إن أبا عبد الله عليه السلام حدثني أنه قرأ في بعض الكتب أن الله تبارك و تعالى يقول : « و عزتي وجلالي و مجدي و ارتقاعي على عرشي لا قطعن أمل كل مؤمل غيري باليأس ، ولا كسونه ثوب الذلة عند الناس ، ولا تحيئنه عن قربي ولا بعدنه عن وصلي ، أيؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي ، ويرجو غيري و يقرع بالفكر باب غيري و بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني . »

« فمن ذا الذي أملني لنوائبه فقطعته دونها ، و من ذا الذي رجاني لعظيمة

فقطعت رجاء منّي ، جعلت آمال عبادي كلّها عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي و
ملأت سماواتي منّ لا يملّ من تسميحي ، وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني و
عبادي . فلم يثقوا بقولي » ،

« ألم يعلم من طرقتة نائبة من نوابي أنّه لا يملك كشفها أحد غيري إلّا من
بعد إذني فما لي أراه لاهياً عنّي ؟ أعطيته بجودي مالم يسألني ثمّ انتزعت عنه فلم
يسألني ردّه وسأل غيري ، أفيراني أبداً بالعطاء قبل المسألة ثمّ أسأل فلا أجيب سألني ؟
أبخيل أنا فيبخلني عبدي ؟ أو ليس الجود والكرم لي ؟ أوليس العفو والرحمة بيدي
أوليس أنا محلّ الآمال ، فمن يقطعها دوني ؟ أفلا يخشى المؤمنون أن يؤمّلوا غيري
فلو أنّ أهل سماواتي وأرضي أمّلوا جميعاً ثمّ أعطيت كلّ واحد منهم مثل ما أمّل
الجميع ، ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرّة ، فكيف ينقص ملك أنا قيّمه ؟ فيا بؤساً
للقانطين من رحمتي ، ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني » .

أقول : انظر يا أيّها المسكين في مواعيد هذا الحديث [. . . .] واستدلالاته و
عظمته ، فإنّه أعظم من السماوات السبع ، ومن العرش العظيم ، وخاطب في مطالبته
نفسك ، واستفهم عقلك ، وانظر هل تقدر أن تنكر شيئاً ممّا ثبت فيه من قدرته وسلطانه
و ملكه ، و كون الشدائد بيده ، و كون مفاتيح الأبواب بيده ، و كون بابه مفتوحاً
لمن دعاه .

أولم ينزل في ذلك قرآناً ودعاك إلى دعائه ؟ أولم يخبرك أنّه قريب منّ دعاه
ومجيب لمن ناداه ؟ أو هل رأيت أحداً أمّله لنوابه فقطعه دونها ، ورجاه لعظمة فقطع
رجاه ، ولا تتخيّل أنّك تؤمّل الله لنوابك فيقطع أمّلك ، و ترجوه لحوائجك و
خبيك ، لأنّك كاذب في أمّلك منه ، وغير صادق في رجائك له .

ولو كنت راجياً له لكنت طالباً لرضا ، وهارباً من سخطه ، لأنّ الرجاء والأمل
عملان للقلب ينشئان من العلوم الثلاثة : العلم بالقدره والكرم والعناية ، فما يحصل
من هذه العلوم الثلاثة للقلب من الظنّ بالكرم ، و انتظار الخير يسمّى رجاءً ، و
الظنّ في الرجاء أقوى منه في الأمل .

ومن اعتقد من قادر عنايته ، و ظنَّ كرمه ، لابدُّ أن يراقبه ، و يخضع له و يتملِّق ، و كلما زاد الرجاء و كان المرجوُّ من الخير جليلاً عند الراجي ، لا سيَّما إذا كان غير منحصر في خير و سعادة ، ولا سيَّما إذا كان غير محصور ، و كان من جملة ما يضطرُّ إليه الراجي في وجوده و بقائه و سلامته ، و جميع أنحاء تعيُّشه ، زادت المراقبة و الملق و الخضوع ، و الجدُّ في طلب مرضاته ، و الهرب عن سخطه ، و الانسان مجبول في ذلك و هو عبد النعيم ، كما هو المعمول فيما يرتجيه العامة من ملوك الدنيا و أرباب الجود و لاخلف .

مع أنَّهم يعتقدون بحكم الايمان ، و يرون بحكم التجربة أنَّ قلوب هؤلاء المخلوقين إنَّما هو بيد الله ، يقلِّبها كيف يشاء ، و لذلك قيل : الناس عبيد الاحسان إذا أمَّلوا من أحد إحساناً يخضعون له خضوع العبيد و يطيعونه . و بالجملة لو تيقَّن أحد في مورد قدرة و كرمًا و عناية خضع له بالفطرة ، و لا يعصيه بالاختيار ، فهذه المخالفات لله تعالى من جهة ضعف الايمان و فقد الايقان فبقدر الايمان يحصل المراقبة .

فاذا تمهَّد ذلك تبيَّن أنَّ المخالف لله تعالى في أوامره و نواهيه ، ليس راجياً و غير الراجي ليس صادقاً في شهادة أن لا مفرع إلاَّ الله ، وأنَّ الملك و الخير منحصر لله و لا يوجد من غيره ، هذه في الأدعية الأربعة ، و أمَّا الخامس ففيه تفصيلات لا يقدر على صدق القول بها إلاَّ عبد موحد موقن بالتوحيد ، و نفي التأثير عن الغير ، وأنَّه كاف لحوائجه ، وأنَّه منزَّه من كلِّ شين ، و من جملة ماتنزه منه العجز و البخل و الكذب ، و قد أنزل في كتابه : « ومن يتوكَّل على الله فهو حسبه » وقال : « ادعوني أستجب لكم » .

فمن تيقَّن ذلك كلَّه في الله ، هل يمكن أن يرى لشيء دخلاً في مطالبه و حوائجه ، و الموحدون إنَّما يرون ذلك شركاً ، بل ينزَّهون الله عن الشريك في الارادة ، بل عن الشريك في الوجود ، ويقولون لا مؤثر في الوجود إلاَّ الله .

وإذا تمهّد عندك هذه المقدمات ، يسهل لك تصديق ما روي من المثلوبات في الرواية السالفة على هذه الدعوات ، وتتقطّعن من ذلك أنّ الثواب بقدر الايمان بها والتحقيق بمضامينها ، وتقطع بأن المراد ليس مطلق قراءتها .

هذا كلّه من جهة الصدق في قصد معاني ما يقول ، و لذلك جهة أخرى وهو أن يقرأها بحضور القلب وقصد المعنى ، فمن يقرأها وهو غافل عن معناه بل ولفظه فكيف يدخل ذلك في هذه الرواية؟ لأنّ قراءتها من حيث إنّها ذكر الله و الدعاء ومن قرأها وهو غافل عمّا يقول ، لا يقال : إنّهُ قرأ الدعاء ، و أنّه دعا ، بل يقال تلفّظ بالفاظ الدعاء ، ولأنّ للدعاء صورة وروحاً صورته ألفاظها وهي قائمة باللسان ، و روحه معانيه ، وهي صفة للقلب وقائمة به ، فمن كان قلبه غافلاً عن دعائه وما يتلفّظ به ، فدعاؤه دعاء بلا روح ولا حياة .

فان قيل : فعلى ما قلت لا فائدة في قراءة هذه الدعوات لمن يعمل بالمعاصي ؟ لا سيّما إذا كان غافلاً عن قصد معناه ؟ و هذان الأمران لا يتمّان إلّا في الكاملين من المؤمنين ، بل يختصّ بزمرة المقرّبين .

قلت : ليس الأمر كذلك بل الذي يلزم على ما قلناه أن جميع هذه المذكورات في الخبر إنّما هو حقّ من قرأها حقّ قراءتها وأنّ من لا يخاف الله ولا يرجوه ولا يطيعه في شيء من أوامره و نواهيه ، فهو محروم من فوائدها كلّها ، وأمّا من كان مؤمناً بالله ، ومطيعاً له بقصده ، ولا يملك نفسه في بعض الأوقات و يعصي و يسيئه معصيته فهو إذا كان قاصداً لمعاني ما يقول ، فهو ليس محروماً من فوائدها ، بل المرجو من كرمه تعالى أن يكملّ له أكثر ما ذكر في الرواية من الفضل و يزيد ، و أمّا من كان حاله هذا ، و هو غافل عن قصد معانيها في قراءة بعضها ، و قاصد لها في البعض الآخر ، فهو أيضاً قد يناله فضل من الله و أحيا ما قرأه بالغفلة بقصده الاجمالي الذي بعثه إلى قراءته و يرّبّيه له .

وبالجملة فيقدر إيمانه وعمله وقصده يثاب جزماً ، وقد يتفضّل عليه ، ويسامح

في تقصيره ، ويعطيه نوراً زائداً على ما وعده في حكمه العام ويربِّي ما ناقصه^(١) ويكمِّله فيوفِّي عليه جزاء الكامل التام .

وبالجملة للمكلف أن لا يترك شيئاً من الخير و العباداة ، لشبهة أنه لا ينفعني من جهة سوء حالي لأنَّ كلَّ ما يسنح من الخواطر لترك العمل ، فهو شيطانيٌّ ، بل له أن يجدَّ ويسعى في تصحيحه ، ولو لم يقدر حين العمل على إتيان الشروط ، وهو عازم على أن يأتي بها ، ولكن يمنعه عدم القدرة فهو [حينئذ] مضطرب يسقط عنه غير المقدور فليات بمقدوره ، و يلتجئ إلى الله في قبوله ، و إذا علم الله من قلبه أنه في مقام الاضطرار إمَّا أن يمنَّ عليه بالقدرة ، أو يقبله بمقدوره ، ولا يردُّه من جهة ما لا يقدر عليه من الشرائط ، ولو كان عدم قدرته بسوء اختياره فيما تقدَّم ، إذا ندم منه وتاب عند العمل .

ومن أهمَّ ما ورد في هذا العشر التهليلات العشر كلَّ يوم عشراً ، وهو : « لا إله إلا الله عدد الليالي » الخ وقد ورد لها ثواب عظيم ، وليتفطن أنَّ الله تعالى من فضله و كرمه يقبل من العبد التضعيف بهذا الوجه مكان المضاعف الخارجي فمن قال : الحمد لله مائة مرة مثلاً يقبل ذلك منه بمائة حمد ، و يجزيه جزاء من حمده مائة مرة .

ثمَّ ليتفطن أنَّ تغيير الأسلوب في الفقرة الثالثة و هو قوله : لا إله إلا الله و رحمته خير ممَّا يجمعون « حيث لم يقل : لا إله إلا الله عدد ما يجمعون لأنَّه عبارة عن عروض هذه الدنيا الفانية ، وهي من جهة حقارتها عند الله ، بل من جهة كونها عدوَّة لله لأنَّها تقطع طريق عباده إلى الوصول بقربه و كرامته ، لكونها شاغلة لهم عن ذكره وفكره و عبادته - فلذلك عدل عن التصريح بتهليله عدده بالاشارة بكلام فيه إشارة إلى علَّة الاستحقار و العدول ، و هو أنَّ رحمة الله خير من عروض هذه الدنيا يعني الآخرة خير من الأولى والله خير وأبقى .

فاذا تفتّـنَ لذلك فليستقلّ همّ الدنيا في قلبه ، وليعلم أنّ من كثر همّها في قلبه يسقطه عن الشرف الذي لقلب المؤمن في عين الله .

ومن الأهمّ ^(١) صوم هذه الأيام التسعة لاسيّما اليوم الأوّل ، روي أنّ صومه يكتب ثمانين شهراً ، وصوم التسعة صوم الدّهر ، وصوم التروية كفارة ستين سنة ، وكلّ ذلك للرواية .

وأما ليلة عرفة فروي أنّ ليلة عرفة يستجاب فيها ما دعا من خير ، وللعامل فيها بطاعة الله تعالى أجر سبعين و مائة سنة ، وهي ليلة المناجاة وفيها يتوب الله على من آب ، ويستحبّ فيها أن يدعو بالدعاء الذي أوّله : اللهمّ يا شاهد كلّ نجوى . أقول : لا تغفل عن مضامين هذه المناجاة الفاخرة ، ولعمري لو كنت من أهلها لرأيت فيها علوماً ينبغي للمسلم أن يصرف عمرّاً في تحصيلها ، وادع بها حياً ، ولا تدع بها ميّتاً ، وتفكّر فيما تضمّنته من أسماء الله وصفاته وأفعاله ، فان انكشف لك شيء من حقائق بعضها أو انشرح صدرك بفهم بعض مراداتها لصدّقت ما قلناه بحقيقة التصديق .

و تفتّـنَ أنّ المراد بالأسماء التي يقسم فيها على الله هل هو اسم لفظي أو اسم عينيّ لعلّك لو تفكّرت في مضامينها لاسيّما في مثل ما فيها : « و باسمك الذي رفعت به السماوات بلا عمد و سطحت به الأرض » الخ عرفت أنّ المقصود منه الاسم العينيّ وهكذا قوله : « و باسمك السبّوح القدّوس البرهان الذي هو نور على كلّ نور ، و نور من نور ، و نور يضيء منه كلّ نور إذا بلغ الأرض انشقت » الخ لا يلائم بالأسماء اللفظيّة ، فان هذه الصفات لا يتعقّل في الأسماء اللفظيّة إلاّ بتأويل يرجع إلى الأسماء العينيّة .

وأيضاً لا تغفل عن التصريح فيها و كذا في أغلب المناجات الطوال أنّ وجود كلّ شيء و خلقه إنّما هو بأسماء الله فتفكّر في هذه المعاني لعلّك تعرف بنور التفكّر ما كنت غافلاً عنه من جواهر العلوم ، و أسرار الكون التي أشير إليها في القرآن

(١) في الاصل : [ومن الاهميات] .

العزیز من الايمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله واليوم الآخر ، واشكر نعمة من علمك بها .

و روي أيضاً عن النبي ﷺ عشر تسبيحات من قرأها ألف مرة لم يسأل الله عز وجل شيئاً إلا أعطاه إلا قطيعة رحم أو إثم و يستحب فيها زيارة الحسين عليه السلام .
ومن مهمات الليلة مراجعة الحمة ﷺ في أولها و آخرها على ما كررنا ذكره في أمثالها من الأوقات الشريفة .

وأما يوم عرفة فمن قدر فيها إلى حضور عرفات أو كربلاء فذلك من أهم ما ينبغي فيها للدعاء ، وهو يوم كأنه محض للدعاء فللمراقب أن يستعد بكل ما يقدر عليه لهذا الموسم الجليل والعمدة في ذلك أن يحصل شرائط استجابة الدعاء ، وأهميته الدعاء في هذا اليوم بحيث منعوا من يضعف الصوم عن الدعاء عن الصوم فيه ، مع أن في بعض الأخبار الصحيحة المعتمدة أن صومه كفاره تسعين سنة .

ثم إن ما ذكرناه من رجحان حضور عرفات و كربلاء أماعرفات فبالضرورة من تشريع الحج و أما كربلاء فبالأخبار الكثيرة الواردة في ثواب زيارته عليه السلام في يوم عرفة ، و في رواية الصدوق عن أبي عبد الله عليه السلام أن الله تبارك و تعالى يتجلى لزوار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات ، يقضي حوائجهم ، و يغفر ذنوبهم ، و يشفعهم في مسائلهم ، ثم يأتي أهل عرفات فيفعل بهم ذلك . و روي عنه عليه السلام أن من زار الحسين بن علي عليه السلام يوم عرفة كتب الله عز وجل له ألف ألف حجة مع القائم عليه السلام ، وألف ألف عمرة مع رسول الله ﷺ ، و عتق ألف ألف نسمة و حملان ألف ألف فرس في سبيل الله ، و سمّا الله عبدي الصديق آمن بوعدي ، قال السيّد قدس الله نفسه الزكية والأخبار في فضل زيارته عليه السلام في عرفة متواترة .

أقول : وأما اختلاف الأخبار في تعيين ثوابها بألف و ألفين و ألف ألف فلعله بالنسبة إلى درجات الزائرين ، أو بالنسبة إلى كيفية الزيارات ، مع الخوف أو عدمه أو غير ذلك من جهة الرجحانات ،

ولكن الأولى للزائر العارف أن يغتسل للزيارة وليوم عرفة ، ويبتدئ بها بحديث يتممها إلى الزوال ، فيشرع من حين الزوال إلى مقدّمات الصلاة والدعاء وأما آداب الزيارة فقد مضى في زيارة النبي ﷺ ما ينفع هنا ولكن الأهم في زيارة الحسين ﷺ أن يكثر في شعار العزاء من الأحزان والأشجان والبكاء ، ويكون أشعث وأغبر ، ويتمنّى مكانة أصحابه ﷺ في الوفاء بحقه ، والشهادة بين يديه ، ويكثر من قول : « يا ليتنا كنّا معكم » عن حقيقة قلبه ، ويتوجّه بقلبه و سرّه إلى روحانيّة الحسين ﷺ ويستمدّ من فضله وأنواره و برّكاته في قبوله وقبول زيارته و سائر أعماله و إلحاقه بأصحابه .

وليعلم أن باب الحسين ﷺ باب واسع الرحمة ، سريع القبول و الرضا ، و كان ﷺ يقول في حياته « مثل الإحسان مثل المطر يصيب البرّ و الفاجر » .
ويعجبني أن أشير في هذا المقام إلى ما حكى لي بعض أجلة الثقات من أهل العلم عن بعض الثقات أنّه كان له رفيق في صغره من أهل بلده يعرفه ثمّ إذا كبر الرفيق صار عشّاراً ومضى عليه مدّة في هذا الشغل ، فمات و دفن في مقبرة فرآه في النوم في حال جيد وعيش هنيئ ، وسأله عن ذلك وعن سبب نجاته ، قال : إنّي كنت معدّماً [بعدموتي] بسوء أعمالي إلى أن دفنت في هذه المقبرة في اليوم الفلاني المرأة الفلانيّة زوجة فلان فزارها الحسين ﷺ في الليلة التي دفنت فيها ثلاث مرّات ، و إذا صار المرّة الثالثة أمر الملائكة أن يرفعوا العذاب من جيرانها ، فرفع عنّا العذاب وحسن حالنا و إذا استيقظ من نومه ، تفقّد عن زوجها فوجده ، وسأله عن زوجته و موتها ، و مكان دفنها و كان كما أخبره العشّار ، و سأل زوجها عن أحوالها و أعمالها ولم يجد لها عملاً مربوطاً بالحسين ﷺ إلا مداومتها لزيارة عاشوراء .

فانظر يا أخي في ودّه و وفائه ﷺ أنّه يزور مرّة في ليلة ثلاث مرّات ، و يوصل إليها من شفاعته و برّكاته ما يكون حظّ جيرانه حتّى العشّار منهم ارتفاع العذاب وحسن الحال ، اللهمّ بلغه عنّا في كلّ لحظة إلى أبد الآباد من الصلوات

والتحيّات والتسليمات ، عدد ما أحاط به علمك ، و مبلغ رضاك ، وما لانقاده .
وبالجملة إذا زاره عليه السلام على ما ينبغي و أراد الدعاء ، و اقتضى حاله و توفيقه
فليصل اثنتي عشرة ركعة في كل ركعة فاتحة الكتاب مرّة ، وآية الكرسي و قل
هو الله أحد مرّة ، وليقرأ ما تيسر من القرآن ويخرّ ساجداً ويرفع [رأسه] ويقول :
« سبحان من لبس العز » الخ ويدعو بما أحب وإن لم ينشط لذلك فليصل ركعتين قبل
الخروج بارزاً تحت السماء ثم يأتي الحرم ويزوره ، وإن كان في غير كربلاء فليصل
بعد الظهرين و نوافلها تحت السماء ثم يأتي محلّ دعائه ، فليبالغ في هاتين الركعتين
فانّها بمنزلة الهدية يهديها المتشرّف بحضور الملوك قبل الحضور .

ثمّ اعلم أنّ فتح أبواب الدعاء من ملك الملوك تعالى جلّ جلاله كرامة لا
يمكن أن يوجد من أحد من المخلوقين مثله ، و أنّه باب واسع يقابل كل أبواب
السعادات ، و أسهل مؤونة من جميع هذه الأبواب ، و ليس في أبواب السعادات باب
يكون طريقاً لكلّ مطلوب ممكن : جزئي و كلي ، ديني و دنيوي ، من جميع وجوه
الآمال ، ولا يكون له حدّ في ذلك ، وليس في شرائطه عمل يثقل على الأبدان .

نعم شرائطه متعلّقة بتصحيح العقائد والمعارف ، و سائر شرائطه الدائرة على
الأعمال البدنيّة كلّها شرائط كماليّة قليلة المؤونة لا تثقل فيها ، مثل البكاء والتختّم
والتلبّث و التمجيد والتحميد والصلاة على النبي وآله والاقرار بالذنوب ، وتشريك
المؤمنين و الختم بالصلوات وما شاء الله ولا قوّة إلّا بالله ، و جامع شرائطه المعنويّة
القلبيّة التحقّق بحقيقة الايمان بالله وصفاته وأسمائه ، وإذا اتّصف قلب العبد بصفة
الايمان بالله ، وبقدرته و علمه ، و عنايته وجوده ، و كرمه و صدقه ، و دعوته عباده
إلى دعائه [و دعاه] فالحاجة أو بدلها النعمي بالباب ، ولا خلف .

وإذا جلست للدعاء فعليك بسكينة و وقار ، ولتبتدء قبل الشروع بما ورد في
ذلك من الذكر .

أقول : فليلاحظ العبد حاله فان نشط لمفصّلات ماورد فيه ، من حمد الله وتهليله

وتمجيدته والثناء عليه أولاً إجمالاً ثم يكبر مائة مرة ثم يحمد كذلك مائة ويسبح كذلك ويهلل كذلك ويقرأ قل هو الله أحد مائة مرة وسورة القدر مائة مرة وفي رواية آية الكرسي مائة مرة ، ويصلي على النبي وآله مائة مرة .

وإن وجدت في نفسك كسلاً عن ذلك فاقتصر بالتكبير والتهليل والتحميد والتسبيح والصلوات ، ولتكن مع [الحضور و] الصدق والاخلاص .

ولا تنس عند التكبير ما في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام قال : « إذا كبرت فاستغفر ما بين العلى والثرى دون كبريائه ، فإن الله تعالى إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبر ، وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره ، قال : يا كاذب أتخدعني وعزتي وجلالي لأحرمنك حلاوة ذكري ، ولأحجبنك عن قربي والمسرة بمناجاتي » .

قال : « فاعتبر أنت قلبك حين صلواتك ، فإن كنت تجد حلاوتها ، وفي نفسك سرورها وبهجتها ، وقلبك مسروراً بمناجاته ، ملتدّاً بمخاطباته ، فاعلم أنه قد صدّقك في تكبيرك ، وإلا فقد عرفت من سلب لدّة المناجاة ، وحرمان حلاوة العبادة ، أنه دليل على تكذيب الله لك ، وطردك عن بابه » .

أقول : هذا حقّ واقع صدق ، لأنّ التكبير له صورة في اللسان ، وهو قولك « الله أكبر » و حقيقة في قلبك وعملك ، وهو أن يكون الله جلّ جلاله في نفسك أكبر من كلّ كبير ، وأكبر من أن يوصف ، وعلامة ذلك أن يكون قلبك وروحك وقلبك كلّها خاضعة له جلّ جلاله خضوعاً لا تخضع لأحد من الكبراء مثله ، و تشتاق إلى مجالسته ومؤانسته و مناجاته اشتياقاً لا تشتاق مثله في مؤانسة أحد من العظماء فحينئذ لا بدّ أن تتبرّك بذكره ، وتتشرّف بخدمته ، وتمجّد من مجالسته وتلتدّ من مناجاته ومؤانسته ، فوق ما تتأثّر بشيء من ذلك مع أحد من الملوك والشرفاء ، فإنّ العقل يلتدّ بالشرف والمجد فوق ما يلتدّ بسائر الملادّ ،

فإذا صدّق روحك وقلبك وعملك لسانك في التكبير فهو جلّ جلاله أشكر

من كل شاكر ، سيكبرك و يعظمك و ينزهك في متنزهات دار الجلال ، كما أشير إليه في الرواية ، و إذا خالف قلبك و حقيقتك و عملك لسانك ، فيكون إظهارك بلسانك تكبيره خدعة فتستحق تكذيبه لك ، و طرده لك عن بابه ، فتخسر خساراً مبيناً .

و اذكر عند التهليل ما تلونا عليك في تفسيره عند ذكر أذكار العشر ، وهكذا عند التحميد ، و نزهه حق تنزيهه ، و من بعض تنزيهه - جل جلاله - أن تتصف بالاخلاص له في عبادتك ، [ومنه تحقيق] معاني التنزيه في التوحيد كما في مصباح الشريعة ، ومنه أن تنزهه عن الشريك في الإرادة كما هو المراد بتسبيح الركوع ومنه أن تنزهه عن الشريك في حقيقة الوجود ، كما هو المراد بتسبيح السجود ، و هو مقام الفناء و حقيقة التوحيد .

أقول : هذه المراتب مراتب أهل الكمال ولا يتأتى من أمثالنا أرباب الإهمال نواقص الأبواب و الأعمال ، فلا محالة [من أن] لا تغفل عند ذكر هذه الألفاظ عن قصد معانيها بقدر فهمنا ، و التحقق بما تيسر لنا من حالنا و مقامنا ، و لا نشغل عند ذكره تعالى عن ذكره بذكر غيره ، بل بذكر عدوه ، فنستحق بذلك الخذلان ، و فوت الاحسان .

و تفكر عند الصلوة على النبي و آله أن الله أوصل صلواته بصلواته ، و طاعته بطاعته و انظر لا يفوتك بركات معرفة حرمة فتحرم فوائد صلواته .

ثم اقرأ من الدعوات الماثورة ما يقتضيه نشاطك عن قلب حاضر ، وعن تدبر و تفهم لما تقول ، و لا تترك دعاء الحسين عليه السلام مع ما ألحق به العلامة ، و السيد قدس سرهما فهو و إن لم يكن من دعاء الحسين عليه السلام ، و لكن مضامينه عالية ، و أكثر الجدد في فهم معانيها فأنشأ مثار للفكر الفاخر ، و لا تترك دعاء الصحيفة السجادية .

وإن ضمنت إليهما دعاء الصادق عليه السلام ثم دعوت بانشاء نفسك في حوائجك ، و قدمت الدعاء على الإخوان المؤمنين لا سيما من علمك علوم الدين ، و الوالدين

والآباء والأمهات ، وسائر الأرحام ، وذوي الحقوق [فهو أحسن] و بالغ في حال الدعاء أن تكون هيئتك أجلب الهيئات لرحمة أرحم الراحمين ، من البكاء و الابتهاال و الضراعة ، و لبس المسوح ، و غل الأيدي ، و كلامك ألطف الكلمات في المبالغة في الاسترحام والاستعطاف .

وقد روي أن الله أوحى إلى الكليم ﷺ : كن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجللاً وعقراً وجهك في التراب واسجد لي بمكارم بدنك ، واقف بين يدي بالقيام ، وناجني حيث تما جيني بخشية من قلب وجل .

وإلى عيسى ﷺ : يا عيسى صب لي من عينك الدموع ، فاشع لي بقلبك ، يا عيسى استغث بي في حالات الشدة فأنني أغني المكروبين ، و أجيب المضطرين ، وأنا أرحم الراحمين .

و إذا وفقت لهذه الأحوال ، و أردت أن تدعو الله في حوائجك ، فان آثرت إخوان الصفا على نفسك ، و ذكرتهم بأسمائهم ، و دعوت إليه في حوائجهم ، و ذكرت ما تعرف من حوائجهم الخاصة حاجة حاجة ، ثم حوائجهم العامة ، فاعلم أنك لم تخسر ، بل و ربحت أرباح التجارات لأنك إن قدّمتهم على نفسك في الدعاء لله ، دعوت لنفسك بلسان لم يعص الله طرفة عين ، بلسان الملائكة المعصومين ، بل بلسان الله رب العالمين بل عوّضت من دعاء واحد بدعوات غير محصورة لما روي عن ابن أبي عمير عن زيد النرسي قال : كنت مع معاوية بن وهب في الموقف وهو يدعو فتفقدت دعاءه فما رأيته يدعو لنفسه بحرف ، و رأيته يدعو لرجل رجل من الآفاق ، و يسميهم و يسمي آباءهم حتّى أفاض الناس ، فقلت له يا عمّ لقد رأيت منك عجباً فقال : فما الذي أعجبك ممّ رأيت ؟ قلت إيثارك إخوانك على نفسك في هذا الموضع ، و تفقدك رجلاً رجلاً ، فقال لي : لا يكون تعجبك من هذا يا بن أخي فأنني سمعت مولاي و مولاك ، و مولى كل مؤمن و مؤمنة ، و كان والله سيّد من مضى ، و سيّد من بقي بعد آباءه ﷺ ، و إلا فصمت أذنًا معاوية و عميت عيناه ، و لآلته شفاعته محمد ﷺ

إن لم أكن ، سمعت منه ، يقول : من دعا لأخيه بظهر الغيب ، نادى ملك من السماء الدنيا : ولك يا عبدالله مائة ألف ضعف مما دعوت ، و ناداه ملك من السماء الثانية : يا عبدالله و لك مائتا ألف ضعف مما دعوت ، و ناداه ملك من السماء الثالثة : يا عبدالله و لك ثلاثمائة ألف ضعف مما دعوت و ناداه ملك من السماء الرابعة : يا عبدالله و لك أربعمائة ألف ضعف مما دعوت ، و ناداه ملك من السماء الخامسة : يا عبدالله و لك خمسمائة ألف ضعف مما دعوت ، و ناداه ملك من السماء السادسة : يا عبدالله و لك ستمائة ألف ضعف مما دعوت ، و ناداه ملك من السماء السابعة : يا عبدالله و لك سبعمائة ألف ضعف مما دعوت ، ثم ناداه الله عز وجل : أنا الغني الذي لا أفقر ، يا عبدالله و لك ألف ألف ضعف مما دعوت ، فأَيُّ الخطرين أعظم يا ابن أخي ؟ ما اخترته أنا لنفسي أو ما تأمرني به ؟ هذا .

و ههنا دقيقة وهي أن تكون مع دعائك لأخيك محباً له واقعاً ، و أديت له سائر الحقوق أيضاً ، ولكن إذا لم تكن محباً له ، و فعلت في الدعاء ذلك ، أخاف أن لا يؤثر هذا الدعاء الأثر المروي في هذه الرواية الجليلة .

ثم إن للداعي أن يتذكر ما في مصباح الشريعة من قول الصادق عليه السلام : « احفظ أدب الدعاء ، و انظر من تدعو ؟ كيف تدعو ؟ و لما ذا تدعو ؟ و حق عظمة الله و كبرياءه ، و عاين بقلبك علمه بما في ضميرك ، و اطلعه على سرّك ، و ما يكون فيه من الحق و الباطل ، و اعرف طريق نجاتك و هلاكك ، كيلا تدعو الله بشيء عسى أن يكون فيه هلاكك ، و أنت تظن أن فيه نجاتك ، قال الله تعالى : « و يدعو الانسان بالشرّ دعاءه بالخير وكان الانسان عجولاً » .

« و تفكر ما ذا تسأل ؟ و كم تسأل ؟ و لما ذا تسأل ؟ و الدعاء استجابة الكل منك للحق ، و تذويب المهجة في مشاهدة الرب ، و ترك الاختيار جميعاً ، و تسليم الأمور كلها ظاهراً و باطناً إلى الله تعالى ، فان لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة فانه يعلم السرّ و أخفى ، فلعلك تدعوه بشيء قد علم من سرّك خلاف ذلك » .

و الظاهر أن المراد بقوله : « استجابة الكل منك للحق » يعني تدعو الله جلّ جلاله إجابة لأمره ، حيث ندب عباده لدعائه في كتابه الكريم بقوله : « واسأل الله » و بقوله : « فليستجيبوا لي و ليؤمنوا بي » بشرائش وجوده .

وأما قوله : « في مشاهدته الرب » لعل وجهه أن الداعي لولم يعرف المدعو لا يتحقق دعاؤه و لعله لولم يعرفه دعا غيره ، و يتخيّل أنه دعا الله ، و هذا هو الأغلب في غير الكاملين من الداعين ، و معرفته أن يكون معرفة حقيقية حتّى يشاهده بروحه وقلبه ، كما في دعائه ﷺ : « اللهم نور ظاهرا بطاعتك ، و باطنا بمعرفتك ، و قلوبنا بمحبّتك ، و أرّاحنا بمشاهدتك » .

وأما قوله : « ترك الاختيار جميعاً » فالمراد منه أن يدعوه جلّ جلاله لمراده ولا يعيّن له طريقه و فردّه ، مثلاً إذا أراد المال لا يعيّن عليه أن يعطيه من يد فلان أو شراء شيء ، أو بيع شيء ، إلّا أن يكون هو أيضاً من أصل مراده ، أو يكون المراد أن الأصل في المرادات كلّها الخير و السعادة ، وأقصى كلّ خير و سعادة معرفة الله و قربه و جواره ، كما في قولهم : « يا غاية آمال العارفين » فليدع الداعي لكلّ مراداته ذلك ، ولا يختار السعادات المتفرّقة المتشعبة دونها ، فان كان ما يعنيه للسعادة والخير موصلاً إلى هذه الغاية يعلمه الله ، وإلّا فلا ثمرة في تعيينها بل قد يكون مضرّاً في الغاية القصوى من مراداته ، ولكن هذا مقام الكاملين من أهل المعرفة الذين أشير إليهم في حديث المعراج بقوله : « و أستغرق عقله بمعرفتي ، و أقوم له مقام عقله » فيأله من مقام ما أعلاه و علو ما أسناه .

ثمّ إذا قرأت الأدعية المأثورة ، فكن في قراءتك متفهّماً بما تقول ، متحققاً بحقائق ما تذكّره في دعائك ، وإياك وإيّاك أن تواجه ربّك بدعوى كاذبة ، وإظهار ما لست عليه من أحوال العبوديّة و مراسم التضرّع و الابتهاال و المسكنة .

مثلاً إذا قرأت في الدعاء : « ياربّاه لا غناء لي عن نفسي ولا أستطيع لها ضرراً

ولا نفعاً ، ولا رجاء لي ، ولا أجد أحداً أ صانعه ، تقطعت أسباب الخدائع عنّي واضمحلت
عنّي كلُّ باطل ، أفردني الدهر إليك ، فقمتم بهذا المقام إلهي بعلمك ، فكيف أنت
صانع بي ؟ ليت شعري ولا أشعر كيف تقول لدعائي ، أنقول نعم أو تقول لا ، فان
قلت لا فياويلتاه ياويلتاه ياويلتاه ، يا عولتاه يا عولتاه يا عولتاه ، يا شقوتاه يا شقوتاه
يا شقوتاه ، يا ذلّاه يا ذلّاه يا ذلّاه ، إلى من ؟ وعند من ؟ أو كيف ؟ أو بماذا ؟ أو إلى أيّ
شيء أرجو ؟ و من يعود عليّ إن رفضتني .

يا أخي تفكّر في هذه الألفاظ من إظهار الانقطاع عن الكلّ ، و اليأس عن
النّاس ، والقيام إلى الله بين الخوف و الرجاء ، و الوحشة عن الردّ والدعاء بالويل و
العويل و الذلّ ، فانّ صاحب هذا الحال مجاب عند الله ، و مرحوم لديه ، و مكرّم
عنده قطعاً ، بل مقربٌ محبوب ، و كيف بمن يقرأ هذه الألفاظ ولا يرى أثر الإجابة
ولا يزيد في دعائه إلاّ يأساً و بُعداً ، نعوذ بالله ، لا يكون ذلك إلاّ من جهة النفاق ،
و الكذب في الدعوى .

فمن كان رجأؤه إلى الفلوس أزيد من ربّ العالمين ، وإلى أبيه أو ابنه أكثر
من جبار السماوات والأرضين ، ومغروراً بماله ، ومطمئناً بتدبيره ، بل متمسكاً في
تدبيره إلى ما نهاه الله جلّ جلاله عنه من المحرّمات ، وأخبره عن عدم نجاح مقصوده
به ، وقلبه مشغول عن الله بها و قرأ هذا الدعاء لا سيّما إذا التفت حين القراءة ولم
ينجبل من فضاحة حاله ، ولم يتأثر من الكذب في مقالته ، فهو مستهين بعظيم جلاله جلّ
جلاله ، ومستحقّر لشديد سلطان الله ، وحقيق على الردّ و الطرد والابعاد ، بل الغضب
والمقت و العقاب ، ولا يكون ذلك إلاّ من جهة ضعف الإيمان ، و فقدان المعرفة ،
نعم لفساد القلب من جهة الاستهتار و الاستغراق بمحبة الدنيا وذكرها أيضاً مدخل
في ذلك .

و كيف كان فمن قام في مثل هذا المقام و أتى بهذه الأعمال ، و دعا ربّه بهذه
الأسنة ولم ينل بهيوبات نسيم الفضل والقبول ، وإنجاح المسؤول و المأمول ، ولم

يشعر بذلك بآثار تغيّر الحال ، أو أحوال ترد على البال ، فليبك على هلاك قلبه ، وضعف إيمانه فانه عبد سقيم ذميم .

وبالجملة يجب للمراقب أن لا ينسى في حوائجه طلب توفيق ربه في أعمال العيد لاسيما حضور صلاة العيد وقبولها ، وأن يراجع في أوّل اليوم و آخره إلى خفراء اليوم كما مضى تفصيله في أمثال الملقام .

و أمّا ليلة العيد روي عن الصادق عن آبائه عليهم السلام «أنّ عليّاً عليه الصلاة والسلام كان يعجبه أن يفرّغ نفسه أربع ليال في السنة وهي أوّل ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر ، و ليلة الأضحى » يمكن أن يكون المراد تفريغ النفس لعبادتها باحيائها بل هو الظاهر بقريضة أخواتها ، والمراد من الاحياء تفريغ النفس والقلب والجوارح لخدمة الله جلّ جلاله بأن يكون قلبه مشغولاً بذكر الله و بدنه وقفاً لطاعة الله و عبادته ، ولا يغفل في شيء من ليلته بغير الله ، حتّى بالمباحات إلاّ الله و بالله ، وهذا أوّل درجة المراقبة .

و يستحب فيها و في يومها زيادة الحسين عليه السلام لما روى عن الصادق عليه السلام : «أنّه من زار الحسين عليه السلام ليلة من ثلاث غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، قال الراوي : وأيّ الليالي فذكر ليالي الأضحى .

وليكن من دعائك توفيق الفوز بمراضي الله جلّ جلاله في موقف عيدك فانه من المواقف الخطيرة التي ينبغي أن يذكر طول السنة .

وأمّا يوم العيد كما اُشير إليه في عيد الفطر من مواسم نداء الله - جلّ سلطانه وعظمت آلاؤه - عبّيده وإمامه بالإذن العام ، والفيض الخاص ، مغفرة الذنوب ، وعلاج العيوب ، و إنجاح المسؤل ، و الفوز بالمأمول ، و إعطاء الخلع والجوائز ، و أمان الأخطار عند الهزاهز .

فاغنم يا مسكين إقبال ملك الملوك تعالى عليك بوجهه الكريم ، و ذكره لك قبل وجودك بجعل هذا العيد العظيم ، وتفكّر بما فعل بك من الكرم والاحسان ، و

العطف والحنان ، وذكرك بالعطاء والجود ، قبل أن تكون شيئاً مذكوراً فإنه خلق أسباب قوّتك وقدرتك ، قبل وجودك ووجود ضعفك ، وهيباً لك أصول نعمه قبل أن تكون قابلاً للنعيم ، وبعث لهدايتك من أوليائه وأعزّته قبل أن يوجد آباؤك وأمرهم أن يدبروا أمر هدايتك وتربيتك ، بسفك المهبج وخوض اللجج ، والقتال مع الكفّار ، وإبادة الفجّار ، حتّى يسلم عليك دينك ، وتتفرّغ لعبادة ربّك وتحصل معرفته ومولاه ، وتفوز بخدمة ربّ العباد ، إلى سلطنة يوم المآعاد والنعم الباقية أبداً الآباد .

فانظر كم من نبيّ كريم قد قتل في ترويج الدين ؟ وكم من وليّ لله ذبح في تشييد الاسلام المتين ؟ وكم من حريم قد هتكت ، وأموال قد نهبت ، وكريمات قد سبيت ؟ حتّى ظهر دين الله ، وعلت كلمة الله ، وأنت ولدت في زمان كفيت من هذه المجاهدات ، والمناقشات والمناقضات ، وأعلام الدين شاهرة ، ومبانيه ظاهرة ، وأركانه قائمة ، في هدنة وراحة ، وعزّة ونعمة ، ووفقت لاقتناء المعارف بأسباب قويّة كثيرة شائعة ، وهديت بأنوار ظاهرة باهرة ، وقد ألّف السلف كتباً في تفاصيل كيفية العلم والعمل ، وبلغك ذلك من دون أن تعمل فيه فكراً ، أو تقاسي جوعاً ، أو تكابد سهرأً أو ترى طعناً ، أو تسمع هجراً ، والسابقون الأوّلون قد ابتلوا من ذلك بأشدّها للنفس وأفجعها للقلب ،

وأنصف يا عاقل لو توانيت ، أنت بعد تهيدّو هذه الأسباب ، من غير مقاساة و تعب ، أو شدّة ونصب ، ماذا تستحقّ أن يفعل بك ، أو يقال لك ؟ وأيّ نعم فاخرة من نعم الله قد ضيّعتها ، وأيّ تجارات رابحة قد خسرتها ، واذكر يوماً يكشف لك عن حقائق هذه الأحوال الخاسرة ، والأعمال الكسرة الحاسرة ، ورأيت ما بدّلتها من النعمة والكرامة ، بالخزي والمهانة ، تقطّع قلبك بالحسرات ، ودعوت بالعويل والزفرات .

فارحم نفسك في وقت المهلة ، ولا تقوّت عليك الفرصة ، واستعدّ لعدوك في

أمسك ، وابتك على نفسك واستمسك ، بعروة هذا الموسم الجليل ، و المقام الجميل ، فانك مدعو لموائد ضيافة الله ، في محل كرامة الله ، مع القوم الأطهار ، و أولياء الملك الجبار ، وإن ساعدك التوفيق ، باتيان أدب هذا المجلس الشريف ، و المنزل اللطيف ؛ فزت بالكرامة العظمى والسعادة العليا ، والدرجة القصوى .

فراقب بدخول يوم العيد جميع ما يرضى به ربك ، ويعطف عليك مولاك ، وكن كعبد متملق لمالكه ، كيف يجد أن ينشأ خدمة لمولاه ، وهو مالكه في بعض وجوه الطاعة ، والله تعالى مالك وجودك ، ومالك دنياك وآخرتك ، و محياك و مماتك ، ولا يجوز الغفلة عن هذا الرب الودود ، و الملك العطوف ، والغافل في خطر المنع .
و استحي مع فقرك وغناه ، وذلك وعزته ، أن تكون معرضاً عنه حين إقباله عليك بوجهه الكريم ، وتكون في موائد ضيافته مع حضوره و إنعامه عليك مشغولاً عن ذكره بذكر عدوه ، ومشغولاً بحب من يبعدك عن محبته وجواره ، فيالله من هذا الخطب الجسيم ، والجهل العظيم ، والعقل السقيم ، وما يورثه من العذاب الأليم وقد بعث إلى دعوتك لهذه الضيافة سيد خلقه ، وأعز مخلوقه عليه .

وإن عقلت مكان هذا اللطف الجليل ، و التشریف والتجليل ، لفديت بروحك لمقدم هذا الداعي العظيم ، و الرسول الكريم ، الذي « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

و اعقل أنه تعالى قد خص بأنوار هذا العبد العزيز هذه الأمة من بين سائر الأمم ، و هل لهذا التخصيص حق واجب عند ذوي الألباب ، فاشكر بما يليق ، لاختصاص هذه النعمة ، وعطاء هذه الكرامة .

واغتسل في أول اليوم ، واقصد به تطهير قلبك عن الاشتغال بغير الله ، و كبره بحقيقة التكبير ، و استصغر بتكبيره ما بين العلى والثرى دون كبريائه ، و البس أنظف ثيابك ، واقصده التستر والتحلي بلباس التقوى ، والاخلاق الحسنة الجميلة و تقول عند ذلك : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى آخر الدعاء المروي في إقبال سيدنا قدس الله نفسه .

ثم تخرج إلى مصلاّك و تقول وأنت في الطريق : بسم الله وبالله الله أكبر إلى آخر ما روي في هذا الكتاب المستطاب ، وإذا وصلت إلى المصلّى ، وجلست في موضع صلاتك ، تقول : الله أكبر الله أكبر إلى آخر ما ذكر في ذلك الكتاب .

وتفهّم معاني ماتدعوه في هذا الدعاء فإنّ مواقعه صعبة عظيمة ، لاتنال بالهويّنا لأنّ فيها دعاوي حالات فاخرة ، وصفات حسنة داخرة ، من الهيبة والاستجارة ، و الحياء الشديد والاستغاثّة ، والفقر والاعتراف ، و الهرب إلى الله ، و الانقطاع إليه فكلّ واحد من هذه الصفات ملكة سنّية تستدعي حالاً يصدّقها ، وإلّا فأنت في خطر الكذب والنفاق ، العياذ بالله من هذا الشقاق .

فان صليت على التراب لعلّه يكون أنسب للخضوع بين يدي ربّ الأرباب . وأما كيفيّة الصلاة فمارواه المشايخ عن كتاب فضل الدعاء باثنتي عشرة تكبيرة : سبع تكبيرات في الأولى ، وخمس تكبيرات في الثانية . وذكر في وصفها ما يظهر منه أن لا تكبير فيها بعد رفع الرأس من الركوع والسجدة ، ويستحبّ أن يدعو بعدها بدعوات واردة ذكرها في الاقبال ، و منها دعاء الندبة ، و هو يهديك إلى ما يناسب هذه الأيام من ذكر إمامك ، وسلطان زمانك ، ومن هو أولى بك من نفسك ، ومن كلّ أحد ، وما يجب عليك من الوجد والحزن والبكاء بفقده .

ثم إن قدرت أن لا يشغلك مراسم العيد عن ذكر مولاك طول يومك فهنيئاً لك ، وإن لم تقدر على أن تجمع حضور الناس مع حضور قلبك لذكر الله جلّ جلاله فجدّ أن لا تغفل رأساً عن ذكره وحضوره في هذا الوقت السعيد ، و ليكن سرّاً لا محالة مشغولاً به ، و شغلك بغيره أيضاً باذنه ورضاه .

ومن المهمّات في هذا اليوم الأضحية وهي واجبة كما في الأخبار و إن كان المراد بوجوبه تأكيد استحبابه ، فليراع العبد فيه أدب العبوديّة ، وليعتبر فيه من عمل ابني آدم عليه السلام حيث «قرّباً قرباناً فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر» و ما روي من علّة ردّ قربان قابيل ، لأنّه عمد في قربانه برديّ متاعه ، وأعقبه ذلك مع

ردّ قربانه الهلاك الدائم ، والخزي الخالد ، وقبول قربان هابيل حيث إنّه عمد إلى أجود متاعه و أنفسها ، فتقبّل قربانه ، و أعقبه ذلك بالشهادة في سبيل الله ، و الفوز بالكرامة الخالدة حتّى ذكره [الله] بالثناء في كتابه الكريم ، فإنّ من لؤم النفس أن يزهد المرء في مثل هذا المقام ، عن فداء يسير من المال ، في خدمة مولاه ، و مالك دنياه و أخراه ، وقد وهبه وجوده ، و كلّ شيء يملكه من النعم التي لا تحصى ، وهو يحتاج إليه فيما يأتي في جميع حوائجه .

و يقول عند الذّبح ما روي من قول أمير المؤمنين عليه السلام : « بسم الله ، وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين ، اللهمّ منك ولك » ولا تغفل أن هذا القول قول من لا يرى في الوجود مؤثراً إلا الله ، وهو غائب عن نفسه ، باق برّبّه ، و إن لم يكن هو الذابح ، يضع يده على يد الذّابح عند الذّبح ، و يقرأ الدعاء و يسمّي هو أيضاً .

فليكن إفطاره بلحم الأضحية فليقسم لحمه ثلاثة فليتصدّق بثلثه على الجيران وثلثه على السوّال ، ويمسك ثلثه لأهل البيت . ويتصدّق بجلوده ويعطي أجرة الذابح من غير الأضحية .

و إذا كان آخر النهار فليلاحظ حالات يومه ، فلا محالة يجد نفسه مقصّراً في خدمة مولاه ، فليراجع خفيّره ومضيفه من المعصومين عليهم السلام ، ويستعلاج بالتوسّل بهم إلى الله ، و الاستشفاع منهم عنده ، بتبديل سيئاته بأضعافها من الحسنات ، فإنّه وليّ ذلك لمن يشفعون في حقّه ، و يرغبون إلى الله في قبوله و قبول أعماله .

وليبالغ في التضرّع إليهم بالاستعطاف و الاسترحام ، و ليقل فيما يناجيهم : « موالِيَّ إنّ ذنوبي قد أخلقت وجهي عند الله فبحقّ من عصمكم من ذلك وأكرمكم بخفاده عبیده وإمائہ ، اشفعوا لي بوجوهكم المشرقة عند ربّكم ، فإنّه لا يردّكم وقد قبلكم للشفاعة والخفارة ، فإنّه يحبّ الكرامة لعباده المخلصين ، ويحبّ منهم

الكرامة لمن دونهم من عباده المحتاجين » هذا .

وأما يوم الغدير وما أدراك ما يوم الغدير ؟ وقد أشرنا فيما أسلفناه في يوم مبعث النبي ﷺ أن هذا اليوم من جهة شرافة هذا المبعث الشريف أشرف الأيام والأوقات ، وأشرنا إلى ما يدل عليه من الأخبار ، ويوم الغدير من هذا اليوم بمنزلة الجزء الأخير من العلة التامة ، بل بمنزلة الباطن من الشيء الظاهر ، وبمنزلة الروح من الانسان ، لأن كل ما في هذا المبعث الشريف من الخير والفوز والسعادة مشروطة بولاية أمير المؤمنين والأئمة من ولده لما وردت في الأخبار الكثيرة العامة والخاصة أن أنوارهم كانت واحدة إلى أن افترقا في صلب عبدالله وأبي طالب ، وأن الله أوجب ولايتهم على جميع الخلق ، والغدير يوم ظهور هذه الولاية ، ولذا نزل فيه : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

وقد روى الصدوق في علل الشرائع عن مفضل بن عمر حديثاً مفصلاً فيه أن النبي ﷺ قد أرسل إلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام خليفته فيهم كلهم وأنه يجب طاعته عليهم كما يجب إطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله وأن حكمه جار على سدنة الجنان ، و خزنة النيران ، وأن الملائكة متعبدون بالاستغفار لشيئته كتعبدهم بالتوحيد والنبوة والولاية ، قال الله تعالى : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا » فعلم من ذلك أن جميع الهدايا والسعادات منسوبة إليهما وإلى خلفائهما ، ولذلك ورد من طريق العامة والخاصة عن رسول الله ﷺ قال : لو أن الرياض أقلام والبحر مداد والجن حُساب والانس كُتّاب ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام .

أقول : كونهما صلوات الله عليهما وكذا أوصياؤهما الأحد عشر عليهم السلام أصل كل خير ومنشأه مما قد وردت فيه أخبار قطعية ، و قد رويناه فيما مضى من أئمة العامة مثل أحمد بن حنبل في مسنده وأبي يعلى في كتابه الفردوس ، وعن كتاب منهج التحقيق عن ابن خالويه رواية فيه تصريح بأن شيعتهم تعلموا التسبيح والتقديس والتحميد و

التهليل والتوحيد منهم ، والملائكة تعلموا من شيعتهم .

كيف وزيارة الجامعة الكبيرة قد رواها الصدوق في الفقيه وقبلها جميع علماء الشيعة ، وعملوا بها ، وفيها مواضع تدل على أنهم أصل كل خير وسعادة ، وأن حساب الخلق وإياهم إليهم ، وأنه طأطأ كل شريف لشرفهم ، وأنهم معادن الرحمة ، وأن كل من وحّد الله جلّ جلاله قبل ذلك منهم ، ومن أراد الله بدأهم ، وأن الله فتح بهم وختم بهم ، وينزل الغيث بهم ، ويمسك السماء بهم ، وأن أجسادهم في الأجساد وأرواحهم في الأرواح ، وأنفسهم في النفوس ، وأن محلّهم ومنزلتهم من الله جلّ جلاله بحيث لا يلحقه لاحق ، ولا يطمع في إدراكه طامع .

أقول روى المخالف والمؤلف أنه : « قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام : لولا أن يقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمر على ملاء من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجلك وفضل طهورك ، يستشفوا به ، ولكن حسبك أن تكون منّي وأكون منك ، ترثني وأرثك » .

فانظر يا عاقل إن هذه الرواية ناصّة في أن النبي ﷺ إنما أخفى فضائله خوفاً من ارتداد الناس ، و مع ذلك ظهر منه ما ملأ الخافقين ، و ورد في الأخبار الكثيرة أنهم علل الایجاد ، وحديث لولاك معروف مشهور .

وبالجملة من عرف كيفية حكمة الله في خلق العالم قطع بأن من المخلوقين من هو أوّل خلق الله وأقربهم إليه وأنه واسطة الفيض الأقدس ، وأنه الاسم الأعظم والحجاب الأقرب ، والمثل الأعلى ، كما ثبت ذلك كلّهُ بالأخبار الكثيرة في نبيّنا وآله صلوات الله وسلامه عليهم ، و من حقّق ذلك لم يشك فيما ورد في حقهم ﷺ من الفضائل ، و صدّق عن حاق قلبه أن عقولنا لاتصل إلى كنه معرفتهم ولو صرفنا في ذلك أعمارنا ، لأنّه لو كان البحر [مداداً] لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي .

و أباح طر في نظرة أمّلتها ☆ فغدوت معروفاً و كنت منكراً

فدهشت بين جلاله و جماله ☆ و غدا لسان الحال عني مخبرا
 فأدر لحاظك في محاسن وجهه ☆ تلقى جميع الحسن فيه مصورا
 لو أن كل الحسن يكمل صورة ☆ فرآه كان مهلا و مكبرا
 فما في كلمات الله كلها من فضيلة إلا وهم أصلها ومنشأها ومنتهىها .
 وإذا عرفت هذا الأصل لا تشك في أن فضائل علي عليه السلام لا تعد ولا تحصى
 ولكن يعجبني أن أحكي لك ما أشر إليه فيما وجد بخط الإمام الحسن العسكري
 عليه السلام وصورته : قد سعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية ، ونورنا سبع طبقات
 أعلام الفتوى بالهداية ، فنحن ليوث الوغى ، وغيوث الندى ، و طعناء العدى ، فينا
 السيف والقلم في العاجل ، ولواء الحمد والعلم في الآجل وأساطنا حلفاء الدين (١) ، و
 خلفاء النبيين ، و مصاييح الأمم ، و مفاتيح الكرم ، فالكلیم لبس حلة الاصطفاء لما
 شاهدنا منه الوفاء ، و روح القدس في جنان الصاغورة ، ذاق من حدائق الباكورة
 وشيعتنا الفئة الناجية ، والفرقة الزكية ، صاروا لناردها وصونا ، وعلى الظلمة إلبا
 وعونا ، و ستفجر لهم ينابيع الحيوان بعدلظى النيران ، لتمام الم ، وطه ، والطواسين
 وهذا الكتاب ذرة من جبل الرحمة ، وقطرة من بحر الحكمة ، وكتب الحسن بن علي
 العسكري في سنة أربع وخمسين ومائتين .

أقول لأحجة أقوى بين المنتحلين بالاسلام من كتاب الله جل جلاله ، و فيه
 آيات بيّنات تدل على فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه مرسل على كافة الناس ، وأنه
 رحمة للعالمين ، وأنه دنا من ربه فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، دنوا و اقترابا
 من العلي الأعلى ، وأنه حبيب الله و خاتم النبيين ، و أنه أخذ ميثاق النبيين له
 وأنه أعطاه الكوثر والمقام المحمود ، وقد أمر الله فيه نبيه صلى الله عليه وآله أن يبين للناس أن
 عليا عليه السلام بمنزلة نفسه في آية المباهلة ، فتميّن من ذلك أن عليا عليه السلام أشرف
 الخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقد حكى ذلك عن الكتب السماوية أيضاً بشرح أبسط ، فعن الصحيفة التي

(١) حلفاء : جمع حليف وهو كل من لزم شيئا ولم يفارقه .

ورثها شيث من أبيه آدم أن آدم نظر إلى نور قد طلع ، ففسد الجو المنخرق فأخذ بالمطالع من المشارق ، ثم سرى كذلك حتى طبع المِغَارِب ، ثم سما حتى بلغ ملكوت السماء ، فنظر إليَّ فاذا هو نور محمد رسول الله ﷺ فاذا الأكناف به قد تضرعت طيباً ، وإذا أنوار أربعة قد اكتنفته عن يمينه وشماله ، ومن خلفه وإمامه ، أشبه شيء به أرجاء و نوراً - إلى أن قال - يا آدم هذا وهؤلاء وسيلتك ، و وسيلة من أسعدت من خلقي .

إلى أن قال - : هذا أحمد سيدهم ، و سيّد بريّتي ، اخترته بعلمي ، واشتقت اسمه من اسمي ، فأنا المحمود وهو محمد ، وهذا صنوه و وصيّيه أزرته به - إلى أن قال - : ثم أطلعت في قلوب المصطفين من رسلي فلم أجِد فيهم أطوع و لا أنصح لخلقي من محمد خيرتي وخالصتي ، واخترته على علم ، و رفعت ذكره إلى ذكري ، ثم وجدت قلوب خاصته التي من بعده على صبغة قلبه فألحقهم به ، و جعلتهم ورثة كتابي و وحيي و أو كار حكمتي ونوري ، وآليت بي أن لا أعذب بناري من لقيني معتمداً بتوحيدي و حبيل مودّتهم أبداً .

وعن صحيفة إدريس التي ورثها من شيث أنه اجتمع إلى إدريس قومه فخبّرهم - فيما اقتصّ عليهم- أن بني أبيكم آدم ﷺ و بني بنيه و ذريّتهم اختصموا فيما بينهم وقالوا: أيُّ الخلق عندكم أكرم على الله عزّ وجلّ ، و أرفع لديه مكاناً ، و أقرب منه منزلة ، فقال بعضهم : أبوكم آدم خلقه الله عزّ وجلّ بيده ، و أسجد له ملائكته ، و جعله الخليفة في أرضه ، و سخر له جميع خلقه ، وقال الآخرون : بل الملائكة الذين لم يعصوا الله عزّ وجلّ ، وقال بعضهم : لا بل رؤساء الملائكة الثلاثة جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل .

فانطلقوا إلى آدم ﷺ فذكروا الذي قالوا و اختلفوا فيه ، فقال يا بنيّ أنا أخبركم بأكرم الخلائق جميعاً على الله عزّ وجلّ ، والله لما أن نفخ في الروح حتى استويت جالساً فبرق لي العرش العظيم ، فنظرت فيه فاذا فيه لا إله إلا الله

محمد رسول الله فلان أمين الله فلان خيرة الله عز وجل ، فذكر عدة أسماء مقرون
بمحمد صلى الله عليه وآله .

وقال آدم عليه السلام : لم أر في السماء موضعاً أو قال صفيحاً منها إلا ومكتوب فيه
لا إله إلا الله ، و ما من موضع فيه مكتوب لا إله إلا الله إلا وفيه مكتوب خلقاً لا
خطأاً محمد رسول الله ، و ما من موضع فيه مكتوب فيه محمد رسول الله إلا ومكتوب فلان
خيرة الله ، فلان صفوة الله ، فلان أمين الله عز وجل ، فذكر عدة أسماء فنظم الحساب
المعدود ، قال آدم عليه السلام : فمحمد صلى الله عليه وآله يا بني ومن خط من تلك الأسماء معه أكرم
الخلائق على الله عز وجل جميعاً .

وعن صلوات إبراهيم الخليل أنه نظر إبراهيم في التابوت ، و نظر فاذا بيت
محمد صلى الله عليه وآله آخر الأنبياء عن يمينه علي بن أبي طالب أخذ بحجزته فاذا شكل عظيم
يتلألأ نوراً ، فيه : هذا وصيه وصنوه المؤيد بالنصر ، فقال إبراهيم : يا رب إلهي
وسيدي من هذا الخلق الشريف ؟ فأوحى الله عز وجل : هذا عبدي وصفوتي الفاتح
الخاتم ، وهذا وصيه الوارث .

قال : ربّي ما الفاتح الخاتم ؟ قال : هذا محمد خيرتي و بكر فطرتي و حجّتي
الكبرى في بريّتي نسبته وأحييته إذ كان آدم بين الطين والجسد ، ثم إنني باعته عند
انقطاع الزمان لتكملة ديني وخاتم به رسالاتي و نذري ، وهذا علي أخوه وصديقه
الأكبر ، آخيت بينهما واخترتهما ، وصليت فباركت عليهما ، وطهرتهما وأخلصتهما
و الأبرار منهما و ذريتهما قبل أن أخلق سمائي وأرضي و ما فيهما من خلقي ، و
ذلك لعلمي بهم و بقلوبهم إنني بعبادي خير عليم الخ .

وعن السفر الثاني من التوراة أنني باعته في الأميين من ولد إسماعيل رسولاً
أنزل عليه كتابي وأبعثه بالشرعة القيّمة على جميع خلقي ، أوتيه حكمتي وأؤيده
بملائكتي وجنودي ، يكون ذريته من ابنته مباركة باركتها - إلى أن قال - يكون
منهم اثنا عشر فيما أكمل بمحمد صلى الله عليه وآله وبما أرسله به من بلاغ وحكمة ديني ، و
أختم به أنبيائي ورسلتي .

وعن المفتاح الرابع من الوحي إلى المسيح عليه السلام يا عيسى يا بن الطاهرة البتول اسمع قلوبي وجد في أمري إنني خلقتك من غير فحل ، و جعلتك آية للعالمين وإياي فاعبد ، وعلي فتوكل ، وخذ الكتاب بقوة ثم فسر له لأهل سوريا ، وأخبرهم أنني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم الذي لا حول ولا أزل ، فآمنوا بي وبرسولي النبي الأمي الذي يكون في آخر الزمان ، نبي الرحمة والملمحة ، الأول الآخر قال : أول النبيين خلقاً وآخرهم مبعثاً ذلك العاقب الخائر .

أقول : هذا الذي روينه عن الكتب السماوية إنما رواه السيد في الاقبال بالأسانيد الصحيحة إلى أبي المفضل محمد بن عبدالمطلب الشيباني ومن أصل كتاب الحسن بن إسماعيل بن أشناس من كتاب عمل ذي الحجة عند ذكر مباهلة خاتم النبيين صلوات الله عليه وإنفاذه لرسله إلى نصارى نجران ، واختلافهم في بيعتهم في صفة النبي الموعود في الكتب السماوية ، واضطرارهم إلى مراجعة الجامعة ، فاستخرجوا هذه الألفاظ بعينها من الكتب المذكورة ، على ما وصفناها ، وفيها كفاية لمن عقل ، هذا .

و الذي فلق الحب والنوى إن فضائل علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام التي رواها المخالفون بل الناصبون أكثر من حد التواتر ، بل نفس حديث الغدير ، و نص النبي صلوات الله عليه له بالأولوية أيضاً أكثر من حد التواتر في رواياتهم ، فضلاً عن روايات الشيعة ، حتى أن ابن حجر العسقلاني مع نصبه حكم في حديث الغدير أنه رواه أكثر من ثلاثين صحابي بطرق صحاح وحسان ، وإن ذكر في جوابه - بعد حكم نفسه بصحة الرواية - أنه ضعفه فلان ، ولعمري إن هذا شيء عجاب .

وبالجملة روى السيد عن كتاب أبي سعيد مسعود بن ناصر السجستاني المخالف [لأهل البيت] نص النبي صلوات الله عليه لعلي عليه السلام بتلك المناقب عن مائة وعشرين نفساً من الصحابة ، و عن صاحب التاريخ محمد بن جرير الطبري عن كتاب الرد على الحر قوصية حديث الغدير و نص النبي صلوات الله عليه على علي عليه السلام بالولاية من خمس وسبعين طريقاً .

وعن ابن عقدة الحافظ نصّه عليه السلام على أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية من مائة وخمس طرق ، ومن أراد تفصيل ذلك كلّهُ و أزيد فليراجع إلى كتاب عبقات الأنوار تأليف سيّد العلماء الأعلام المير حامد حسين قدّس الله نفسه الزكيّة فإنّ هذا الكتاب لم يعمل مثله في الاسلام ولا في سائر الأديان في إثبات الوصاية .

وأما تفصيل يوم الغدير وقضيّة تخليف النبيّ عليه السلام فقد روي في ذلك مجملاً ومفصلاً مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ ولكنّ الجامع من الألفاظ المروية عن علماء العامّة ، المتفق على روايتها في المتواتر وفوقه أنّه عليه السلام بعد نزول آية : « النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمهاتهم و أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » قال الناس : يا رسول الله ما هذه الولاية التي أنتم بها أحقّ منّا بأنفسنا ؟ فقال : السمع والطاعة فيما أحببتهم وكرهتهم ، قال يوم الغدير : يا أيّها الناس ألسنّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، وهذا اللفظ المتفق على روايته من جماعة المخالفين نصّ في معنى الخلافة لاسيّما إذا لوحظ بقراءته القطعيّة الواضحة ، و ما روي مفصلاً ، فمن أرادها فليراجع إلى المفصّلات .

و من جملة ما روي من المخالفين في التفصيل ما روي عن كتاب الخالص عن أحمد بن محمد باسناده عن حذيفة بن اليمان قال : سألته عن إقامة النبيّ عليه السلام عليّاً عليه السلام يوم الغدير غدير خمّ كيف كان ؟ فقال : إنّ الله أنزل على نبيّه عليه السلام : « النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمهاتهم و أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين و المهاجرين » فقالوا : يا رسول الله ما هذه الولاية التي أنتم أحقّ بها منّا بأنفسنا ؟ فقال عليه السلام : السمع والطاعة فيما أحببتهم أو أكرهتهم ، فقلنا : سمعنا و أطعنا فأنزل الله : « و اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا و أطعنا » .

فخرجنا إلى مكّة مع النبيّ في حجّة الوداع ، و نزل جبرئيل فقال : يا محمد

إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُكِ السَّلَامَ ، و يقول : انصب علياً علماً للناس ، فبكى النبي ﷺ حتى اخضلت لحيته فقال : يا جبرئيل إن قومي حديثوا عهد بالجاهلية ضربتهم على الدين طوعاً و كرهاً حتى انقادوا لي فكيف إذا حملت على رقابهم غيري ؟ قال فصعد جبرئيل ﷺ .

ثم قال : [صاحب كتاب النشر والطب ، عن حذيفة] : و قد كان النبي ﷺ بعث علياً إلى اليمن فوافى مكة و نحن مع الرسول ﷺ ثم توجه علي يوماً نحو الكعبة يصلي فلما ركع أتاه سائل فتصدق عليه بحلقة خاتم فأنزل الله : « إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتُونَ الزكاة و هم راعون » فكبر رسول الله وقرأ علينا ثم قال : قوموا نطلب هذه الصفة التي وصف الله بها فلما دخل رسول الله المسجد استقبله سائل فقال : من أين جئت ؟ فقال : من عند هذا المصلي تصدق علي بهذه الحلقة وهورا كع ، فكبر رسول الله ﷺ ومضى نحو علي ﷺ فقال : يا علي ما أحدثت اليوم من خير ؟ فأخبره بما كان منه إلى السائل ، فكبر ثالثاً .

فنظر المنافقون بعضهم إلى بعض و قالوا : إن أفئدتنا لا تقوى على ذلك أبداً مع الطاعة له ، فنسأل رسول الله ﷺ أن يبدله لنا ، فأتوا رسول الله ﷺ فأخبروه بذلك فأنزل قرآناً و هو : « قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي » فقال جبرئيل : يا رسول الله أتمه فقال : حبيبي جبرئيل قد سمعت ما تأمروا به فانصرف [عن رسول الله الأمين جبرئيل .

ثم قال صاحب كتاب النشر والطب من غير حديث حذيفة : فكان من قول رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى : يا أيها الناس إنني قد تركت فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي و إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كاصبعي هاتين - وجمع بين سبأتيه - ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا ومن خالفهما فقد هلك ألاهل بلغت أيها الناس ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم أشهد .

ثم قال صاحب الكتاب : فلمّا كان آخريوم من أيّام التشريق أنزل الله عليه : « إذا جاء نصر الله » إلى آخرها فقال ﷺ : نعت إلى نفسي فجاء إلى مسجد الخيف فدخله فنادى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه و ذكر خطبته عليه السلام ثم قال فيها : أيّها الناس إنني تمارك فيكم الثقلين : الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل ، طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسّسكوا به ، و الثقل الأصغر عترتي أهل بيتي ، فأنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهم لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كاصبعي هاتين - وجمع بين سبّابتيه - ولأقول كهاتين - وجمع سبّابته و الوسطى - فتفضل هذه على هذه .

فاجتمع قوم وقالوا يريد محمد أن يجعل الامامة في أهل بيته ، فخرج منهم أربعة ودخلوا مكة ، ودخلوا الكعبة ، و كتبوا فيما بينهم : إن أمات الله محمداً أوقتل لانرد هذا الأمر في أهل بيته فأنزل الله تعالى : « أم أبرموا أمراً فأنّا مبرمون » أم يحسبون أنّا لانسمع سرهم و نجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون .

قال حذيفة : و أذن النبي ﷺ بالرحيل نحو المدينة ، فارتحلنا ثم قال صاحب كتاب النشر و الطي : فهبط جبرئيل فقال : اقرأ : « يا أيّها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » الآية وقد بلغنا غدير خم في وقت لو طرح اللحم فيه على الأرض لانشوى ، و انتهى إلينا رسول الله ﷺ فنادى : الصلاة جامعة ، ولقد كان أمر عليّ أعظم عند الله ممّا يقدر .

فدعا المقداد و سلمان و أبادر و عمّاراً فأمرهم أن يعمدوا إلى أصل شجرتين فيقيموا ماتحتها فكسحوه وأمرهم أن يضعوا الحجارة بعضها على بعض كقامة رسول الله ﷺ و أمر بثوب فطرح عليه ثم صعد النبي ﷺ المنبر ينظر يمنة و يسرة ، ينتظر اجتماع الناس إليه فلمّا اجتمعوا فقال :

الحمد لله الذي علاني توحّده ، ودنا في تفرّده - إلى أن قال - و أقر له على نفسي بالعبودية ، وأشهد له بالربوبية ، و أؤدي ما أوحى إليّ حذار إن لم أفعل

أن تحلُّ بي قارعة ، أوحى إليّ : «يا أيّها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك» الآية .
 معاشر النَّاس ما قصّرت في تبليغ ما أنزله الله تبارك وتعالى ، وأنا أُبين
 لكم سبب نزول الآية إنَّ جبرئيل هبط إليّ مراراً أمرني عن السلام أن أقول في
 المشهد ، وأعلم الأبيض والأسود ، أنَّ عليّ بن أبي طالب أخي وخليفتي والامام
 بعدي ، أيّها النَّاس علمي بالمنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم و
 يحسبونهم هيئناً وهو عند الله عظيم ، وكثرة أذاهم لي ، مرّة سمّوني أذنّاً لكثرة
 ملازمته إيّاي وإقباله عليّ ، حتّى أنزل الله : «ومنهم الذين يؤذون النبيّ و يقولون
 هو أذن قل أذن خير لكم» - [حيط] ولو شئت أن أسمّي القائلين بأسمائهم لسميتهم .
 واعلموا أنَّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً مفترضاً طاعته على المهاجرين و
 الأنصار ، وعلى التابعين ، وعلى البادي والحاضر ، وعلى العجميّ والعربيّ ،
 وعلى الحرّ والعبد ، وعلى الكبير والصغير ، وعلى الأبيض والأسود ، وعلى
 كلّ موحد ، فهو ماض حكمه ، جائز قوله ، نافذ أمره ، ملعون من خالفه ، مرحوم
 من صدّقه .

معاشر النَّاس تدبّروا القرآن ، وافهموا آياته ومحكماته ، ولا تتبّعوا
 متشابهاته ، فوالله لا يوضح تفسيره إلّا الذي أنا آخذ بيده ، ورافعها بيدي ، ومعلمكم
 أن من كنت مولاه فهو مولاه .

واعلموا معاشر النَّاس أنَّ عليّاً والطيبين من ولدي من صلبه ، هم الثقل
 الأصغر ، والقرآن الثقل الأكبر ، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، ولا تحلّ
 إمرة المؤمنين لأحد بعدي غيره .

ثمّ ضرب بيده إلى عضده فرفعه على درجة دون مقامه متيامناً عن وجه رسول-
 الله ، فرفعه بيده فقال : أيّها النَّاس من أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : الله ورسوله
 فقال : ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ،
 وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، إنّما أكمل الله لكم دينكم بولايته وإمامته ،

وما نزلت آية خاطب الله بها المؤمنين إلا بدأ به ، ولا شهد الله بالجنة في « هل أتى » إلا له ، ولا أنزله في غيره ، ذرية كل نبي من صلبه ، و ذريتي من صلب علي ، لا يبغض علياً إلا شقي ولا يوالي علياً إلا تقي وفي علي نزلت « والعصر » وتفسيرها و ربّ العصر : القيامة « إن الانسان لفي خسر » أعداء آل محمد « إلا الذين آمنوا » بولايتهم « وعملوا الصالحات » بمواساة إخوانهم « وتواصوا بالصبر » في غيبة غائبهم . معاشر الناس « آمنوا بالله و رسوله و النور الذي أنزل » أنزل الله النور في ثم في علي ثم التسلسل منه إلى المهدي الذي يأخذ بحق الله .

معاشر الناس إنني رسول الله قد خلت من قبلي الرسل ألا إن علياً الموصوف بالصبر و الشكر ثم من بعده من ولده من صلبه .

معاشر الناس قد ضلّ من قبلكم أكثر الأولين ، أنا صراط الله المستقيم ، الذي أمرتم أن تسلكوا الهدى إليه ثم علي من بعدي ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق إنني قد بينت لكم ، و فهمتكم ، هذا علي يفهمكم بعدي ، ألا و إنني بعد انقطاع خطبتي أدعوكم إلى مصافحتي على بيعته ، والاقار له ألا إنني بايعت الله وعلي بايع لي ، و أنا آخذكم بالبيعة له عن الله « فمن نكث فأنما ينكث على نفسه ، و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » .

معاشر الناس أنتم أكثر من أن تصافحون بكف واحدة ، قد أمرني الله أن آخذ من ألسنتكم الاقرار بما عقدتم الإمرة لعلي بن أبي طالب ، و من جاء بعده من الأئمة مني و منه ، على ما أعلمتكم أن ذريتي من صلبه ، فليبلغ الحاضر الغائب ، فقولوا : سامعين مطيعين راضين لما بلغت عن ربك ، نبايعك على ذلك بقلوبنا و ألسنتنا و أيدينا ، على ذلك نحيا ونموت ، و نبعث ، لانغيّر ولا نبذل ، ولا نشك ولا نرتاب ، أعطينا بذلك الله و إياك و علياً و الحسن و الحسين و الأئمة الذين ذكرت بكل عهد و ميثاق ، من قلوبنا و ألسنتنا ، لانبغي بذلك بدلاً ، ونحن نؤدّي ذلك إلى كل من رأينا .

فبادر الناس بنعم نعم سمعنا وأطعنا أمر الله وأمر رسول الله آمناً به بقلوبنا ،
وتدأوا على رسول الله و عليّ بأيديهم إلى أن صليت الظهر والعصر في وقت
واحد ، و باقي ذلك اليوم إلى أن صليت العشاءين في وقت واحد ، و رسول الله يقول
كلما أتى فوج الحمد لله الذي فضّلنا على العالمين ، هذا .

و روى أبو سعيد السمّان بإسناده أن إبليس أتى رسول الله ﷺ في صورة
شيخ حسن السمّت ، فقال : يا محمد ما أقلّ من يبائعك على ما تقول في ابن عمك عليّ
فأنزل الله : « ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين » فاجتمع
جماعة من المنافقين الذين نكثوا عهده فقالوا قد قال محمد بالأمس في مسجد الخيف
ما قال ، و قال هيهنا ما قال ، فان رجع إلى المدينة يأخذ البيعة له ، و الرأي أن
نقتل محمداً قبل أن يدخل المدينة .

فلما كان في تلك الليلة قعد له ﷺ أربعة عشر رجلاً في العقبة ليقتلوه وهي
عقبة بين الجحفة والأبواء ، فقعد سبعة عن يمين العقبة ، وسبعة عن يسارها ، لينفروا
ناقته فلما أمسى رسول الله ﷺ و صلى ، ارتحل و تقدّم أصحابه و كان ﷺ على
ناقته ناجية فلما صعد العقبة ناداه جبرئيل : يا محمد إن فلاناً وفلاناً و سمّاهم كلّهم
و ذكر صاحب الكتاب أسماء القوم المشار إليهم .

ثم قال : قال جبرئيل : يا محمد هؤلاء قد قعدوا لك في العقبة ليقتلوك ، فنظر
رسول الله إلى من خلفه فقال : من هذا خلفي فقال حذيفة بن اليمان : أنا حذيفة
يارسول الله ، قال : سمعت ما سمعناه قال : نعم قال : اكنتم ، ثم دنا منهم فناداهم بأسمائهم
و أسماء آبائهم ، فلما سمعوا نداء رسول الله فرّوا و دخلوا في غمار الناس وتركوا
رواحلهم ، و قد كانوا داخل العقبة ، ولحق الناس برسول الله ، وانتهى رسول
الله إلى رواحلهم فعرّفها .

فلما نزل قال : ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة إن أمات الله محمداً أو قتل لانرد
هذا الأمر إلى أهل بيته ؟ ثم همّوا بما همّوا به فجاءوا إلى رسول الله [يحلفون أنّهم
لم يهّموا بشيء من ذلك فأنزل الله تبارك و تعالى] : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد

قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمّوا بمالم ينالوا .
 أقول : روى قضية العقبة جماعة من المخالفين أيضاً في تفاسيرهم وغيرها .
 وأمّا فضيلة هذا اليوم والعمل فيه فقد روي في ليلته اثنتي عشر ركعة لا تسلم
 إلّا في آخرهنّ وتجلس بين كلّ ركعتين ، وتقرأ في كلّ ركعة الحمد وقل هو الله
 أحد عشر مرّات ، وآية الكرسيّ مرّة فاذا أتيت الثانية عشر فاقرا فيها الحمد
 سبع مرّات وقل هو الله أحد سبع مرّات ، واقت وقل : لا إله إلّا الله وحده لا شريك
 له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير
 وهو على كلّ شيء قدير عشر مرّات ، وتركع وتسجد وتقول في سجودك عشر
 مرّات : سبحان من أحصى كلّ شيء علمه ، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلّا له ، سبحان
 ذي المنّ والنعم ، سبحان ذي الفضل والطول ، سبحان ذي العزّ والكرم ، أسألك
 بمعاهد العزّ من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ، وبالاسم الأعظم ، وكلماتك
 التامة أن تصلّي على محمد رسولك وأهل بيته الطيّبين الطاهرين ، وأن تفعل بي - كذا
 وكذا - إنك سميع مجيب .

و روي أيضاً دعاء شريف مضمونه شاهد صدق على الصدق أوّله : اللهمّ إنك
 دعوتنا إلى سبيل طاعتك الخ .

و أمّا يومه فقد روى السيّد قدس سرّه فيه رواية جليّة باسناده إلى أبي
 الحسن الرضا صلوات الله عليه ، عن آبائه الطاهرين عن أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبة
 طويلة فاخرة في يوم الغدير قال في آخرها : «عودوا رحمكم الله بعد انقضاء مجمعكم
 بالتوسعة على عيالكم والبرّ باخوانكم ، والشكر لله عزّ وجلّ على ما منحكم ،
 واجمعوا يجمع الله شملكم ، وتبارّوا يقبل الله لفتكم ، وتهاوّنوا نعمة الله كما هنّاكم
 بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله وبعده ، إلّا في مثله » .

« والبرّ فيه يثمر المال ، ويزيد في العمر ، والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه
 وهبوا لآخوانكم وعيالكم عن فضله بالجهد من جودكم ، وبما تناله المقدرة من

استطاعتكم ، وأظهروا البشر فيما بينكم ، والسرور في ملاقاتكم ، والحمد لله على ما منحكم ، وعودوا بالمزيد على أهل التأميل لكم ، وساووا بكم ضعفاءكم من ملككم ومما تناله القدرة من استطاعتكم ، وعلى حسب إمكانكم فالدرهم فيه بمائتي ألف درهم والمزيد من الله عز وجل » .

« وصوم هذا اليوم ممّا ندب الله إليه وجعل الجزاء العظيم كفاة عنه ، حتى لو تعبّد له عبد من العبيد ، في التشبيه من ابتداء الدنيا إلى انقضائها صائماً نهارها قائماً ليلها ، إذا أخلص المخلص في صومه لقصرت أيام الدنيا عن كفاة ، ومن أسعف فيه أخاه مبتدئاً ، وبرّه راغباً ، فله كأجر من صام هذا اليوم و قام ليله ، ومن أفطر مؤمناً في ليلته ، فكأنما أفطر فئاماً وفئاماً - يعدّها بيده عشرة » .

« فنهض ناهضٌ فقال : يا أمير المؤمنين وما الفئام ؟ قال : مائة ألف نبيّ وصديق وشهيد - فكيف بمن يكفل عدداً من المؤمنين والمؤمنات ، فأنا ضمينه على الله تعالى الأمان من الكفر والفقر ، وإن مات في ليلته أو يومه أو بعده إلى مثله من غير ارتكاب كبيرة فأجره على الله ، ومن استدان لاخوانه وأعانهم فأنا الضامن على الله إن أبقاه قضاءه ، وإن قبضه حمل عنه ، وإذا تلاقيتم فتصافحوا بالتسليم ، وتهانؤا بالنعمة في هذا اليوم فليبلغ الحاضر الغائب والشاهد البائن وليعد الغني على الفقير ، والقوي على الضعيف ، أمرني رسول الله ﷺ بذلك » .

ثم أخذ صلوات الله عليه في خطبة الجمعة وجعل صلاته جمعة صلاة عيد ، وانصرف بولده وشيعته إلى منزل أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام بما أعدّ له من طعامه ، وانصرف غنيهم وفقيرهم برفده إلى عياله .

و روي أيضاً عن الرضا صلوات الله عليه قال : إذا كان يوم القيامة زفت أربعة أيام إلى الله كما تزف العروس إلى خدرها قيل : ماهذه الأيام ! قال : يوم الأضحى ويوم الفطر ، ويوم الجمعة ، ويوم الغدير ، وإن يوم الغدير بين الأضحى والفطر والجمعة كالقمر بين الكواكب ، وهو اليوم الذي نجا فيه إبراهيم الخليل عليه السلام

من النار ، فصامه شكرياً لله ، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين في إقامة النبي علياً أمير المؤمنين علماً ، وأبان فضيلته وصايته ، فصام ذلك .

وإنه يوم الكمال ، ويوم مرغمة الشيطان ، ويوم تقبل أعمال الشيعة ، ومحبي آل محمد ، وهو اليوم الذي يعمد الله فيه إلى ما عمله المخالفون ، فيجعله هباءً منثوراً ، وذلك قوله « فجعلناه هباءً منثوراً » وهو اليوم الذي يأمر جبرئيل أن ينصب كرسي كرامة الله بازاء البيت المعمور و يصعده جبرئيل ، ويجتمع إليه الملائكة من جميع السموات ، ويثنون على محمد عليه السلام ويستغفرون لشيعة أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام ، ومحبيهم من ولد آدم عليه السلام .

وهو اليوم الذي يأمر الله فيه الكرام الكاتبين أن يرفعوا عن محبي أهل البيت وشيعتهم ثلاثة أيام من يوم الغدير ، ولا يكتبون شيئاً من خطاياهم كرامة لمحمد وعلي والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين .

وهو اليوم الذي جعله الله لمحمد وآله وذوي رحمه ، وهو اليوم الذي يزيد الله في مال من عبد فيه ، ووسع على عياله ونفسه وإخوانه ، ويعتقه الله من النار - إلى أن قال - وهو يوم التبسّم في وجوه الناس من أهل الايمان ، فمن تبسّم في وجه أخيه يوم الغدير نظر الله إليه يوم القيامة بالرحمة ، وقضى له ألف حاجة ، وبنى له في الجنة قصرًا من درّ بيضاء ، ونضّر وجهه .

وهو يوم الزينة ، فمن تزيّن ليوم الغدير غفر الله له كلّ خطيئة عملها صغيرة أو كبيرة ، وبعث الله إليه ملائكة يكتبون له الحسنات ، ويرفعون له الدرجات ، إلى قابل مثل ذلك اليوم ، فان مات شهيداً ، وإن عاش عاش سعيداً ، ومن أطعم مؤمناً كان كمن أطعم جميع الأنبياء والصدّيقين ، ومن زار مؤمناً أدخل الله قبره سبعين نوراً ، ووسع في قبره ، ويزور قبره كلّ يوم سبعون ألف ملك يبشرونه بالجنة .

وفي يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السماوات السبع فسبق إليها أهل السماء السابعة ، فزيّنها بالعرش ، ثم سبق إليها أهل السماء الرابعة فزيّنها بالبيت

المعمور ، ثم سبق إليها أهل السماء الدنيا فزيّنوها بالكواكب .
ثم عرضها على الأرضين فسبقها مكة فزيّنها بالكعبة ، ثم سبقت إليها المدينة
فزيّنها بالمصطفى محمد ﷺ ثم سبقت إليها الكوفة فزيّنها بأمر المؤمنين عليّ عليه السلام .
وعرضها على الجبال فأول جبل أقرّ بذلك ثلاثة أجيال : العقيق ، و جبل
الفيروزج ، وجبل الياقوت ، فصارت هذه الجبال جبالهنّ وأفضل الجواهر ، ثم سبقت
إليها جبال آخر فصارت معادن الذهب والفضّة ، وما لم يقرّ بذلك ولم يقبل صارت
لاتنبت شيئاً .

وعرضت في ذلك اليوم على المياه فما قبل منها صار عذباً وما أنكر صار ملحاً
أجاجاً ، و عرضها في ذلك اليوم على النبات فما قبله صار حلواً طيباً وما لم يقرّ
صار مرّاً .

ثم عرضها في ذلك اليوم على الطير فما قبلها صار فصيحاً مصوّتاً وما أنكرها
صار أخرس مثل الألكن .

ومثل المؤمنين في قبولهم الايمان وولاء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في يوم الغدير كمثل
الملائكة في سجودهم لآدم ، و مثل من أبى ولاية أمير المؤمنين في يوم الغدير كمثل
إبليس ، وفي هذا اليوم أنزلت هذه الآية : « اليوم أكملت لكم دينكم » الآية و ما
بعث الله نبياً إلاّ وكان يوم بعثه مثل الغدير عنده وعرف حرمة إذر نصب لأئمته وصياً
وخليفة من بعده في ذلك اليوم .

و روي أنّ العمل فيه يعدل ثمانين شهراً و روي أنّه كفّارة ستين سنة .
ثم إنّ هذه الولاية التي عرضت لجميع أصناف المخلوقين من الجماد والنبات
والحيوان والانسان والملائكة إنّما هو ولاية الولي المطلق التي كانت في رسول الله
وأمر المؤمنين و خلفائهما الأحد عشر و هي كما قاله بعض المحقّقين باطن النبوة
المطلقة التي هي اطلاع النبي المخصوص بها على استعداد جميع الموجودات بحسب
ذواتها وماهيّاتها وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه الذي يطلبه بلسان استعداده من حيث

الأنباء الذاتيين والتعليم الحقيقيين الأزلين ، وصاحب هذا المقام هو الموصوم بالخليفة الأعظم ، وقطب الأقطاب ، والإنسان الكبير ، وآدم الحقيقي ، المعبر عنه بالقلم الأعلى والعقل الأول ، والروح الأعظم .

وإليه الإشارة بقوله ﷺ: أول ما خلق الله نوري ، وكنت نبياً وآدم بين الماء والطين ، وإليه استند كل العلوم والأعمال ، وإليه ينتهي جميع المراتب والمقامات نبياً كان أو ولياً ، رسولاً كان أو وصياً ، ومرجعه إلى فناء العبد في الحق و بقاءه به ، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: أنا وعلي من نور واحد ، وقوله: خلق الله روعي و روح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق الخلق بألفي عام ، وبعث علياً مع كل نبي سرا ومعني جهرأ ، وبقول أمير المؤمنين عليه السلام: كنت ولياً وآدم بين الماء والطين ، وقوله: أنا وجه الله ، وأنا جنب الله ، وأنا يد الله ، وأنا القلم الأعلى ، وأنا اللوح المحفوظ ، إلى آخر ما قاله في خطبة البيان وغيرها .

وهذا هو المراد بقول الصادق عليه السلام: الصورة الانسانية هي أكبر حجج الله على خلقه ، وهو الكتاب الذي كتبه بيده ، وهو مجمع صور العالمين ، وهو النسخة المختصرة من اللوح المحفوظ ، وهو الجسر الممدود بين الجنة والنار . وقد كان هذه الولاية في النبي والوصي وهما فاتحها وخاتمها فمن أجل عظمة هذا الأمر جعل هذه المشروبات العظيمة لتعظيم هذه الولاية .

روي عن الرضا عليه السلام أن يوم الغدير في السماء أشهر منه في الأرض ، إن الله عز وجل في الفردوس الأعلى قصرأ لبننة من ذهب و لبننة من فضة ، فيه مائة ألف قبة من ياقوت حمراء ، و مائة ألف خيمة من ياقوت أخضر ، ترابه المسك والعنبر فيه أربعة أنهار : نهر من خمر ، ونهر من ماء . ونهر من لبن ، ونهر من عسل ، حواليه أشجار جميع الفواكه ، عليه طيور أبدانها من لؤلؤ ، و أجنتها من ياقوت ، تصوت بألوان الأصوات .

فاذا كان يوم الغدير ورد إلى ذلك القصر أهل السماوات يسبحون الله و

يقدر سونه ويهللونه ، فتطير تلك الطيور ، فيقع في ذلك الماء وتمرغ على ذلك الممسك والعنبر ، فاذا اجتمعت الملائكة طارت تلك الطيور ، فيقع من ذلك وإنهم في ذلك اليوم ليتهادون نثار فاطمة صلوات الله عليها فاذا كان آخر اليوم نودوا : انصرفوا إلى مراتبكم فقد أمنتكم من الزلل والخطأ إلى قابل في مثل هذا اليوم مكرمة لمحمد وعلي عليه السلام اه .

ويستحب مؤكداً زيارة الأمير صلوات الله عليه وأن يصلي ركعتين أي وقت شاء وأفضله قرب الزوال وأن يسجد بعدهما شكراً لله ويقول: شكراً لله، مائة مرة ويدعوبدعاء مروي في الاقبال أو له: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، ويسجد بعد تمام الدعاء ويحمد الله مائة مرة ويشكره كذلك ، وهو ساجد فأنه من فعل ذلك كان كمن حضر ذلك اليوم و بايع رسول الله ﷺ على ذلك و كان درجته مع درجة الصادقين الذين صدقوا الله ورسوله في موالاة مولاهم ذلك اليوم ، وكان كمن استشهد مع رسول الله ﷺ و مع أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، و مع الحسن و الحسين صلوات الله عليهما ، و كمن يكون تحت راية القائم صلوات الله عليه وروحي فداه - في فسطاطه من النجباء والنقباء .

و روي أنه من قرأ في هاتين الركعتين الحمد مرة وقل هو الله أحد عشرًا و إنما أنزلناه عشرًا ، وآية الكرسي عشرًا وصلّاهما قبل أن تزول الشمس بنصف ساعة عدلت عند الله عز وجل مائة ألف حجة ، ومائة ألف عمرة ، وما سأل الله عز وجل حاجة من حوائج الدنيا والآخرة كائنة ما كانت إلا أتى الله عز وجل على قضائها في يسر و عافية ، و[من] دعا في دبر الركعتين بدعاء أو له : « ربنا إننا سمعنا . وسأل بعده حوائجه للآخرة والدنيا ، قال: فإنها والله والله والله مقضية .

ويستحب أيضاً مؤكداً أن يغتسل في أول اليوم ، ويلبس أنظف ثيابه ويتطيب ويقول عند مصافحة المؤمنين : الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام ، و ورد أيضاً صلاة بعد الدعاء مروية في الاقبال أو لها: اللهم صل على وليك وأخي نبيك هذا .

يا أخي إن كنت موقناً بما تلونا عليك في هذه الأخبار الكثيرة من فضل يوم الغدير ، وفضل العمل فيه فالبدار البدار ، فاشكر الله الذي فضّله، ومنح بهذا الفضل العظيم ، الذي يعسر الايمان به من عظمته، عليك بولاية إمامك ، وجدّ بغاية جهدك في معرفته ، فانه أصل كل خير ، لأنّ الانسان إذا عرف الفضل والخير يحبّه وإذا أحبّه سعى في تحصيله ، والمعرفة قبل الولاية .

و إذا تولّيته لا بدّ لك من السعي في موجبات الولاية ، و إذا أتيت بموجبات المحبّة والولاية ، اتّبعته في أفعاله وأخلاقه و هداه ، وسعيت في تحصيل رضاه ، فاذا أحبّك وقرّبك وأدناك و ارتقيت من العلى والفضل مرتقى عظيماً ، وجاورت بذلك سيّد الأَنْبياء ﷺ لا نَهْ وعدلياً ﷺ أَنْ شيعته على منابر من نور مبيضة وجوههم حوله في الجنّة ، وهم جيرانه ، لمثل هذا فليتنافس المتنافسون .

فانظر في سيرته: في كرمه و شجاعته ، و زهده و خشيته ، و رجائه و توكله ، و رضاه و تسليمه ، و معرفته و توحيده ، و تفكّر في علمه و عبادته ، و بكائه و تصلّبه في ذات الله و سخائه و إيثاره و تحمّله على مشاقّ الأعمال ، و صبره على النوائب و جمعه لمكارم الأخلاق ، و محامد الأوصاف التي يعسر اجتماع كمال بعضها مع البعض ، فانّ الرقّة يخالف في الأغلب مع جهاد الكفّار ، و قتل النفوس ، والقوّة تنافي مع كثرة الصوم و الجوع ، والتواضع لا يجتمع غالباً مع الهيبة والعظمة ، والطرف لا يناسب الحشمة ، وكان صلوات الله عليه جامعاً لها وحائزاً لكمالها .

روي عن (١)

وبالجملة ينبغي بل يجب في حكم العقل لكلّ مؤمن بهذا الأمر أن يعتمد في هذا اليوم لكلّ ما ورد فيه فضل من الخيرات ، و يأخذ منها حظاً كاملاً بحسب طمعه في فضل الله و كرم أوليائه ، وهي الغسل ، ولبس ثياب الزينة ، و التطيّب ، و زيارة

(١) بياض في اصل المصنف نحو أسطر و كانه أراد نقل ما ذكره ابن أبي الحديد في جمعه عليه السلام بين الاضداد من الصفات . فتدبر .

المؤمنين ، و التبسم في وجوههم ، و برّهم و صلتهم ، و إفطارهم في الليلة الآتية ، و التوسّع على النفس والعيال ، والتصدق والإطعام ، والصيام ، و إظهار السرور ، و الحمد لله ، و الشكر له ، لا سيّما عند مصافحة الاخوان ، لا سيّما بما ورد ، و تهنئة الاخوان ومصافحتهم ، وقضاء حوائجهم من غير سؤالهم ، وإعانتهم ، وزيارته صلوات الله عليه والصلاة والدعاء كما ذكرنا ، ويكثر اهتمامه في التصدّق و إطعام المؤمنين ، لا سيّما بإفطارهم ، ويزيد في تهجّد ليلته وقيامه على سائر الليالي .

و قد سمعت عن تاجر من أهل بلدتنا أنّه قام ليلة من أوّل الليل يناجي و يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام ويقول :

گر بشکافند سرا پای من ☆ جز تو نیابند در اعضاي من
قائماً على رجليه يردّ هذا الشعر حتّى سمع أذان الصبح كان شديد المحبّة
لأمر المؤمنين عليه السلام واتفق في سني مجاورتي لمشهده صلوات الله عليه لتحصيل العلوم
أنّه زار قبره الشريف و بقي أياماً وسأله صلوات الله عليه أن لا يخرجه من جواره
فاتّفق رجوعه و ودّعه عليه السلام و ركب المحمل مع سيّد من الخدّام وأخذوا في طريق
مسجد السهلة و حكى لي السيّد الخادم قال : و بينا نحن في وسط الطريق سمعته
يقول : أنزلوني من المحمل فأنزلوه فمات من ساعته فأرجعوه إلى المشهد الشريف
وغسلوه فيه و طافوا بجسده الشريف حول الضريح المقدّس ، ودفنوه في جوار أمير-
المؤمنين عليه السلام هنيئاً له و طوبى .

وبالجملة إذا كان آخر اليوم يختم يومه بمراجعة خفيه من المعصومين عليه السلام
بكلّ جهده في الابتهاال و التضرّع والاسترحام ، ويقسمه بحق هذه الولاية العظمى
أن يكملوا نواقص أعماله ويشفعوا إلى الله في قبولها و تربيتها ، و أن يجعل جزاءه
منها الزيادة في معرفة أمير المؤمنين عليه السلام ومحبّته ومتابعته وجواره ، وأن يلحقه بشيعته
المقرّبين ، وأوليائه السابقين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، أبد الآبدين
و دهر الداهرين ،

ومن عظام الأوقات و شرائف الأيام في هذا الشهر العظيم اليوم الرابع و العشرون لما وقع فيه من إقدام سيّد المرسلين لمباهلة النصارى وظهور تغيّر في العالم بحيث أذلّ رقابهم بقبول الصغار ، وإعطاء الجزية عن يدهم صاغرون .

وبالجملة أعزّ الله تعالى في هذا اليوم الاسلام بذلّة النصارى ، وأكرم الشيعة بتكريم أهل بيت نبيّه حيث أنزل آية المباهلة ، وأمر رسوله أن يباهل الكفار بعليّ أمير المؤمنين وفاطمة زوجته سيّدة نساء العالمين ، و ولديه الحسين سيّدي شباب أهل الجنّة أجمعين وعبر في هذه الآية الكريمة عن عليّ عليه السلام بنفس النبيّ وأذلّ بذلك رقاب المخالفين المنافقين .

وإجمال هذا التفصيل أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لما فتح مكّة ، وانقادت له العرب أرسل رسلاً و كتب كتباً إلى الأمم و دعاهم إلى الاسلام ومن جملة من أرسلهم إلى نصارى نجران ، أرسل إليهم عتبة بن غزوان ، وعبدالله بن أبي أميّة ، و الهدير بن عبدالله وصهيب بن سنان ، يدعوهم إلى الاسلام فان أجابوا فاخوان و إن أبوا و استكبروا فإلى الحطّة المخزية إلى أداء الجزية عن يد فان رغبوا عماد دعاهم إليه من أحد المنزلتين وعندوا ، فقد آذنتهم على سواء ، و كان في كتابته صلّى الله عليه وآله : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

فازدادوا لورود رسل نبيّ الله صلّى الله عليه وآله و كتابه هوراً و اقتراحاً ، ففرغوا إلى بيعتهم العظمى ، و اجتمعوا للمشورة ، و أسرعوا إليهم القبائل من مذبح ، وعك ، و حمير و أنمار و من دنا منهم نسباً و داراً من قبائل سبأ و كلهم قد ورم أنفسهم غضباً لقومهم .

و كان أسقفهم الأوّل رجلاً موحداً يؤمن بالمسيح و بالنبيّ صلّى الله عليه وآله و لكن يكتّم إيمانه ولما رأى ماذا كرتهم في المسير إلى يثرب لمشاجرتهم رسول الله ، وعظهم و نصحتهم و وصّاهم بالتأمل و التأنّي و اغتاز من وعظه كرزبن سبرة الحارثي و هو يومئذ زعيم بني الحارث بن كعب وفي بيت شرفهم والمعصب فيهم ، و أمير حروبهم

ورد على أبي حامد قوله ، وردّه السيّد والعاقب وهما من عظماء القوم وأجابه
أبو حامد .

فطال التشاجر بينهم حتّى آل الأمر في تعيين تطبيق أوصاف النبي ﷺ مع الذي أخبرت به الأنبياء إلى إحضار الجامعة ، فأحضروه ووجدوا ما ذكر أبو حامد من المطابقة صحيحاً وأنّه هو الذي أخبرت به الأنبياء في كتبهم ، فاضطرب حال السيّد والعاقب والتجئاً إلى المسير إلى المدينة لمشاهدة صفات النبي ﷺ والتطبيق بمن بشر به الأنبياء .

فلما تجهّزا للمسير إلى النبي ﷺ انتدب معهما أربعة عشر رجلاً من نصارى نجران من أكابرهم فضلاً وعلماً وسبعون رجلاً من أشرف بني الحارث ابن كعب وسادتهم ، فساروا ولما دنوا من المدينة أحبّ أن يباهيا المسلمين وأهل المدينة بأصحابهما ومن حفّ من بني الحارث معهما قالوا : لو كففتكم صدور ركابكم ، ومسستهم الأرض فألقيتم عنكم تفشكم وثياب سفركم ، وشننتم عليكم باقي مياهمكم كان ذلك أمثل .

فانحدر القوم عن الركاب فأماطوا من [أنفسهم] شعثهم وألقوا عنهم ثياب بذلتهم ولبسوا ثياب صونهم من الأنجميات والحريير والجبر ، وذرّوا المسك في لمهمهم ومفارقهم ثمّ ركبوا الخيل واعتزضوا بالرماح على مناسج خيلهم وأقبلوا يسيرون زروقاً واحداً وكانوا من أجمل العرب صوراً وأتمّهم أجساماً وخلقاً حتّى دخلوا على رسول الله ﷺ في مسجده وحانت صلاتهم فقاموا يصلّون إلى المشرق فأراد الناس أن ينهوهم عن ذلك فكفّهم رسول الله ﷺ عن ذلك .

ثمّ أمهلهم وأمهلوه ثلاثاً فلم يدعهم ولم يسألوه لينظروا إلى هداة ويعتبروا ما يشاهدون منه ممّا يجدون من صفته فلمّا كان بعد ثالثة دعاهم ﷺ إلى الاسلام فقالوا : يا أبا القاسم ما أخبرتنا كتب الله عزّ وجلّ بشيء من صفة النبي المبعوث من بعد الروح عيسى عليه السلام إلا وقد تعرّفناه فيك إلا خلة واحدة هي أعظم الخلال آية

و منزلة ، و أجالها أمانة ، قال : وما هي قالوا : إننا نجد في الانجيل من صفة النبي الغابر من بعد المسيح عليه السلام أنه يصدق به ويؤمن به و أنت تسبه و تكذب به ، و تزعم أنه عبد .

قال : فلم تكن خصومتهم إلا في المسيح فقال النبي عليه السلام : لابل اصدق به و اؤمن به ، و أشهد أنه النبي المرسل عن ربّه عزّ وجلّ ، و أنه عبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا قالوا : وهل يستطيع العبد أن يفعل ما كان يفعل ؟ وهل جاءت الأنبياء بما جاء به من القدرة القاهرة ؟ ألم يكن يحيي الموتى و يبرئ الأكمه و الأبرص ، و ينبئهم بما يكنون في صدورهم و يدخرون في بيوتهم ، فهل يستطيع هذا إلا الله عزّ وجلّ أو ابن الله ؟ قالوا في الغلو فيه و أكثروا تعالى الله عن ذلك .

فقال عليه السلام : قد كان عيسى أخي كما قلتم يحيي الموتى و يبرئ الأكمه و الأبرص و يخبر قومه بما في نفوسهم و بما يدخرون في بيوتهم و كل ذلك باذن الله عزّ وجلّ وهو الله عبد و ذلك عليه غير عار و هو منه غير مستنكف فقد كان لحما و دما و شعرا و عظما و عصباً و أمشاجاً يأكل الطعام و يظمأ و ينصب بأدبه ^(١) و ربّه الأحد الحق الذي ليس كمثله ، شيء و ليس له ندّ ، قالوا فأرنا مثله جاء من غير فحل ولا أب ، قال : هذا آدم أعجب منه خلقاً جاء من غير أب ولا أمّ ، و ليس شيء بأهون على الله عزّ وجلّ في قدرته من شيء و أصعب « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » و تلا عليهم : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

قالا فما نزداد منك في أمر صاحبنا إلا تبايناً ، و هذا الأمر الذي لانقره لك هلمّ فلنلا عنك أيّنا أولى بالحق فنجعل لعنة الله على الكاذبين فانها مثلة و آية معجزة فأنزل الله عزّ وجلّ آية المباهلة على رسول الله عليه السلام : « فمن حاجك فيه من بعد ما جئتكم من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نسائنا و نساءكم

وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين .

فتلا عليهم رسول الله ﷺ ما نزل عليه في ذلك من القرآن فقال : إن الله أمرني أن أصير إلى ملتسمكم و أمرني بمباهلتكم إن أقمتهم و أصررتهم على قولكم قالا : وذلك آية ما بيننا وبينك إذا كان غداً باهلتك ثم قاما و أصحابهما من النصارى معهما .

فلما أبعدوا وقد كانوا أنزلوا بالحرّة أقبل بعضهم على بعض فقال : قد جاءكم هذا بالفصل من أمركم و أمره فانظروا أولاً بمن يباهلكم ؟ أبكافّة أتباعه ؟ أم بأهل الكتابة من أصحابه ؟ أو بذوي التخشع و التمسكن و الصفوة ديناً و هم القليل منهم عدداً ؟ فان جاءكم بالكثرة و ذوي الشدة منهم فأنما جاءكم مباهياً كما يصنع الملوك فالفلج إذا لكم دونه ، و إن آتاكم بنقر قليل ذوي تخشع سجيّة الأنبياء و صفوتهم ، و موضع بهلتهم فايّاكم و الإقدام إذاً على مباهلتهم ، فهذه لكم أمانة وانظروا حينئذ ما تصنعون بينكم و بينه ؟ فقد أعذر من أنذر .

فأمر رسول الله ﷺ بشجرتين فقصدتا و كسح ما بينهما و أمهل حتّى إذا كان من الغد أمر بكساء أسود رقيق فنشر على الشجرتين فلما أبصر السيّد و العاقب ذلك خرجا بولديهما صبغة المحسن ، و عبد المنعم ، و سارة ، و مريم ، و خرج معهما نصارى نجران و ركب ، و فرسان بني الحارث في أحسن هيئة .

و أقبل الناس من أهل المدينة و المهاجرين و الأنصار و غيرهم من الناس في قبائلهم و شعارهم من راياتهم و ألويتهم و أحسن أثارتهم و هيئتهم لينظروا ما يكون من الأمر و لبث رسول الله ﷺ في حجرته حتّى ارتفع النهار ثم خرج و أخذ بيد عليّ و الحسن و الحسين أمامه و فاطمة ؓ خلفه فأقبل بهم حتّى أتى الشجرتين فوقف بينهما من تحت الكساء على مثل الهيئة التي خرج بها من حجرته فأرسل إليهما يدعوهما إلى مادعاه إليه من المباهلة .

فأقبلا فقالا : بمن تباهلنا يا أبا القاسم ؟ قال بخير أهل الأرض و أكرمهم على الله عزّ وجلّ ، بهؤلاء و أشار لهما إلى عليّ ؓ و فاطمة و الحسن و الحسين

صلوات الله عليهم ، قالا : فما نراك جئت لمباهلتنا بالكبير ولا من الكثير ، ولا أهل الشارة ممن نرى ممن آمن بك و اتبعك ، وما نرى ههنا معك إلا هذا الشاب و المرأة و الصبيين فبهؤلاء تباهلنا ؟ قال : نعم بهؤلاء أمرت - و الذي بعثني بالحق - أن أباهلكم ، فاصفارت حينئذ ألوانهما و كررا وعادا إلى أصحابهما .

فلما رأى أصحابهما ما بهما وما دخلهما قالوا : ما خطبكما فتماسكا وقالوا : ما كان ثم من خطب فنخبركم ، وأقبل عليهم شاب كان من خيارهم قد أوتي فيهم علماً فقال : و يحكم لاتفعلوا واذكروا ما عثرت عليه في الجامعة من صفته فوالله إنكم لتعلمون حق العلم أنه الصادق و إنما عهدكم باخوانكم حديث قد مسخوا قرده و خنازير ، فعلموا أنه نصح لهم فأمسكوا .

قال : و كان للمنذر بن علقمة أخي أسقفهم حظ من العلم فهم يعرفونه بذلك فلما رأى المنذر انتشار أمر القوم وترددهم في رأيهم أخذ بيد السيد والعاقب ، فقال : اخلوني و هذين فاعتزل بهما ثم أقبل عليهما فقال : إن الرائد لا يكذب أهله ، و أنا لكما جد شفيق ، فإن نظرتما لأنفسكما نجيتهما و إن تركتما ذلك هلكتما و أهلكتما قالا : أنت الناصح جيباً ، المأمون عيباً ، فهات .

قال : أتعلمان أنه ما باهل قوم قط نبياً إلا كان مهلكهم كلمح البصر ، وقد علمتما و كل ذي أرب من ورثة الكتب معكما أن محمداً أبا القاسم ﷺ هذا هو الذي بشرت به الأنبياء ، و أخرى أنذر كما بها فلا تعشوا عنها ، قالا : وما هي ؟ قال : انظرا إلى النجم قد استطلع على الأرض ، و إلى خشوع الشجر ، و تساقط الطير بازائكما لوجوههما قد نشرت على الأرض أجنتها ، وفات ما في حواصلها ، وما عليها لله عز وجل من تبعة ليس ذلك إلا لما قد أظلم من العذاب .

وانظرا إلى اقشعرار الجبال ، و إلى الدخان المنتشر ، و قزع السحاب هذا ، ونحن في حمارة القيظ وإبان الهجير ، وانظرا إلى محمد ﷺ رافعاً يده و الأربعة من أهله معه إنما ينتظر ماتجيبان به ثم أعلموا أنه إن نطق فوه بكلمة من بهله ، لم نتدارك هلاكاً ، ولم نرجع إلى أهل ولا مال ، فنظرا فأبصرا أمراً عظيماً فأيقنا أنه

الحق من الله عز وجل فتزلزلت أقدامهما وكادت أن تطيش عقولهما ، واستشعرا أن العذاب واقع بهما .

فلمّا رأى المنذر ما قد لقيا من الخيفة قال لهما: إنكما إن أسلمتما له سلمتما في عاجله وآجله ، وإن آثرتما دينكما وغضارة أيكتكما و شححتما بمنزلتكما من الشرف في قومكما فليست أحجر عليكم، الضنين بما نلتما من ذلك ولكنكما بدهتما محمداً ﷺ بتطلب المباهلة ، وجعلتماها حجراً وآية بينكما وبينه ، و شخصتما من نجران فأسرع محمد ﷺ إلى بغيتكما، والأنباء إذا أظهرت بأمر لم ترجع إلا بقضائه و فعله ، فان نكلتما عن ذلك و أذهلتكما مخافة ماترون فالحظ في النكول لكما فالوحي يا إخوتي الوحا ، صالحا محمداً ﷺ وارضياه ولا تترجيا ذلك فانكما وأنا معكما بمنزلة قوم يونس لما غشيهم العذاب .

قالا : كن أنت الذي تلقى محمداً ﷺ بكفالة ما يتغيه لدينا ، والتمس لنا ابن عمه إليه ليكون هو المبرم لأمر بيننا وبينه فإنه ذوا الوجه والزعيم عنده ، ولا تبطن لنطمئن به ما ترجع إلينا به .

وانطلق المنذر إلى النبي ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله الذي ابتعثك وأنتك وعيسى عبدان لله عز وجل مرسلان ، فأسلم وبلغه ما جاء له فأرسل رسول الله ﷺ علياً ﷺ لمصالحة القوم فقال علي ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله على ما أ صالحهم ؟ فقال له: رأيك رأيي فيما تبرم معهم .

فصار إليهم و صالحهم على ألف حلّة وألف دينار خرجاً في كل عام يؤديان شرطاً [من] ذلك في المحرم و شرطاً في رجب فسار علي ﷺ بهما إلى رسول الله ﷺ ذليلين صاغرين وأخبره بما صالحهما عليه وأقرّ له بالخرج و الصغار فقال رسول الله ﷺ قد قبلت ذلك منكم أما إنكم لو باهلتُموني تحت الكساء لأضرم الله عليكم الوادي ناراً تأجج ثمّ لساقتها^(١) إلى من ورائكم في أسرع من طرفة عين فحرقهم تأججاً . فلمّا رجع النبي ﷺ بأهله ، وصار إلى المسجد هبط إليه جبرئيل فقال :

يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام و يقول لك : إن عبيدي موسى باهل عدوه قارون بأخيه فحسف بقارون و أهله و ماله و من آزره من قومه ، و بعزتي و جلالتي أقسم يا أحمد لو باهلت بك و بمن تحت الكساء من أهلك لهلك أهل الأرض و الخلائق جميعاً ، و لتقطعت السماء كسفاً ، و الجبال زبراً ، فلم تستقر أبداً ، إلا إن شاء ذلك .

فسجد النبي صلى الله عليه وآله و وضع على الأرض وجهه ثم رفع يديه حتى تبيين للناس عفرة إبطيه فقال : شكر الله لمنعم ثلاثاً فسئل عن السجدة وعن تبشير السرور في وجهه فقال : شكر الله عز وجل لما أبلاني من الكرامة في أهل بيتي ثم حدثهم بما جاء به جبرئيل عليه السلام ، هذا .

ومن العجب أن جماعة من أعيان علماء المخالفين ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما جعل أهل المباهلة علياً و فاطمة و الحسن و الحسين عليهما و قد أنزل الله عليه : « تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نسائنا و نسائكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل » ولم يبق لعلي عليه السلام إلا مقام النفس بتصديق الله جل جلاله ، ومع ذلك يقدر مومنون عليه غيره ؟ هذا والله لظلم عظيم ، و حكم العقل السقيم .

ومن جملة من صرح بذلك مارواه مسلم في صحيحه أن الذين باهل بهم النبي صلى الله عليه وآله علي و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم أجمعين و روى ذلك الثعلبي ، و مقاتل و الكلبي ، و ابن مردويه ، و عبد الله بن عباس ، و الحسن البصري ، و الشعبي ، و السدي و الزمخشري و غيرهم .

و روى الزمخشري في ذيل هذه الرواية عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج و عليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً . ثم قال :

فان قلت : ما دعاه إلى المباهلة إلا لتبيين الكاذب منه و من خصمه و ذلك أمر

يختص به وبمن يكاذبه فما معنى الأبناء والنساء .

قلت : ذلك آكد في دلالته على ثقته بحاله ، واستيقانه بصدقه ، حيث استجراً على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك - إلى أن قال - : وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام ، وفيه برهان على صحة نبوة النبي صلوات الله عليه وآله ، هذا .

و للمراقب أن يعرف حرمة هذا اليوم ومحله للإسلام ومكانته للإيمان .
أقول : لهذا اليوم من الشرف وجهان كل منهما في الشرف نظير صاحبه ، الأول ثبوت النبوة ، والثاني ثبوت الولاية ، فبالأول بناء الإسلام وبالثاني مباني الإيمان وقد استبصر بهذه الآية الشريفة حكيم من حكماء الإسلام من أهل السنة واختار التشيع بالتأمل في آية المباهلة وتصديق الله جل جلاله لعلي عليه السلام مقام النفس والاتحاد مع نبيه صلى الله عليه وآلهما .

فللمنصف الحكيم أن يضع هذا اليوم موضع ثبوت الإسلام والإيمان من الشرف والكرامة ، ويفرض كأن هذه الكرامة بمنزلة كرامة الإيمان بالله ورسوله ، و بحججه وآياته ، و كتبه ورسوله كلها ، بل و يعتقد لهذا اليوم فضيلة جميع النعم الأخروية بل الدنيوية أيضاً ثم يتأمل في لطفه تعالى في تسبيب هذه الأسباب لهدايته وعزته في الدنيا بعزة الإسلام .

ولوا كفى في هدايته للإسلام ببعض الوجوه العقلية ، ولم يؤكده بهذه المواسم الجليلة ، الواضحة البينة ، أمكن أن يدخل عليه عدوه بعض الشكوك والشبه ويغره عن دين الإسلام ، ويغويه عن نور الإيمان ، ويوقعه في مهوى الكفر والعذاب الخالد الدائم .

ويتصور في نفسه أنه لو لم يكن هذه الآية المذلة لأعناق الكفار ، بقبول الجزية والصغار ، وكانوا على عزتهم وقوتهم لطمعوا في مناخلة المسلمين ، ومعارضة الإسلام ، فاحتيج في دفعهم إلى المقاتلة والخوض في أخطار الجهاد ، و انجر إلى

قتل النفوس وضياع الأموال ، وقلة نسل المسلمين ، وكل ذلك أسباب شوكة الكفر وضعف الاسلام ، والعقول قاضية بأن ضعف شوكة الدين مانع عن قبوله و التدين به على النفوس الضعيفة ، بل ربما يصير سبباً للخروج عن الدين ، واللحق بالكافرين بعد الاسلام ، ولا أقل من الوقوع في الاشكال و الصعوبة فبدلنا الله من ذلك هذه الأخطار الوخيمة بعزة قويمه ، ومن صعوبة المجاهدات الشديدة براحة عريضة طويلة باظهار شرف أوليائه ، وكرامة وجوه أحبائه ، فيالها نعمة لا يقدر قدرها القادرون ويعجز عن شكرها الشاكرون .

فادتمهد عندك هذه المقدمات ، يلزمك بحكم العقل الحاكم بالصواب وجوب شكر هذه النعمة بقدرها ، وإذا فرض العجز عن القيام بحققها فلا بد من الاتيان بالميسور ، بقدر المقدور .

وأيضاً يجب بحكم العقل أن يعرف موقع نعمة وجود هؤلاء السادة الكرام ويثني لهم و يصلي عليهم بكل ما يقدر عليه فانظر كيف يكون حالك إذا ابتليت ببلية فيها هلاكك و خلودك في العذاب الدائم ، أو ابتلاؤك بمناجزة الفرسان ، و مقاتلة الشجعان ، و ما يلزمها من قتل النفوس ، و ضياع الأعراض ، فعلم بليتك و ضعفك عن احتمال هذه الفوادم سلطان زمانك ، و أنجارك من هذه البلية بشفاعة بعض خدمه و عبيده ، وأعزك مكان الذل والهوان في سلطانه ، وأمكنك من الراحة في مملكته ، كيف يكون شكرك لهذا السلطان و لهذا الشفيع ؟ وكيف تراك رهيناً بمنة هذا السلطان و هذا الشفيع ، ويقبح عندك أن تعصيه ، وتطيع عدوه في محضه بعد هذه النعمة ، أليس المفروض : أنه خالقك و موجدك و ولي سائر نعمك التي لا تحصىها ؟ ، و هكذا هذا الشفيع ، لم يكن علّة وجودك و سائر نعمك ؟ فقس من ذلك قبح ما أنت فيه من مخالفة ربك و مالكك ، و خالق نفسك و عقلك و حياتك و جميع نعمك ، و علّة ذلك كله .

وبالجملة إذا حكم الانسان عقله في معاملاته ، فلا يرضى العقل على [مخالفة ربه] بعضوذة وإذا عزل العقل عن الحكم ، فله أن يحكم ما يشاء و يفعل ما يريد

وأنت يا أخي إذا تأملت في شأن هذا اليوم وشرفه من جهة نعمة المباهلة ، من جهة وضوح برهان النبوة ، وسطوع أنوار الولاية ، وتفكرت فيما أشرنا إليه من فروع هاتين النعمتين ، يعظم في نفسك موقع هذا اليوم ، واجتهدت في القيام بحقه واستقللت ما ورد فيه من العبادة ، وسمحت لا محالة بهذه الأعمال الخفيفة ، وأتيت بها عن شوق ولم تتناقل عن إتيانها ، وسعيت في إخلاصها بخالص قصد شكر المنعم تعالى جلّت آلاؤه ويكون عليك خجل المقصرين ، أو سمة القاصرين و بعدت لا محالة عن دالة المتعبدین وفزت بكرامة رب العالمين .

ومن جملة الأعمال الواردة في هذا اليوم مارواه سيّدنا قدّس الله نفسه الزكية في الاقبال باسناده إلى محمد بن علي بن أبي قرّة باسناده إلى محمد بن علي القميّ رفعه في خبر المباهلة قال : وأصحّ الروايات يوم أربعة وعشرين والزيارة فيه ، قال : « إذا أردت ذلك فابدأ بصوم ذلك اليوم شكراً لله تعالى ، واغتسل والبس أنظف ثيابك ، وتطيّب بما قدرت عليه ، وعليك بالسكينة والوقار ، والذي يعمله من يريد أن يمضي إلى مشهد وليّ من أولياء الله ، أو موضع خال ، أو جبل عال ، أو واحد حصر وعليه ألا يقيم في منزله ، ويخرج بعد أن يغتسل ويلبس أحسن ثيابه » .

« فإذا وصل إلى المقام الذي يريد فيه أداء الحقّ وطلب الحاجة والمسألة بهم صلى ساعة و يدخل بقراءة و تسبيح فإذا جلس في التشهد وسلّم ، استغفر الله تعالى سبعين مرّة ، ثمّ يقوم قائماً ويرفع يديه ، ويرمي طرفه نحو الهواء ، ويقول - وذكر الدعاء الذي مشتمل على حمد الله من جهة تعريف الولاية بآية المباهلة تعريفاً مفصلاً ثمّ قال - و تصلي عند كلّ دعاء ركعتين و تقيم إلى انتصاف النهار أو زوال الشمس وقد قيل إلى اصفرارها - ثمّ قال - :

« ومن الدعاء في يوم المباهلة دعاء رسول الله ﷺ رويناه باسنادنا إلى الشيخ محمد ابن أبي قرّة باسناده إلى سليمان الديلميّ إلى الحسين بن خالد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أبو جعفر عليه السلام : لو قلت إنّ في هذا الدعاء الاسم الأكبر لصدقت ، ولو علم الناس ما فيه من الاجابة لاضطربوا على تعلّمه بالأيدي ، وأنا لا قدّمه بين يدي

حوائجي فينجح ، وهو دعاء المباهلة من قول الله تعالى : « قل تعالوا ندع أبناءنا و
أبنائكم ونساءنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل » إلى آخر الآية ، وإن جبرئيل عليه السلام
نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بهذا الدعاء قال : أخرج أنت و وصيكَ وسبطاك و
ابنتك ، وباهل القوم وادعوا به قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا دعوتهم فاجتهدوا بالدعاء فإن
ما عند الله خير وأبقى من كنوز العلم ، فاشفعوا به واكتموه من غير أهل السفهاء و
المنافقين ، الدعاء : « اللهم إني أسألك من بهائك » اهـ .

أقول : « من » في قوله « من كنوز العلم » بيانية و هم عليه السلام معادن علم الله
كما صرح به في الزيارة الجامعة ، و هم أسماء الله الحسنى ، كما ورد في الروايات
فلا يبعد أن يكونوا هم المراد من أبهى بهاء الله وأجل جلال الله ، وأجمل جمال الله
إلى آخره ، و لنا في استقرار هذا المعنى براهين عقلية ، و دلالات نقلية ، ليس
هنا موضع ذكرها ، لاسيما بعد أمره عليه السلام بالكتمان .

ومن الدعاء في هذا اليوم دعاء جليل منسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومتن الدعاء
أمتن شاهد على صدق النسبة فإن فيه علوماً جمّة من الإشارة إلى معاني أسماء الله و
آثارها التي لا يعرفها غيرهم أو من تعلم من كلامهم .

ثم إن لهذا اليوم شرفاً آخر وكرامة أخرى من جهة صدقة صاحب الولاية
عليه السلام فيه بخاتمه على المسكين في حال الركوع و دلالة الله جل جلاله في كتابه له
بالولاية ، بذكر هذا العنوان و وصفه علياً عليه السلام بمحامد أوصاف جليلة بقوله : « يا
أيها الذين آمنوا من يردّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبّونه
أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكاة وهم راكعون » .

وقد روى المخالف قوله صلى الله عليه وآله لما انهزم المسلمون في خيبر : « لأعطين الراية
غدأ رجلاً يحب الله ورسوله ، و يحبه الله ورسوله كرّار غير فرّار لا يرجع حتّى
يفتح الله عليه » فأعطاها علياً عليه السلام وهكذا حديث الطائر وهو قوله صلى الله عليه وآله : « اللهم

اثنني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطائر» فكان مولانا عليّ سلام الله عليه هو المشهود له بهذه المحبة الباهرة .

أقول : هذه إشارات منّا إلى ما في آيات الكتاب ممّا نزلت في هذه الأيام بالتصريح لفضائل عليّ عليه السلام التي تعدّ من محكمات القرآن ويفهمه العامة ، وذكر المخالفون تصديقها في تفاسير هذه الآيات ، وأمّا ما في القرآن العزيز من الدلالات الخاصة على ذلك الذي يختصّ بفهمها الخواصّ فهو أضعاف ذلك ، و يقرب من ثلث القرآن ، فمن أراد أن يعرفها فعليه بروايات الخاصة الواردة عن أهل بيت الرسالة الذين هم شركاء القرآن ، و كتب فضلاء الشيعة ، ومن ذلك كتاب فضل بن شاذان عليه الرحمة والرضوان .

وأمّا ما يختم به هذا اليوم فعرف ممّا ذكر في أمثاله من الأيام و يزيد في هذا اليوم على التوسّل بخفراء القوم توسّلاً مخصوصاً لأصحاب المباهلة ، و يعترف لهم بكمال المنّة العظيمة ، و النعمة الفخيمة، ويشكر نعمة وجودهم وهدايتهم وبرّهم و إحسانهم وعظيم فضلهم ، ويناجيهم بلطف المقال والضراعة والابتهاال أن يتمّوا منّتهم و يكملوا نعمتهم بالشفاعة إلى الله جلّ جلاله في أن يجعل عاقبة أمره إلى قبوله و رضاه وقربه وجواره واللحوق بأوليائهم في زمرة شيعتهم المقرّبين وأحبّائهم السابقين صلوات الله عليهم أجمعين .

ويقول في جملة مناجاتهم : « موالي أنتم عرفتمونا أن من شواهد نعماء الكرام استتمام نعمائه ، ومن شواهد آلاء الجواد استكمال آلائه ، وأنتم خلفاء الله في خليقته ومظاهر كرمه ورحمته ، فيجب عليكم بحكم المظهرية أن تتمّوا علينا نعمكم ، و تكملوا آلاءكم ، و إن حكم علينا عدلكم بعدم الاستحقاق ، و قد عرفتمونا أيضاً الحجّة في ذلك بأنّ الكريم تعالى مبتدئ بالنعم قبل استحقاقها ، فمن مظهر هذا الاسم غيركم ، ونحن متى ما أتيناكم وافرين ، ولاحسانكم راجين ، ولفضلكم آمليين لاتحرمونا من فضلكم ، ولا تطردونا من بابكم ، ولا تؤيسونا من نائلكم ، و إن لم يصدّق أعمالنا وقلوبنا حقيقة أدب الوفود ، وآثار الرجاء ، وكنّا في صورة الوافرين

والراجين صورة مزورة غير مطابقة للمعنى .

«و قد حكي عن بعض كرام الدنيا أنه زور لهم رقاع بالعطايا فعلموا أنه مزور عليهم وأطلقوا مع ذلك مازوروا ولم يردوها وهؤلاء الكرام إنما أعطوا الكرامة بكم ، فكرمكم أصل و كرمهم من فروعه ، و لا يزيد الفرع على أصله فلا تردوها صورنا ، و أطلقوا علينا بحكم صورنا و لو كانت صوراً مزورة بكرمكم ، وإن لم تجدوا أعمالنا و أفعالنا مصدقة لدعوى حبكم ، و لم تروا فينا سجايا محبيكم فاسمحوا لنا بعداوة أعدائكم لنا ، فانهم طالما عادونا في سبيل ولايتكم ، و آذونا لأجل انتسابنا إليكم .»

«موالي يا سادتي ولو عرض عليّ الخبيث من هذه الخواطر أضعاف ما ذكرت لأجل أن يؤسني من فضلكم ، ويقطعني عن روح رجائكم ، فبحول الله وقوته أحتج عليه ، وبهدايتكم أردّه ، ولا أقطع عنكم رجائي لأنكم جنب الله و بابه ، و وجه الله الذي إليه يتوجه أولياؤه ، ولا أحذلي دونكم .»

«أنتم السبيل الأعظم ، والصراط الأقوم ، و شهداء دارالفناء ، وشفعاء دارالبقاء والرحمة الموصولة ، والشفاعة المقبولة ، من أتاكم فقد نجا ، و من لم يأتكم فقد هلك سعد والله من والاكم ، و هلك من عاداكم ، و فاز من تمسك بكم ، و آمن من لجأ إليكم ، و هدي من اعتصم بكم .»

«فعلى زعم الخبيث أنا أحبكم محبة أجد حلاوتها في قلبي ، و نورها في عقلي و روعي و نفسي ، و ولايتكم قد اختلطت بلحمي و عظمي و مخبي و شعري و بشري و عصبي و قصبتي و كل شيء مني ، و أقول :

گر بشکافند سرا پای من ✽ جز تو نیابند دراعضای من»

«و أرجو من الله أن يزيد حبكم في قلبي حتى يلحقني بكم ، و يجعلني من شيعتكم المقربين ، و أوليائكم السابقين ، في أعلا عليين ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .»

وبالجملة إذا عرف العبد مكانة ساداته من الله العلي العظيم ، ونعمة وجودهم

عليه ، ومقام لطفهم به ، فليقطع عند ذلك أن أعماله في هذا اليوم وفي كل يوم من بركات وجودهم ، وأنوار هدايتهم ، وآثار دعواتهم [مقبولة] وأن نقصها وضياعها من جهة نقصه وقصور نفسه عن تلقّي فيوضاتهم ، فليطو كل ما عمله في يومه وفيما قبله من العبادات ويسلمها إليهم ويتوجه إلى الله تعالى بهم في الاذن لهم بالشفاعة ، وإصلاح مفاسدها وتكميل نقصانها ، وتبديلها بالأعمال الحسنة المقبولة ، وعرضها على الله ، هذا .

و اليوم الخامس والعشرون أيضاً من هذا الشهر العظيم موسم جليل لموالي أئمة الدين لما قد أكرم الله فيه إياهم بسورة هل أتى ، وشكر صدقتهم ، وقبل هديتهم وأنزل في كتابه وصفهم ومدحهم والثناء عليهم .

و تفصيل ذلك ما روي في الأخبار المستفيضة بالأسناد المعتبرة أن الحسنين عليهما السلام مرضا وعادهما جدهما عليهما السلام وعامة العرب ، فقال عليهما السلام : يا أبا الحسن لو نذرت علي ولديك ، و كل نذر لا يكون له وفاء فليس بشيء فقال علي عليه السلام : إن برأ ولداي مما بهما صمت ثلاثة أيام شكراً لله عز وجل ، و قالت فاطمة سلام الله عليها و جاريتهن فضة مثل ذلك ، و ألبس الغلامان العافية و ليس عند آل محمد شيء قليل ولا كثير .

فانطلق علي عليه السلام إلى شمعون الخيبري فاقترض منه ثلاثة أصوع من شعير وفي بعض الروايات : فانطلق علي عليه السلام إلى جاره من اليهود يعالج الصوف يقال له شمعون ، فقال له : هل لك أن تعطيني جرّة من الصوف تغزلها فاطمة بنت محمد عليهما السلام بثلاثة أصوع من شعير ، فقال : نعم ، فأعطاه فجاء بالصوف و بالشعير إلى فاطمة سلام الله عليها فأخبرها فقبلت وأطاعت .

قالوا : فقامت فاطمة عليها السلام فطحنت واختبرت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرص وصلى علي عليه السلام مع النبي عليه السلام المغرب ، و أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد عليهما السلام مسكين من مساكين المسلمين ، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة ، فسمعه

علي عليه السلام فأمر بأعطائه فأعطوه فمكثوا يومهم و ليلتهم ، لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح .

فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمة عليها السلام إلى صاع فطحنته و اختبزته وصلى علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله و أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فأتاهم يتيم فوقف بالباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي عليه السلام فأمر بأعطائه فأعطوه ومكثوا يومين و ليلتين لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح .

فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة عليها السلام إلى الثالث فطحنته و اختبزته وصلى علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله و أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه ، فأتاهم أسير فوقف بالباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله تأسرونا ولا تطعمونا ؟ فسمعه علي عليه السلام فأمر بأعطائه فأعطوه الطعام ، و مكثوا ثلاثة أيام لبلياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح .

فلما كان اليوم الرابع ووفوا بنذرهم أخذ علي عليه السلام بيده اليمنى الحسن عليه السلام و بيده اليسرى الحسين عليه السلام و أقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يرتعشون كالفرار من شدة الجوع فلما بصر بهم النبي صلى الله عليه وآله قال : يا أبا الحسن ما أشد ما أراه بكم ؟ فانطلق بنا إلى منزل فاطمة فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها من شدة الجوع ، وغارت عيناها .

فلما رآها النبي صلى الله عليه وآله قال : و اغوثاه بالله يموت أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله جوعاً فهبط جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله و آله فقال : يا محمد خذما ههناك الله في أهل بيتك فقال : ما آخذ يا جبرئيل ؟ فأقرأه : « هل أتى على الانسان حين من الدهر - إلى قوله - لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً إلى آخر السورة ، وروى الثعلبي أنه أنزلت عليهم في هذا اليوم مائدة من السماء فأكلوا منها سبعة أيام .

أقول : روى نزول هل أتى في أمير المؤمنين وأهله عليهم السلام و نزول المائدة جماعة من أعيان المخالفين فيلزم الشيعة أن يشكروا الله تعالى بجهدهم في هذا اليوم لتكريمهم

عليهم السلام بهذه الآيات الجليلة ، والفضائل الجسيمة ، وتعريفهم لنا بذلك معرفة لا يبقى للارتياح فيه وجه ، وتكميله بمعرفتهم ديننا ، وإتمامه نعمه علينا ، فله الحمد وله الشكر كما يحب ربنا ويرضى .

ومن جملة وجوه الشكر في هذا اليوم و أمثاله الصوم وهكذا صلوات الشكر وسجدياته وغير ذلك من القربات ، والأهم في الشكر معرفة قدر النعمة حق معرفته وهو يستدعي فكراً وعلماً ، فإذا عرف المراقب النعمة ، لابد أن تورث هذه النعمة أن يعامل معها ما يقتضيه هذه المعرفة من تعظيمها و من جملة وجوه التعظيم العمل بالأركان .

و روي في اليوم السادس والعشرين أيضاً قتل عدو لأهل بيت النبوة .

وفي الثامن والعشرين وقع قتل عدو آخر وهكذا في التاسع والعشرين فمن كمل إيمانه بولاية من ولّاه الله عليه في الاسلام ، يكون سروره وشكره بهلاك أعدائهم بقدر محبتهم ﷺ في قلبه ، هذا .

و ليوم آخر ذي الحجة عمل مروى مهم عند أهل المراقبة وهو أن يصلي ركعتين بفاتحة الكتاب مرة ، والاخلاص عشر مرات ، وآية الكرسي عشر مرات ثم يدعو ويقول : « اللهم ما عملت في هذه السنة من عمل نهيتني عنه ولم ترضه ، و نسيته ولم تنسه ، ودعوتني إلى التوبة بعد اجترائي عليك ، اللهم فإني أستغفرك منه فاعف لي ، وما عملت من عمل يقر بني إليك فاقبله مني ، ولا تقطع رجائي منك يا كريم » و روي هذا الدعاء [أيضاً] باختلاف يسير .

أقول : هذا العمل نفسه في هذا اليوم شاهد صدق عند أهل المراقبة على صحة الرواية فلولم يرد فيه هذه الرواية الخاصة كفى في تعيين مضمون هذا الدعاء بل الصلاة في الأخبار الواردة لاستعلاج ما سبق في أواخر النهار من كل يوم و أواخر الشهور ، فأخر السنة بحكم الأبواب أحوج وأنسب للاستعلاج من غيرها ، فمن مناسبة العمل والدعاء تعرف أن هذا العمل إنما صدر من أئمة الدين ﷺ .

و روي : من صلى هذه الصلاة ، ودعا هذا الدعاء ، قال الشيطان : يا ويله

ما تعبت فيه هذه السنة هدمه أجمع بهذه الكلمات ، وشهدت له السنة الماضية بخير .
أقول : فاشكر أيّها المؤمن بالله وبدين الله ، لربّك ولأوليائه لهذه المعارف
شكراً لا تشكره لشيء من النعم الدنيويّة ، وتفكّر في أنّه لو ابتليت في سنتك بأمر
مهلكة موجبة لضياع مالك وسوء حالك ، ولأسرك ونهبك وقتلك ، فعلمك شفيق
عليك عملاً خفيفاً وكلمات معدودة إن عملت بها وقلت هذه الكلمات دفع عنك كل
ما أوردت على نفسك من البلايا ، وأحييت بها كلّ ما ضعيت من مالك وملكك
وصرت إلى روح وريحان ، وملك وسلطان ، وراحة دائمة باقية ، بل وعيش هنيئ
وحياة باقية ، كيف يكون موقع هذا العمل في نظرك ؟ وحلّ هذا الشفيق عندك ؟
هل تؤثر هذا العمل على الأكسير أم لا ؟ وهل يعظم عندك هذا الشفيق مثل من علمك
وأعطاك إكسيراً أم لا ؟ .

فقس يا عاقل في قسطاس عقلك ما علمك إمامك من يسير عمل ، وأرشدك إليه
من أثره ، فأيّ إكسير فيه ذلك الأثر ، وقصارى ما في الأكسير أن يكثر مالك ، ويدفع
به عنك ما يدفع بالأموال من الواردات ، فأين ما لا ينفع في دفعه مال ولا بنون من
الأمراض والعافات والعاهات .

فاحفظ واغتنم واشكر ربّك ونيّك وإمامك بما منّوا به عليك من الهداية
إلى طرق النجاة ، والوصول إلى أتمّ السعادات ، ورفيع الدرجات ، مقدار عظمة
منهم وعطائهم ، فإنّ كلّ عطاء يستدعي شكراً مناسباً لائقاً به ، ولكن هيهات
هيهات من يقدر شكر أصغر نعمه تعالى ، ولو أتى بشكر الثقلين ، فاذلاً لاتضنّ بما
تقدر عليه من الجهد والسعي ، وإن كان جدّك وسعيك أيضاً من نعمه عليك ، ولكن
على حياء من قصورك وتقصيرك ، هذا .

والذي أراه على أنفسنا من هوان هذه الألفاظ العظيمة ، والمواهب الجسيمة
عندنا - بعد فرض الايمان بأصلها - من أمور شتى عائقة عن هذه السعادات :
منها عدم الوثوق بجهاًت إخلاص العمل من الآفات فيصير سبباً لردّه .

و منها عدم الوثوق ببقائه سالماً إلى وقت ظهور الآثار من جهات ما يعرض على الأعمال من الآفات المتعقبة من العجب و الذكر و بعض المعاصي الموجهة لضياعها ، التي يستفاد من قوله تعالى : « وقدمنا إلى ما عملوا فجعلناه هباءً منثوراً » . و منها عدم الوثوق من معصية يقال لم تركبها : « افعل ما شئت لا أغفر لك [بعدها] أبداً » .

و منها وجود أبدال لهذه الأعمال من جنسها و غير جنسها ينفع نفعها و أزيد منها فلا يبقى عند العامل بها موقع غرّة لها من كثرتها ، سبحانه من صارت نعمه من كثرتها و عظمتها غير عزيزة على المنعم بها .

و منها عدم الوثوق من جهة احتمال سوء الخاتمة الموبقة للخيرات من أثر السابقيه في عالم الذرّ .

و كيف كان فلا محالة للعاقل بعد هذه الخطرات من احتمال هذه الخطرات ، فيكفي بحكم [العقل] أن يسعى كلّ سعيه في تحصيل هذا المحتمل لخطره ، فالعقلاء يعملون عند الآثار الخطيرة بالاحتمال ، ما لا يعملون عند المنافع اليسيرة بالقطع . ولذا تراهم يزهدون عن زهرة هذه الدنيا الحاضرة باحتمال نضرة عالم الآخرة النسيئة المحتملة ، و يؤثرون الآجل المحتمل على العاجل المقطوع وليس ذلك إلا من جهة أن متاع هذه [الدنيا] الدنيّة لا خطر له عندهم ، وهي أحقر في أعينهم ممّا يطاق و نه بأرجلهم ، و السعادات الآخروية لاسيّما ما يتعلّق منها بجهة القرب و اللقاء أنفس عندهم من جميع الأشياء الخطيرة ، عظم الخالق في أنفسهم و صغرها دونه ، و لولا الآجال التي كتب الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أبدانهم طرفة عين أبداً ، شوقاً إلى لقاء الله و الثواب ، رزقنا الله معرفتهم ، و وفقنا الله لاقتفاء آثارهم ، و التشبّه بهم بحقّ أوليائه الطاهرين .

﴿ خاتمة ﴾

هذه الأعمال والمراقبات التي أشير إليها إن أمكن العبد أن يؤديها ، ويراعي حقها ، و يخلصها من آفاتنا ، فطوبى له ثم طوبى له ، ولكنها مظنة الاشتباه حتى على الكاملين فعلى المراقب الحذر عن غرورها .

و إن لم يقدر على إتقانها أولم يقدر على رعايتها حق رعايتها فله حينئذ أو لا أن يستغفر ذنبه حيث إن ذنبه صار سبباً لسلب التوفيق ، وثانياً أن يستفهم خصوص الذنب الذي صار سبباً لهذا الخذلان ، فيمحوه بتوبة و استعلاج ، و يراقب اجتنابه عند كل عمل ، حتى يخلص من الخذلان فيما بعد أيضاً .

و يحزن لما فاتته و يتداركه بقضاء إن كان ممّا يقضى أو بعمل غير القضاء و يرى نفسه خاسراً لأن الفائت المتدارك بالبدل و إن كان متداركاً ببدله إلا أن المبدل أيضاً كان ممكناً مع المتدارك ففات ، فلا بد له إلا أن يؤثر الفوائت في قلبه حزناً و حسرتاً يحرق بها آثار الخذلان ، ويتدارك معها نور التوفيق ، بل قد يزيد نورهما على نور توفيق العمل ، فإنه تعالى كريم العفو ، قد يعفو عن التقصير بعفوه ، و يبذل له بالاجتهاد بكرمه ، و يزيد في البذل أضعاف مافات .

ثم إن هذا الذي ذكرنا أو لا إنما هو بحكم الفرض و أمّا حكم الواقع غالباً أودائماً [فهو] أن المجاهد لا يطمئن بأصابة الواقع في مجاهداته ، فله أن يبذل كل مقدوره في العمل بكمال جدّه حتى يعرف معرفة جزئية حقيقية ناشئة من العمل أن الاصابة لا يمكن إلا بعون الله وحوله وقوته لأن المخلص كما عن الصادق (عليه السلام) : بأذل روحه ، و ذائب مهجته ، في تقويم ما به العلم و العمل ، و العامل و المعمول بالعمل ، و هذا أمر صعب لا سبيل للعبد إلى البلوغ به إلا بتوفيق خاص من الله جلّ جلاله .

و إذ قد أتى العبد مجهوده ، و عرف عجزه عن نيل المراد فيضطر عند ذلك

للاستعانة بحقيقة قلبه ، ويحترف على باب كرم الله جلّ جلاله ، فيدرّكه عند ذلك نفحات رحمته الرحيمية ، لأنّه تعالى كريم يحبّ الكرامة لعباده المضطّرين المحترفين على بابه لطلب مرضاته ، فيقبله ويرضى عنه ، ويدخله في عباده المخلصين لأنّ الاخلاص معنى مفتاحه القبول ، وتوقيعه الرضا ، وقبل القبول والرضا لا يوجد الاخلاص .

فعلى العبد أن يكون تمام جدّه وغاية سعيه في معرفة آفات الأعمال ، حتّى يجتهد في تخليص عمله ببذل مجهوده ، حتّى يورثه ذلك معرفة العجز والاضطّار والتسليم إلى الله ، والطلب منه ، وإذا أتى بذلك ، و وكل أمره إليه فأنّه يكفيه في كلّ ما سلّم إليه ولا يضنّ ولا يبخل ، ولا يخون ولا يجفو .

ولكن الحذر الحذر أن يختدعه الخبيث فيوقعه في ترك المجاهدة ، ويسميه بمعرفة العجز والاضطّار والتسليم ، فيجمع له مع ترك المجاهدة دعوى هذه المقامات العالية بالكذب والفرية ، فيلزم للأمن من الاختداع والنجاة من الغرور أن يستكشف حقائق هذه الصفات ، ويختبر حاله بالعلوم الربّانية، والكواشف القطعية البرهانية .

ولا يمكنه استكشاف حقيقة معرفة العجز عن دعواها ، ومعناها عن صورتها إلّا بأن يضع نفسه في عمله موضع العاجز بالنسبة إلى جميع الأمور ، ولا يرى في الوجود قدرة إلّا الله فإذا تحقّق العبد بهذه المعرفة لا يرى في العالم ضارّاً ولا نافعاً إلّا الله ، فإذا لا يسعى ولا يتحرّك ولا يسكن إلّا من جهة أمر الله ، وبقوّة الله .

و من لوازم هذه الصفة أن لا يتملّق للسلطان ، ولا يخاف أحداً إلّا الله ، بل ولا يشكر أحداً ولا يذمّه بعتاء ومنع فيشكر الله عند عطائه ويذمّ نفسه بمنعه ، و إذا انضمّ إلى ذلك معرفة وجه الحاجة إلى نعمة الله ، وعدم الاستغناء من نعمه ، تحقّق الاضطرار ، وإذا انضمّ إلى ذلك معرفة عنايته وقدرته وجوده تحقّق أمر التسليم والتّوكل .

والأفمن يرى التأثير في الأسباب ويسعى لها بغير أمر الله ، بل في محل نهي الله ولا يطمئن بضمان الله في وعده بالرزق ، وإجابة الدعاء ، وكفاية المتوكلين ، ويخاف من الفقر عند البذل الواجب أو الحسن ، ويزم الناس بالمنع ويتملق للأغنياء والسلاطين ، ولا يجتنب في تحصيل رزقه وكسب معاشه عن الشبهات ، بل ويتكسب المحرمات ، ويسعى في طلب المال طلب الحريص ، ولا يجمل في الطلب كما ورد به الشرع ، كل ذلك يخالف هذه الصفات ، فيتبين عند العارف أن تسليمه^(١) عبارة عن عدم المبالاة بأمر المجاهدة ، وهو في دعواه كاذب ، ومستحق لخذلان آخر ، غير ترك أمر المجاهدة .

فعلم من ذلك كله أنه لابد للعاقل من بذل غاية الجهد لاسيما في الاخلاص آيساً من قدرته على ذلك ، ولكن رجاء بفضل الله وعنايته ، فعند ذلك يرحمه و يمن عليه بكرمه بالقبول والرضا والاخلاص ، وأما ترك المجاهدة فلا يجوز بحال سواء في ذلك حال التسليم وعدمه .

وبالجملة للصورة حكم في جميع العوالم والمعنى أيضاً حكم يختلفان لا يؤثر الصورة أثر حكم المعنى في شيء من العوالم ، وقد يكون للصورة المخالفة للمعنى حكم مضاف لحكم المعنى ، فيؤثر ضد أثر المعنى كما أن الشهادة للإسلام والتوحيد إذا خالف بما في القلب يؤثر أثر النفاق المضاد لحكم معنى الإسلام و حقيقته ، فيوجب الخلود في أسفل الدركات .

وهذا الحكم مطّرد في جميع الأمور الدينية والدينية فانك لا تقبل من أولادك وخدمك في طاعتهم لك وخدمتهم الصورة المحضة المخالفة لحقيقة الطاعة ، بل تعدّها استهزاءً و تجازيه جزاء المعصية ، مثلاً إذا أردت منه تعظيمك و قال بلسانه: أنت عظيم العظماء ، و رأيته يخالف بقلبه و عمله في هذا التعظيم فلا تقبل منه هذا القول للتعظيم ، بل تقول إنه أهانني و استهزأ بي ، وأيّ فرق في أمر الله تعالى لعباده بتكبيره في الصلاة مثلاً مع توقّعك من عبديك و خدمك تكبيرك وتعظيمك ، كيف لا تقبل منه للتكبير قوله: أنا أكبرك ، إذا خالف في ذلك قلبه وأعماله ، وحق على الله

تعالى أن [لا] يقبل منك لفظ التكبير ، المخالف لقلبك وعملك .

أما سمعت ما في مصباح الشريعة من قوله ﷺ : « إنَّ الله إذا اطَّلَعَ على قلب العبد إذا كَبَّرَ ورأى فيه عارضاً عن حقيقة تكبيره ، قال له : يا كاذب أتخدعني » وفي بعض الروايات ^(١) أنَّ العبد إذا كَبَّرَ في صلاته وأثنى على الله قال الله : اشهدوا ياملائكتي كيف رفع يده ونزَّهني وكَبَّرَني فأشهدكم أنِّي سأُكَبِّرُه وأنزَّهه في منزهات دار كرامتي .

فانظر يا أخي هذا المقام السنِّي الذي يبهر العقول ويزيد على المأمول للتكبير الواقعي ، كيف يتبدَّل حكمه بالطرد والعقاب ، على التكبير الصوري المخالف لحقيقة التكبير ، وإنَّما حكم الآثار بهذا الممَّنوال في غيره من الأذكار والأفعال ، فلا يقبل الصورة عن المعاني في شيء منها .

وفي الأخبار المستفيضة أنَّه : كان النبي ﷺ إذا ادَّعى عنده أحد الإيمان أو شيئاً من مقامات الدين ، يقول له : « ألا لكل شيء حقيقة فما حقيقة دعواك » أما يكفي في ذلك ما في كتاب الله تعالى حيث يقول : « وإذا جئتكم بالمنافقون قالوا نشهد إنَّك لرسول الله والله يعلم إنَّك لرسوله والله يشهد إنَّ المنافقين لكاذبون » .

وبالجملة فعلى العبد أن يجعل همَّه وجده كله في تصحيح العمل وإخلاصه عن الآفات ، وعن شوائب الهوى ، فلو قدر أن يقول : لا إله إلا الله مرة بقلبه وعمله بل وروحه وسرِّه وجميع جوارحه ، فهو أنفع من أن يأتي تمام عمره بقيام الليالي و صيام الأيام مع دوام الذكر من دون إخلاص .

وإن شئت تصديق ذلك فانظر إلى عمل إبليس فأنه عبد الله مع الملائكة آلاف سنين لم ينفعه ولم يمنعه عن العذاب واللعن وإلى آدم ﷺ حيث إنَّ كلمات منه في التوبة صارت سبباً لقبول توبته ، ومقام الاجتباء ، وفي الأخبار أنَّ للمرائي في القيامة أربعة أسماء : يا كاذب ، يا فاجر ، يا غادر ، يا مرائي ، هذا .

ومن أهمَّ ما يترتَّب على المجاهدة في إخلاص العمل عن الآفات التواضع

(١) الرواية نقلت بالمعنى لا باللفظ ، منه عفى عنه .

القلبي الحاصل من معرفة ضياع أعماله ، فإنه يورث في القلب ذلة باطنية بحيث يتنفر عن عمله وعن نفسه ، ويكون زارياً لنفسه غير مدلّ بعبادته ، وغير معجب بها فكُلَّمَا سعى أن يأتي بعمل صحيح و لم يقدر عرف عجزه ، و يضطرُّ إلى الاحتراف بأبواب الفضل والكرم والجود ، ويرى نفسه وهواه أعدى عدوه فيزري نفسه .

وهذه الذلة الباطنة ، وإزراء النفس ينفعه أكثر من عبادة سبعين سنة كماروي أنَّ عابداً عبد الله سبعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله ، فطلب إلى الله حاجة فلم يقض له فأقبل لوماً على نفسه وقال : من قبلك أوتيت ، لو كان عندك خير قضيت حاجتك . فأنزل الله إليه ملكاً فقال : يا بن آدم ساعتك التي أزريت فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت .

نعم هو عند المنكسرة قلوبهم كما ورد في الأخبار ، ولعمري إنَّ العمدية في ضياع أمر الآخرة والأديان ، وصحة أمر الدنيا واستقامة أمر الهوى ، إنَّما هو من هذا الباب لما نراه بالوجدان أنَّ الغالب على أهل الدين في أمور الآخرة من عباداتهم وأعمالهم ، بل وإيمانهم وأخلاقهم الاكتفاء بالصورة ، والغالب على أهل الدنيا عدم الاكتفاء بهابل يدققون في تكميل المعنى .

مثلاً أهل الأديان يكتفون غالباً في صلاتهم بأقامة الصورة ، ويسعون في تكميل الصورة ولا يبالون بفقدان المعنى والروح ، فإنَّ للصلاة صورةً وروحاً في كل جزء من أجزائها وشرائطها ، من طهارتها وتكبيرها إلى تسليمها وتعقيها ، من أفعالها وأذكارها وهيئاتها ، ترى المصلين يتعلَّمون الصورة حتَّى أنَّهم يجتهدون في تصحيح أمر تقليدهم وتعلُّم صورة الصلاة و يحتاطون في ذلك و يناقشون في علم المقلِّدين و ورعهم ، ويدققون في تصحيح الرسائل و يناقشون في عباراتها ، و يبالغون في تطهير الماء و تطهير الأعضاء ، و يجتهدون في إيصال الماء على أعضاء الوضوء ، بما لم يأت به الشرع بل نهى عنه صريحاً وهكذا في تطهير المكان واللباس و في أداء الحروف عن المخارج في القراءة والأذكار بحيث يفسدون القراءة والذكر من كثرة المبالغة وأما تطهير الجوارح من المعاصي والقلب عن الأخلاق الرذيلة و عن النفاق و عن محبة

الدنيا وعن الشغل بغير الله فكأنه غير مأمور به .

وهكذا يسامحون في إتيان حقائق الأفعال والأذكار حتى ترى الفحول من أهل العلم لم يتعلم المراد من بعض أفعال الصلاة مع أنه مذكور في الأخبار مثل رفع اليد بالتكبير ونفس القيام وهكذا الركوع والسجود ومدّ العنق في الركوع ورفع الرأس من السجود والتشهد والسلام ، وقد ورد في أخبار آل محمد عليهم السلام لكل منها معنى وحقيقة إن لم تأت [بها] بقصد ذلك المعنى منه فكأنك لم تأت بها .

وهكذا التكبير والقراءة والتسبيح والتحميد والشهادة بالتوحيد وبالرسالة والسلام لكل منها حقائق إن لم يتحقق المتكلم بها بهذه الحقائق لا يصدق عليه أنه مكبر ومسبح وحامد وقارىء، وهكذا ، فمن أراد تحقيق ما ذكرنا فليراجع لما شرحناه في كتاب أسرار الصلاة في حقائق هذه المذكورات ، وما ورد فيها من الروايات .

وأما أهل الدنيا في أمورهم الدنيوية ، فلا يقنعون بالصورة بل يجدون في إتيان الحقائق فما رأيت أحداً من الناس أن يكتفي من الحلول بصورتها ونقشها أو قراءة لفظها بل إذا نقص أحد أجزاءها عن حد الكمال ينقون الاسم ، ويقولون: هذا ليس بحلوا ، وهكذا في غيرها من الأشياء والأمور .

مثلاً إذا تواضع الولد لوالده في أغلب حالاته واقعاً ، وأتى في بعضها الآخر بالصورة الخالية عن المعنى ، وعرف ذلك الوالد ، يقول : إنه لم يتواضع لي واستهن بي وإذا أمر البناء أن يبني له عمارة وسوى هذا البناء العمارة من بابها إلى محرابها كما أمره ولكن لم يتخذ لما بنى أساساً وعرف صاحب العمارة أنها تخرب بعد أشهر لا يعطيه الأجرة ويقول له : إنك لم تبني ما أمرتك به ، فلا تستحق أجرة ، بل يطلب منه قيمة الجص وغيره .

وبالجملة ما رأيت أحداً يقنع في أمور دنياه بالصورة ، ولكن أغلب الناس إن لم يكن كلهم لا يأتون في أغلب الأمور الأخروية إلا بالصورة ، ومع ذلك يتوقعون من الصورة أثر الروح فلا يجدون .

ومن جملة هذه الأمور قرباتنا حتى هذا الكتاب الذي صرفت في كتابته عمراً فان صورته كاملة في حدّها و لكن من أين يغني الصورة من المعنى ، فان معنى كتابة أمثال هذه الكتب وروحها هو أن يكون قصد الكاتب القربة ، و تحصيل مرضات الله جلّ جلاله ، و يكتب أموراً و علوماً ربّانية ينتفع منها الناظر فيها و يعمل بها .

فاذا كان قصد الكاتب إثبات علوم نافعة للمسلمين لا يكتب إلّا ما هو أنفع ولا يبالي لما يقال ، ولا يهمّ بتحسين العبارة ، ولا يعتني بظاهر الفضيلة ، بل لا يهمّ بحسن النظم والترتيب ، بل يكون اهتمامه في إثبات مطالب نافعة مؤثّرة في القلوب مرضية للخالق .

وبالجملة ابتلينا في أمر الدين وما يتعلّق بالآخرة بالتهوين واكتفينا بالصورة الخالية من الحقائق ، وسامحنا في تحصيل المعاني ، هذا .

ولا يذهب عليك أن مقصودنا من الاهتمام بالحقائق والمعاني والزجر عن الاكتفاء بالصور . ليس نقي الاهتمام بالصور فان الصور أيضاً مطلوبة جداً ولكن المقصود الترغيب في الجمع بين الاهتمام بالصور والمعاني كلّ بحسبه على ما يقتضيه حكم الله واهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وأما رفض الصور كليّة كما قد يتراءى من بعض الصوفيّة خذلهم الله فهو أيضاً ضلال بل هو ضلال مع إضلال ، و فيه خروج عن الدين .

بل الذي يتراءى من هذه الطائفة المدّعين للحقائق والمهملين للصور والتاركين لها ، أنّهم يتركون المعاني أيضاً بل التارك للصورة أترك للمعاني من الصور وهذا أضّرّ الاسلام من كلّ شيء لأنّ بقاء الدين بحفظ الصورة غالباً .

لأنّ الاسلام عبارة عن الصورة والمعنى معاً ، و التارك للجزء تارك للكلّ وإن كان هذا حقّاً لا مريّة فيه ، بل لأنّ المراقبة للصورة و حفظها أقوى في اقتداء الناس بالشرائع والديانات لأنّ المعاني أمور باطنية لا يظهر في الأغلب على الناس حتّى يوجب اقتداؤهم والظاهر إنّما هو الصور ولكن زيادة الاهتمام بالأرواح والمعاني

من جهة أنها أنفسها أهم عند الشارع من الصور فليكن الاهتمام بكلا الأمرين مساوياً ولكن يزيد الاهتمام بالظواهر والصور في الظاهر والصورة، وبالأرواح والمعاني باطناً ومعنى .

ثم إن سيدنا قدوة أهل العلم والعمل طائوس أهل المراقبة ومعلمهم ، ومروج هذا العلم وعامله قدس الله سره إنما كتب في كتابه الاقبال أصول مراقبات أعمال السنة على أحسن ما يمكن أن يكتب ، ولم يكتب مثله في هذا المعنى، ويظهر من هذا الكتاب أنه عليه سلام الله وسلام آبائه الطاهرين أكمل في تحرير هذا الكتاب أيضاً مراقبة الله جلّ جلاله ، ولذا أنشأ في آخر الكتاب دعاء و مناجاة وقال فيه : قد امتثلت مرسومك اللهم فيما اعتمدت عليه مجتهداً بك في الاخلاص فيما هديتني إليه .

وأما هذا المفلس من الخيرات كلها والمتدنس بالأساء جلّها الذي لم يحكم علماً ولا عملاً ، ولم يأمن من عمل نفسه بالاخلاص ، ولو في عبادة واحدة ، ولا بالخلوص ولو في نفس واحد ، كيف يناجي ربه ، وبماذا يعرض كتابه إلى حضرت خالقه و مالكه ، بأيّ لسان يناجيه ؟ وبأيّ وجه يلقاه ؟ أبوجه العاصي المظلم أم بلسانه الناسي الأبكم ، عن ذكر مالكه الأرحم ، ما ذا يقول لو لم يحرز عن نيته الصدق والاخلاص ، بل علم الريب والالتباس .

أيجترى بالكذب على ربه في دعواه ، وهو المخبر عما في سريرته ومعناه ، أم يصدق ويجسر و يقول : هذا ما قصدت به غيرك يا مولاه ، أو أشركت فيه عبادك يا سيّده ، أما يخاف أن يقال له: أيّها العبد اللئيم ما أجسرك على ربك الكريم ، وما أجرأك على مولاك الحليم ، أما تستحيي عن وجهك المظلم أن تواجه وجه ربك المنير ، و عن لسانك الكاذب أن تخاطب إلهك الصادق ، أما تخاف من سطوات سلطانه ، أن تهدي إلى حضرت قدس جلاله بشر كك و كفر ، و هو أغنى الأغنياء من الشرك .

كيف يكون حالك لو قال لك : ألم تجد أهون منّي حيث راقبت عبيدي و إمائي ولم تراقبني ، بأيّ خيال راقبتهم و تركتني ، ألم ترج من خيري مارجوت منهم

والخير كله بيدي ، أليس قلوبهم بيدي ؟ .

أما اختبرت في تمام عمرك وجرّبت طول حياتك مقام لطفي وكرمي بك ، و
سبوغ نعمي عليك ، أليس وجودك وحياتك وروحك وعقلك وقلبك وجميع جوارحك
وجميع أسبابك كلها من نعمي عليك ؟ .

ألم تعرف أن عبيدي الذين آثرتهم علي لا يقدرّون على نفعتك وضرك ، ولا
يقدرّون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ؟ .

أليس قوتك على هذا العمل الذي قصدت به قلوب عبادي من نعمي عليك
وجميع أسبابه الداخلية والخارجية بايجادي و بقيت بحفظي ؟ .

ألم أخلق لك عقلاً تعقل به الحق من الباطل ، و الايمان من الكفر ، حتّى
هديتك للايمان ، وهديتك إلى العلوم الشرعيّة السريّة ، و دقائق علوم المراقبة
حتّى عقلت ما يجب على العباد من حقّ أسرار معاملتهم معي ، ووفقت لكتابتها و
نشرها ، ومننت عليك بأسبابها التي لا تحصيها من كثرتها ؟ .

كيف لم يكفك هذه المنن العظيمة ، والنعم المتواترة الجسيمة ، أن تصادقني
بالعبودية ، و توحدني بالالهية ، ولم ترأب حضوري معك ، ولم تحفظ علمي بك
وصيتي لك ، فغرّك عدوك عنّي ، و عن سعادتك و خيراتك ، و الفوز بكراماتي
و أدخل في قلبك مراقبة عبيدي و إمائي ، و قد عرفتك بمنّي عليك أنّهم بكلهم
موجودون بايجادي ، وأحياء بأمرّي ، لا وجود لهم من أنفسهم ، ولا حياة ولا قدرة
ولا ملك ولا شيء أبداً إلا بي ، و الموجودون كلّهم ملكي والملك قائم بي وأنا قيّمه و
الخير كلّهم بيدي ولا ضار ولا نافع غيري ، أكفر بعد الايمان ، و شك بعد الكشف
والايقان ؟ .

آه آه واحسرتاه وافضيحتاه ما ذا أصنع ؟ و كيف الجواب من هذا العتاب ؟
أسكت وأقرّ وأعترف ؟ أم أجسر وأحتال وأحترف . والأولى إن استهدى ربّي
أن يهديني إلى ما هو أَرْضَى له ، فأقول مستعيناً :

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي يا إلهي أنا عبدك الذي لم أكن شيئاً مذكوراً ، فأوجدتني بعنايتك
وأكرمتني بمواهبك ، وتفضلت عليّ بالنعم التي لا أحصيها من كثرتها .
مولاي أنت الذي أنعمت ، أنت الذي أحسنت ، أنت الذي أجملت ، أنت الذي
أفضلت ، أنت الذي مننت أنت الذي أكملت أنت الذي رزقت أنت الذي أعطيت ، أنت
الذي أغنيت أنت الذي أقنيت أنت الذي آويت أنت الذي كفيت أنت الذي هديت
أنت الذي عصمت أنت الذي سترت أنت الذي غفرت أنت الذي أفلت أنت الذي
مكّنت أنت الذي أعزّزت أنت الذي أعنت أنت الذي عضدت أنت الذي أهديت أنت
الذي نصرت أنت الذي شفيت أنت الذي عافيت أنت الذي أكرمت وتباركت ربّي
يا إلهي وتعاليت .

أنا الذي أخطأت أنا الذي أغفلت أنا الذي أذنبت أنا الذي عصيت أنا الذي
خالفت أنا الذي جهلت أنا الذي عميت أنا الذي سهوت أنا الذي اعتمدت أنا الذي
تعمدت أنا الذي وعدت أنا الذي أخلفت أنا الذي نكثت .
أنا إلهي الذي أمرتني فعصيتك ، ونهيتني فارتكبت نهيك ، فأصبحت لاذباً راءة
فأعتر ، ولذا قوة فأنتصر ، فبأيّ شيء أستقبلك يا مولاي ؟ أبوجهي الخلق المظلم ،
أم بسمعي المذنب أم بلساني العاصي أم بيدي المسيء أم برجلي المتعدّي أليس كلّها
نعمك عندي و ب كلّها عصيتك .

ويلاه لو علمت الأرض بذنوبي لساخت بي و ابتلعني ويلاه لو علمت الجبال
بذنوبي لهدّنتني ، ويلاه لو علمت البحار لأغرقتنني ، الويل لي إن كان عقابي مذخوراً
لأخرتي .

فياويلي والوعول لي إن أتني بي يوم القيامة مغلولاً يدي إلى عنقي و ياويلي
والوعول لي إن بدّلت النار جسدي ياويلي والوعول لي إن قصف على رؤس الخلائق
ظهرى ، فياويلي والوعول لي إن اسودّ يوم القيامة وجهي فياويلي والوعول لي إن قويست

أوحسبت أوجزيت بعملتي ، ويلاه ليت الذي خفت منه نزل بي و لم أسخط و يلاه
إنني لمفتضح بعظيم ذنوبي عند لقاء ربي فما أقل حيائي .
فيا سبحان هذا الرب الودود يستر علي عيوبي كأنه استحياني عند معصيتي
له ، وأظهر محاسني و كتم معصيتي حتى كأنني لم أزل في طاعته ، و أرضيت عباده
بسخطه ولم يكلني إليهم و كفاني من سعته ، و عصيته فستر علي ، و غضب علي من
غيرني بمعصيته ، و سترني من الآباء و الأمهات أن يزجروني ، و من العشائر و الإخوان
أن يعيروني ، و من السلاطين أن يعاقبوني ، ولو اطلعوا علي ما اطلع مني إذا
ما أنظروني .

مولاي إلهي لو علمت أنك لاتحييني بعد الموت لألقيت ببدي استحياء من
مواجهتك يوم ألقاك ، و فراراً من فضيحة يوم القيامة عند الأبرار ، و يا سيدي و
مولاي لو كان لي جلد علي انتقامك ، و طاقة علي عذابك ، لما سألتك العفو عني ، و
رضيت أن تعدّ بني سخطاً علي نفسي ، كيف عصتك و لم تراقب حضورك ، و أقبلت
عليها فأعرضت عنك .

ثم إنني يا مولاي قدأكثر التفكير في أحوالي حتى حار في ذلك ذهني ، و
كلّ عقلي ، و لم أجد حيلة لاصلاح نفسي ، و عمدت إلى الاخلاص في عبادة ربي فعملني
هواي و غرّني عدوي فكلّما دنوت من رضاك شبراً أبعدني عنه ذراعاً ، فما بقي لي
حيلة ولا وسيلة إلا عصمتك إن مننت بها علي .

فأيقنت أنه لا حول عن المعصية ، و لا قوة للطاعة إلا بك ، فبقيت مضطراً إلى
رحمتك فها أنا ذا بين يديك ذليل عليل [مذعن] بذنوبي ، مقرّ بقبائحي ، معترف
بمساءتي و لؤمي ، موقن بأنّه لا نجاة لي ممّا أوقعت فيه نفسي إلا منك ، و لا سبيل إلى
الوصول بكرامتك إلا بك .

فأنا اليوم مفتضح بعملتي ، و ذلّ مقامي و قبيحفعالي و مستوجب لأليم عذابك ،
و بئس عقابك بل و طردك و إبعادك إلا أن تدر كني عنايتك ، و تسعني رحمتك و ينالني
كرم عفوك ، و تمحو عني دنس الخطيئات ، و تطهرني من دنس السيئات بعفوك

وتبدّل سيّئاتي بأضعافها من الحسنات بكرمك وتوصلني إلى رفيع الدرجات بفضلك .
 وإن ناقشني فضلك بعدم الأهلّيّة فمن أين آتي بها إن لم تجدها عليّ ، وإن
 كان ذنبي قد أخلق وجهي عندك ، ومنع عن شمول رحمك بي ، فبوجوه أوليائك
 المشرقة عندك أتوجه إليك و أتوسّل أن لا تؤاخذني بلؤمي وذنبي ولا تخيّبني من
 جودك وكرمك وتقبّلني بمحمد وعليّ وآلهما الطّاهرين ، صلواتك عليهم أجمعين ،
 كما قبلت سحرة فرعون بموسى و هارون فانك جعلتهم الوسائل إليك وذرائع إلى
 رحمتك ، فاقبلني بهم وعملي المشوب باخلاصهم ومعصيتي بطاعتهم ، وكسلي بجدّهم ،
 وسوء خلقي بحسن أخلاقهم وغفلتي بذكرهم ، ولؤمي بكرمهم ، وألحقي بهم واجعلني
 من شيعتهم المقرّبين و أوليائهم السّابقين كما مننت عليّ بمعرفتهم وولايتهم .

فبقديم فضلك الذي وهبته لي ولايتهم و الانتساب بهم أثبتني في أهل ولايتهم ، و
 احشرنني في زمرةهم وأكرموني بجوارهم ، واقبل منّي كتابي هذا بقبولك الحسن ،
 واجعله يوم القيامة بيمينني والخلد في الجنان بيساري فاذني وإن لم أخلص فيه نيّتي
 ولكنّي بيد عبادك المخلصين أعرضه إلى جناب قدسك . و باب كرمك ، فاقبل زيف
 عملي بخلوصهم .

فانك يا سيّدي إن مننت عليّ في جملة ما كتبتّه من مراتب الإخلاص فاغلبه
 على شوائب الهوى فانّ التغليب للشريف أمر معمول ، لاسيّما إذا عرض عليك
 بأيدي أشرف بريّتك وأكرم خليقتك ، وأحبّ أوليائك صلواتك عليهم فانّ ظلمتي
 لا يقوم قبال نورهم ومقتضى حكمتك أن تقبل مسيئاً بمحسن و عاصياً بمطيع ، و
 مشوباً بخالص ، فاقبل منّي كتابي و اقبل استشفاعي بهم و إذا قبلت فعوّضني منه
 رضاك قبل لقاءك ، ثمّ لقاءك لقاءك .

إلهي يا مولاي تقدّس رضاك أن يكون له علّة ، فكيف يكون علّة منّي وأنت
 غنيّ عنّي و عن كتابي ، و انفع به إخواني المؤمنين و اجعله من أسباب مغفرتك
 ووسائل رضاك ، و حبال توفيقك لي و لاخواني المؤمنين و المؤمنات ، و انظمه في

عداد رسائل أوليائك الخالصة لوجهك ، فإنه لا يعظم عليك شيء من ذلك ولا ينقص من ملكك عطاؤك .

مولاي يا إلهي و سيدي أنا من خوفك وخشيتك ما قدرت أن أحسب رسالتي هذه من حسناتي بل عدتها من سيئاتي ولكن لأستبعد من كرم عفوك أن تبدلها بالحسنات فتعطيها يوم القيامة بيمينني فتقر بها عيني ويفرح بها قلبي وأقبلها وأضمها إلى صدري وأستأنس بها وأقول : هذا مما قبلها ربّي ، و لك الحمد على ما وهبني من الرّجاء بعظيم فضلك ، و كرم عفوك ، كيف و لولا رجائك لأهلكنا القنوط ، وخوف العقاب . و الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم .

اللهم نوّ رظاھرنا برحمتك ، وباطننا بمعرفتک ، وقلوبنا بمحبتك ، و أرواحنا بمشاهدتك ، وأسرارنا باستقلال اتصال حضرتك ، وصلّ على محمد وآله و ارزقنا بهم مغفرة بلا عذاب ، و جنّة بلا حساب ، و عفواً بلا عتاب ، ورؤية بلا حجاب بمحمد وآله الأطياب .

الخطأ و الصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩	١	قله	قله
١٧	١٣	التي	الذي
٢٧	١٨	لبس الخلع والامان	لبس خلع الامان
٢٧	٢٢	يناسيها	تناسيه
٢٨	٢٥	متلك	ممتلك
٤١	١٢	موسم العبادة	مواسم العبادة
٤٤	١٠	التلطيف	تلطيف
٤٥	٧	فسدت	فسد

المواضيع

رقم الصحيفة

☆(المقدمة)☆

- ٣ - في التأمّل في النعم الدنيويّة والأخرويّة .
- ٥ - في المسارعة إلى مغفرة الربّ تعالى .
- ٧ - في إصلاح القلب والتسليم إلى أمر الله تعالى .
- ٩ - في النوح على الأعضاء و المناجاة مع الله تعالى .
- ☆(مراقبات شهر محرّم الحرام)☆
- ١١ - في تذكّر مصائب الحسين عليه السلام .
- ١٥ - في سائر أعمال العشر الأوّل .
- ١٧ - في تأثير المراقبات وتعظيم شعائر الله تعالى .
- ☆(مراقبات شهر صفر الخير)☆
- ١٩ - في زيارة الأربعين .
- ☆(مراقبات شهر ربيع الأوّل)☆
- ٢١ - في ولادة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله .
- ٢٣ - في أهمّ أعمال الشهر .
- ٢٥ - في أسماء الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله .
- ٢٧ - في زيارة المولود و مراسم العيد و آدابه .
- ٢٩ - في التوسّل بحمّة اليوم وخفرائه .
- ☆(مراقبات شهر ربيع الآخر)☆
- ٢٩ - ولادة أبيّ محمد الحسن بن عليّ العسكريّ .
- ☆(مراقبات شهر جمادى الأولى)☆
- ٣١ - ولادة السجّاد عليه السلام .
- ☆(مراقبات شهر جمادى الآخرة)☆
- ٣٣ - في وفات سيّدة النساء عليّها السلام و وصيّةها .

- ٣٥ - فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام .
- *(مراقبات شهر رجب المرجب)*
- ٣٧ - نداء الملك الداعي وجوابه بلسان الحال .
- ٣٩ - مناجات واسترحام .
- ٤١ - في معنى الشهر الحرام وأعمال الليلة الأولى منه .
- ٤٣ - الاجتهاد في صدق المقال في المناجاة والأدعية .
- ٤٥ - في ليلة الرغائب وأعمالها .
- ٤٧ - في فضل الصيام في شهر رجب و التصديق عنه بدلاً .
- ٤٩ - السعي في إخلاص النيات .
- ٥١ - اعتبارات دقيقة في معرفة الإخلاص .
- ٥٣ - تحصيل حقيقة الإخلاص بالتأمل والتعمّل .
- ٥٥ - الخوف من فضيحة الرياء عند العرض على الله تعالى .
- ٥٧ - صلاة سلمان الفارسي رحمه الله .
- ٥٩ - الدعاء في دبر كل صلاة .
- ٦١ - في الرجاء الحقيقي .
- ٦٣ - في ولادة أمير المؤمنين عليه السلام .
- ٦٥ - أمر العالم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله .
- ٦٧ - اهتمام أمير المؤمنين عليه السلام في إعلاء كلمة الإسلام .
- ٦٩ - في أهم شرائط الدعاء .
- ٧١ - أعمال يوم المبعث من الصلاة والصيام والزيارة .
- ٧٣ - نعمة البعثة واختلاف الناس في قبولها .
- *(مراقبات شهر شعبان المعظم)*
- ٧٥ - في فضل شعبان المعظم .

المواضيع

رقم الصحيفة

- ٧٧ - المناجاة الشعبانية وفضل الصيام فيه .
- ٧٩ - ليلة النصف وولادة الحجة ﷺ .
- ٨١ - في فضل ليلة النصف من شعبان .
- ٨٣ - في التحذير من ضعف الايمان .
- ٨٥ - في التوسل بامام الزمان ﷺ .
- ٨٧ - في فضل دعاء الكميل و الالتفات الى مايدعو .
- ٨٩ - في محاسبة النفس و الاسترحام من خفير يومه .
- ٧٢ - ☆ (مراقبات شهر رمضان المبارك) ☆
- ٩١ - فضائل الجوع وفوائده .
- ٩٥ - مراتب الصوم وأقسام الصائمين .
- ٩٧ - اختلاف حالات الأنبياء ﷺ .
- ٩٩ - أقسام الصائمين من جهة طعامهم وشرابهم .
- ١٠١ - خطبة رسول الله ﷺ في شهر رمضان المبارك .
- ١٠٣ - سعة رحمة الله تعالى في هذا الشهر .
- ١٠٥ - في لطف مضامين الأدعية الواردة عنهم ﷺ .
- ١٠٧ - في حقيقة القرآن و التدبر في آياته .
- ١٠٩ - التفكير في أحوال الأنبياء ﷺ .
- ١١١ - آثار القرآن في القلب عند تدبره .
- ١١٣ - سر عدم استجابة دعاء الأختيار .
- ١١٥ - في حسن الظن بالله تعالى .
- ١١٧ - في شرائط الدعاء وسائر أسباب الاجابة .
- ١٢١ - إدخال السرور في قلب المؤمن .

المواضيع

رقم الصحيفة

- ١٢٣ - أمران مجرّ بان في إصلاح حال السالك .
- ١٢٥ - اختيار الأزمنة الشريفة والأمكنة الشريفة للدعاء .
- ١٢٧ - الجهد في الدعاء و تحصيل حال الرقة والبكاء
- ١٢٩ - في أقسام الداعين .
- ١٣١ - في الاستشفاع من خفير اليوم ﷺ .
- ١٣٣ - في الدعوات الواردة والأغسال المخصصة .
- ١٣٥ - في الافطار وأقسامه .
- ١٣٧ - الاهتمام لادراك ليلة القدر .
- ١٣٩ - في آداب إفطار الصائمين .
- ١٤١ - في أمر الامامة والوعظ وتحصيل الاخلاص فيهما .
- ١٤٣ - تذكرة للوعاظ في كيفية الموعدة .
- ١٤٥ - في فضيلة ليلة القدر .
- ١٤٧ - في أن التهيؤ لهذه الليلة كالتهيؤ لحضور السلطان .
- ١٤٩ - حفظ القلب عن الاشتغال بغير الله تعالى .
- ١٥١ - في المناجاة مع الله جلّ جلاله .
- ١٥٣ - أعمال ليلة القدر .
- ١٥٥ - الدعاء ليلة السابع والعشرين .
- ١٥٧ - فيما يتعلّق بالليلة الآخرة .
- ١٥٩ - معاملة الإمام عليّ بن الحسين ﷺ مع ممالكه .
- ١٦١ - في محاسبة أعمال الشهر كلّها .
- ١٦٣ - في توديع شهر رمضان المبارك .
- ١٦٥ - في إظهار الندم عمّا قصر في أداء حقّ الشهر .

المواضيع

رقم الصحيفة

❖ (في مراقبة شهر شوٴال المكرٴم) ❖

- ١٦٧ - في مراقبة ليلة الفطر .
- ١٦٩ - الطوائف الخارجون إلى العيد .
- ١٧١ - في الصلاة الواردة في ليلة العيد .
- ١٧٣ - في إخراج الفطرة وأحكامها .
- ١٧٥ - في أعمال يوم العيد و الخروج إلى الصلاة .
- ١٧٧ - في آداب مجلس السلطان .
- ١٧٩ - في التذكٴر لحال إمام العصر عجل الله تعالى فرجه .
- ١٨١ - في المناجات مع إمام العصر عجل الله تعالى فرجه .
- ١٨٣ - إظهار الاشتياق لزيارة إمام العصر عجل الله تعالى فرجه .
- ١٨٥ - في أنٴ تشريع صلاة العيد لاعطاء المواهب .
- ❖ (مراقبات شهر ذي القعدة الحرام) ❖
- ١٨٧ - في حرمة أشهر الحرم .
- ١٨٩ - صوم هذا الشهر وعمل ليلة النصف منه .
- ١٩١ - يوم دحو الأرض وشرافته .
- ١٩٣ - نعم الله تعالى في ظاهر الانسان و باطنه .
- ١٩٥ - في شأن الكعبة الحقيقية .
- ١٩٧ - في أسرار نسك الحجٴ وأنٴها مؤثرة في التخلية والتخلية .
- ١٩٩ - السعي في تحصيل الاخلاص .
- ٢٠١ - في الاستعداد للسفر و أخذ الزاد .
- ٢٠٣ - في رعاية الرفيق والدليل وأمير الحاجٴ
- ٢٠٥ - قصد الحجٴ الواقعي في مناسك الحجٴ الظاهري .
- ٢٠٧ - آداب زيارة النبي ﷺ .
- ٢٠٩ - تحصيل حضور القلب عند زيارته ﷺ .

- ٢١١ - الوقوف قبال ضريحه المقدس ﷺ .
- ٢١٣ - في الرجاء من حضرته وما يقوله مخاطباً لرسول الله ﷺ .
- ٢١٥ - في الرجاء لعفوه و كرمه وفضله ﷺ .
- ٢١٧ - في زيارة أئمة البقيع ؑ .
- ٢١٩ - في فضيلة العشر الأول منه .
- ٢٢١ - في خمس دعوات أهديت إلى عيسى ؑ .
- ٢٢٣ - في الإنكال على الله تعالى وحده .
- ٢٢٥ - منشأ الرجاء والأمل .
- ٢٢٧ - في التهليلات الواردة في العشر الأول .
- ٢٢٩ - في أعمال ليلة العرفة ويومها .
- ٢٣١ - في زيارة السبط الشهيد الحسين بن علي ؑ .
- ٢٣٣ - في معاني التنزيه والتسبيح .
- ٢٣٥ - في الدعاء للاخوان بظهر الغيب وإيثارهم .
- ٢٣٧ - الاحتراز من الدعوى الكاذبة .
- ٢٣٩ - من النعم الجليلة ظهور دين الله تعالى بالمجاهدات التي كفينا عنها .
- ٢٤١ - آداب الخروج إلى صلاة العيد .
- ٢٤٣ - في يوم الغدير وشرافته على الأيام .
- ٢٤٥ - في معنى الولاية وحقيقتها .
- ٢٤٧ - تصريح صحائف النبيين ؑ بولاية أمير المؤمنين ؑ .
- ٢٤٩ - في تفصيل يوم الغدير .
- ٢٥١ - خطبة النبي ﷺ في مسجد الخيف .
- ٢٥٣ - خطبة النبي ﷺ في يوم الغدير .

المواضيع

رقم الصحيفة

- ٢٥٥ - الصلوات الخاصة في يوم الغدير .
- ٢٥٧ - ما روي عن مولانا الرضا عليه السلام في فضل يوم الغدير .
- ٢٥٩ - في معنى الولاية المطلقة وحقيقتها .
- ٢٦١ - أعمال يوم الغدير .
- ٢٦٣ - في مباهلة نصارى نجران .
- ٢٦٥ - قدوم نصارى نجران إلى المدينة .
- ٢٦٧ - خروج النبي صلوات الله عليه وآله للمباهلة وامتناعهم منها .
- ٢٦٩ - في أن علياً عليه السلام نفس النبي صلوات الله عليه وآله بنص الآية .
- ٢٧١ - في حرمة يوم المباهلة ومحله من الإسلام .
- ٢٧٣ - أعمال يوم المباهلة .
- ٢٧٥ - المناجاة مع المعصومين عليهم السلام .
- ٢٧٧ - في نزول سورة هل أتى في شأن أهل البيت عليهم السلام .
- ٢٧٩ - الصلاة الواردة في اليوم الآخر .
- ☆ (الخاتمة في بعض النصائح والتنبهات) ☆
- ٢٨٣ - الاهتمام في تحصيل الاخلاص .
- ٢٨٥ - في التوجه إلى معاني العباداة وباطنها .
- ٢٨٧ - في أن تكميل صور العبادات أيضاً واجب .
- ٢٨٩ - مناجاة المؤلف قدس سره مع الله عز وجل .
- ٢٩١ - أيضاً في المناجاة مع الله عز وجل .
- ٢٩٣ - تتممة المناجات .



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 072239922